



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

التناسق الموضوعي في سورة الرعد

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير

إعداد الطالبة:

حسينة بنت علي بن أحمد الزهراني

الرقم الجامعي: ٤٣٠٨٨٢٣٥

إشراف فضيلة الشيخ:

الدكتور/ محمد عبدالفتاح عبدالرازق سلام

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م



ملخص الرسالة باللغة العربية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذه رسالة علمية بعنوان: (التناسق الموضوعي في سورة الرعد) تناولت مصطلحاً جديداً في التفسير هو التناسق الموضوعي وتطبيقه على سورة الرعد وقد تم تقسيم هذه الرسالة إلى مقدمة وبابين وخاتمة.

فالمقدمة: تحتوي على أهمية الموضوع وسبب اختياره والدراسات التي أنشئت حول السورة، والمنهج المتبع في الدراسة.

الباب الأول: (التناسق الموضوعي- مقدمات تعريفية)، ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: اسم السورة الكريمة، وفضلها وعدد آياتها، وتاريخ نزولها.

الفصل الثاني: مكي السورة ومدنيها، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، ووجه اختصاصها بم اختصاصت به عن غيرها.

الفصل الثالث: أسباب نزول السورة، ومقاصدها وأهدافها.

الباب الثاني: (التناسق الموضوعي - دراسة تطبيقية)، ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: محور السورة مناسبة اسم السورة لموضوعاتها، ومناسبة فاتحة السورة لخاتمها، وفاتحتها وخاتمها لموضوعاتها.

الفصل الثاني: موضوعات السورة وتناسقها.

الفصل الثالث: تفسير آيات السورة في ضوء تناسقها الموضوعي.

وقد أظهر هذا البحث عدداً من النتائج من أهمها ما يلي:

- لم يرد في فضل سورة الرعد حديث صحيح لكن ورد فيها أحاديث كلها ضعيفة.
- على الرغم من أن مواضيع سورة الرعد متعددة إلا أنها تدور حول محور واحد وهو أن الحق واضح ثابت والباطل ضعيف زاهق.
- نجد في السورة تناسقاً موضوعياً واضحاً، فهي كلها تمضي في سياق متآلف ومتناسق.
- دراسة التناسق الموضوعي في سورة الرعد هو الوسيلة إلى معرفة الوحدة الموضوعية في السورة.

والحمد لله من قبل ومن بعد

ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

Thank God and praise Mohammad the last prophet .

This thesis entitled **Topic Cohesion in Al Raad Chapter** discusses the new concept in hermeneutics namely topic cohesion in relation to Al Raad chapter of the Quran. The thesis was divided into an introduction two chapters and a conclusion. The Introduction discusses the significance of the topic reasons for choosing it related literature about the chapter of the study and the research methodology. Chapter One (Topic Cohesion – Definitions) includes three sections as follows: s

Section One discusses the title of the chapter its significance number of verses and date of revelation .

Section Two discusses the parts of the chapter revealed in Mecca and those revealed in Madina the chapters chronological order in terms of the chapters before it and those after it and the specific topic it dealt with .

Section Three discusses reasons of revelation its goals and objectives .

Chapter Two (Topic Cohesion – Case Study) includes three sections: Section One discusses the crux of the chapter in terms of the relation of its title to its topic the relationship between its introduction and conclusion and vice versa.

Section Two discusses chapter topics and their cohesion .

Section Three discusses verses hermeneutics in light of the topic cohesion. The study concluded with many findings the most important of which is the linguistic and conceptual definition of cohesion the lack of any strong Hadiceth regarding the Chapter the different topics of the chapter revolve around one point which is the strength of righteousness and weakness of deviance. In addition the study concluded that chapter has clear topic cohesion the study of which is the only way to understanding its topic unity.

Thank God all the time!

كلمة شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾^(١).

أحمد الله ﷻ على ما أولاني به من نعمة وفضل، ومنّ به علي من إتمام هذا البحث، ثم أثنى بالشكر للقائمين على هذا الصرح الشامخ - جامعة أم القرى - متمثلة في كلية الدعوة وأصول الدين وعمادة الدراسات العليا، وعلى وجه الخصوص قسم الكتاب والسنة الذي أتاح لي هذه الفرصة، والشكر موصول لكل من درست على يديه، والدعاء لهم بأن يكون ذلك في ميزان حسناتهم.

كما أتقدم بالشكر الوافر لأستاذي الجليل الفاضل، الدكتور/محمد عبدالفتاح عبدالرازق سلام، الذي سعدت بإشرافه على هذه الرسالة، والذي كان لي مشرفا كريما وأستاذا فاضلا، أعطاني من وقته الكثير ولم يبخل علي بعلمه وتوجيهه، فأشكره على ما قام به من توجيه ومتابعة وتقويم، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أشكر كل من أضاء بعلمه عقل غيره أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه فأظهر بسماحته تواضع العلماء وبرحابته سماحة العارفين، وهم اساتذتي الأفاضل سواء ممن تتلمذت عليهم في دراستي الجامعية، أو في مراحل التعليمية المختلفة.

و كان من تيسير الله أن هيا لهذا البحث مناقشين فاضلين من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى حفظهما الله فلهما مني جزيل الشكر على تفضلهما بقراءة الرسالة وموافقتهما على مناقشتي فيها.

كما أتوجه بالشكر إلى من رضا الله في رضاها والدتي الحنون -أطال الله عمرها وأحسن عملها وجزاها عنا خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

وثمة إنسان له معروف خاص لا أستطيع وفاءه مهما بذلت إلا أن يتولى الله عني سداد معروفه بأن يغفر ذنبيه، ويعلي منزلته والدي الحبيب -رحمة واسعة.

(١) النمل: ١٩

وأسطرّ أجلّ عبارات الشكر والتقدير إلى ربيع عمري، ورفيق دربي، في مشوار دراستي الطويل، زوجي الغالي حفظه الله ورعاه.

والشكر موصول لكل فرد من عائلتي، وأخصّ بالذكر أشقائي وشقيقاتي الذين كانوا مساندين لي طيلة كتابة هذه الرسالة بعد الله تعالى.

وعمل ابن آدم لا يخلو من الخطأ والزلل، فما كان في هذا البحث من صواب فهو من فضل الله وله الحمد والمنة، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله أن لا يحرمني أجر المجتهدين.

والله أسأل أن ينفعنا ويرفعنا بالقرآن، وأن يجعلنا من خدام كتابه العظيم، وأن يرزقنا إخلاص النية وقبول العمل، والله تعالى حسبي ونعم الوكيل، وما توفيقني إلا بالله تعالى عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن، ورفع به قدر من اتبعه من المؤمنين، وجعله نورًا للقلوب والأبدان، وكرّم أهله بالرفعة في الدنيا، وبال فوز يوم يحشر الثقلان، وبشر حامله وحفظته العاملين به بالمغفرة والرضوان، والفلاح والفوز بالجنان. والصلاة والسلام على النبي الهادي العدنان محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه بإحسان.

أما بعد:

فإنّ أجلّ علم صُرّفت فيه الهمم، علم الكتاب المنزل؛ إذ هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وقد اجتمعت كلمة علماء الأمة على العناية بتفسيره، وبيانه ودراسته، واستدراار كنوزه، والنهل من معينه العذب النмир، فهو منبع العقيدة ومنهج الحياة .

وقد تنوعت طرائق العلماء والمفسرين من أهل السنة والجماعة في عرض علومه، واختلفت مناهجهم في إيضاح مكنوناته، يتضح ذلك من خلال مؤلفاتهم المتنوعة في التفسير وعلومه.

وقد ازداد اهتمام المفسرين بالتناسق الموضوعي في القرآن الكريم؛ تسديدًا لعلم التفسير، وتدبيرًا لآياته وسوره، وقد ظهر مما جمعوا على هذا النحو أنّ السور الكريمة متسقة المعاني، منتظمة المباني، ومتناسقة الموضوعات، فلا تجد تناقضًا ولا تلمح تعارضًا بين أجزائها. وبهذه السور وقع التحدي، وصحّت المعجزة كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا

فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^(١).

وبعد انتهائي من دراسة السنة الدراسية التمهيديّة للماجستير بكلية الدعوة وأصول الدين - قسم الكتاب والسنة- شعبة التفسير وعلوم القرآن، وبعد التوجيهات الكريمة من مشايخنا الكرام بالقسم؛ وقع اختياري على مشروع طرحه القسم في التناسق الموضوعي في السور ليكون ذلك العمل مئّي إسهامًا لخدمة كتاب الله جل وعلا، وقد جعلته بعنوان: (التناسق الموضوعي في سورة الرعد).

(١) النساء: ٨٢

أولاً: أهمية الموضوع:

تحمل السور القرآنية كثيراً من المواضيع المتنوعة، وأغراضاً متعددة، من عقائد وأحكام وقصص وأمثال وحكم ومواعظ، بحيث ينتقل فيها القارئ من غير فصل ولا انقطاع، وهذا ما يميز كلام الله تعالى عن غيره من كلام البشر؛ الذي يعتمد على التبويب والترتيب، وقد شتت بعض المغرضين من المستشرقين الذين يطعنون في القرآن ويعدون غير مرتب، ويرون آياته لا تحمل سياقاً، ولا يجدون له وفاقاً.

والحقيقة أن التالي لأي سورة من سور القرآن الكريم من مطلعها إلى ختامها لا يرى انقطاعاً أو انفصلاً، بل يخلص من معنى إلى آخر خلوصاً سلساً سهلاً، لا عسر فيه ولا ثغرة، ويمكن تلخيص أهمية هذا الموضوع في النقاط التالية:

١. أهمية التناسق الموضوعي كلون من ألوان من الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم.

٢. وجود بعض الأخطاء في عدد من كتب التفسير في العصور المتأخرة، مما جعل علماء الشريعة الإسلامية ينبهون عليها ويكشفون ضعفها ليظهر للناس أمرها.

٣. صلاحية كتاب الله لكل زمان ومكان، فهو المنهاج الواضح الذي تقوم عليه حياة الناس، علمه من علمه، وجهله من جهله قال تعالى:

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(١).

٤. دراسة التناسق الموضوعي في السور القرآنية فيها إظهار لجانب من جوانب إعجاز النظم القرآني، وإبراز لعظمته، وأن كل لفظة وجملة فيه؛ بل وكل حرف من حروفه؛ يعطي دلالات ومعاني لا توجد في غيرها، مما يعطي ذلك تذوقاً مرفهاً يؤثر في إحساس وشعور القارئ والسامع لكلام الله ﷻ.

٥. البحث في التناسق الموضوعي والعناية به يفتح للباحث أبواباً واسعة من التدبر والتأمل في آيات الله تعالى.

٦. معرفة التناسق الموضوعي في السورة يعين ويساعد على فهم

(١) المائدة: ٤٨

الآيات، ومعرفة المراد منها.
٧. إبراز صور جديدة من إعجاز القرآن الكريم في النظم.

❖ ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

البحث في التناسق الموضوعي لسور القرآن الكريم تردد صداه بين علماء وأساتذة التفسير مدة من الزمن، واستمر إلى أن وفق الله قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى لتبني هذا المشروع الضخم، ليكون له قصب السبق في ذلك، ثم طرح هذا المشروع على طلبة الدراسات العليا في شعبة التفسير وعلوم القرآن، فاخترت المشاركة فيه للأسباب التالية:

١ - الأجر العظيم، والثواب الجزيل، والشرف الرفيع، والخيرية في الدنيا والآخرة؛ في دراسة القرآن الكريم. كما جاء في صحيح البخاري: عَنْ عُثْمَانَ^(١)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٢).

٢ - جِدَّة البحث العلمي في التناسق الموضوعي في سور القرآن عند المفسرين.

٣ - تعلق التناسق الموضوعي بدراساتي في شعبة التفسير وعلوم القرآن تعلقاً مباشراً.

٤ - رغبتي في تلبية توجيهات مشايخنا الأفاضل من قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين، حيث تَمَّت الموافقة على مشروع (التناسق الموضوعي في سور القرآن)، وجعلت عنوان أطروحتي: (التناسق الموضوعي في سورة الرعد).

❖ ثالثاً: أهداف الموضوع:

أردت من خلال بحثي في هذا الموضوع تحقيق الأهداف التالية:

- (١) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، من قریش: أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين. " قتل I وهو يقرأ القرآن في بيته، سنة (٣٥هـ-٦٥٦م). انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٠٣٥/٣)، الأعلام للزركلي (٢١٠/٤).
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، برقم (٥٠٢٧)، (١٩٢/٦).

- ١- إظهار التناسق الموضوعي لسورة الرعد.
- ٢- محاولة إبراز بعض الفوائد والفرائد التي لم تظهر في الدراسات السابقة.
- ٣- دراسة الموضوعات الرئيسية التي تتناولها سورة الرعد، وإبراز مدى تناسقها، وتفسيرها في ضوء تناسقها الموضوعي؛ من خلال البحث العلمي الدقيق.

🔗 الدراسات السابقة:

يمكن تقسيم الجهود والدراسات السابقة في الموضوع إلى: دراسات خاصة وعامة.

• أولاً: الدراسات الخاصة:

وأعني بها الدراسات التي تناولت سور الرعد، دراسة موضوعية، فقد قمت بإجراء عملية بحث واسعة عنها، في أروقة المكتبات العلمية الكبيرة، وكذا عن طريق الشبكة العنكبوتية؛ كموقع مركز الملك فيصل للبحوث العلمية، وغيره، فلم أجد - حسب إطلاعي القاصر سوى رسالة علمية واحدة متخصصة وهي بعنوان: سورة الرعد: دراسة تحليلية وموضوعية: مصطفى حسن علي أبو توهة، ماجستير. وقد وضّح الباحث منهجه في مقدمة الرسالة؛ بأنه قد قسّم السورة لمقاطع، يحلّل فيها الباحث الألفاظ على وفق المصطلح المعجمي، ويخرّج القراءات القرآنية في كل مقطع، ويذكر القضايا البلاغية، ويبين المعنى العام للمقطع، مع ذكر ما ترشد إليه الآيات.

• ثانياً: الدراسات العامة في هذا الميدان، وتنقسم إلى دراسات قديمة وحديثة:

أ) الدراسات القديمة: لقد اهتم بعض العلماء والمفسرين الأوائل؛ بالحديث عن التناسب والتناسق في السور القرآنية، ومن أبرز من كتب فيه:

١- (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) لفخر الدين الرازي^(١)، والذي كان

(١) هو: محمد بن عمر بن الحسين الرازي، الشهير بابن خطيب الري، المفسر الأصولي المتكلم، صاحب التصانيف، ومُنظر مذهب الأشاعرة، توفي سنة ست وستمئة. انظر: السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناجي، ود. عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، ١٤١٣ هـ، (٨/٨١)، الأعلام للزركلي (٦/٣١٣).

له دور بارز في إظهار الوحدة الموضوعية، والربط بين الآيات والسور.

٢- (البرهان في تناسب سور القرآن) لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي^(١)
 G: وهو أول من أفرد علم المناسبات بمؤلف، ويهتم بالمناسبات بين السور.

٣- (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) للإمام برهان الدين البقاعي^(٢)
 G: وهو الأساس في علم المناسبات، حيث إنه يهتم بالمناسبات بين السور والآيات، والجمل والألفاظ.

٤- (قطف الأزهار في كشف الأسرار) للحافظ جلال الدين السيوطي^(٣)
 G: وموضوعه كلّ ما يختصّ بالنظم القرآني، وقد اعتنى فيه مؤلفه بعلم المناسبات، سواء المناسبات بين السور، أو بين الآيات، أو في الآية الواحدة، حيث بيّن وجه الربط بين أجزائها. لكن الموجود من هذا الكتاب بتحقيق: د/أحمد الحمادي، نشر وزارة الأوقاف بقطر، ينتهي عند الآية (٩٢) من سورة التوبة.

وله كتاب آخر هو (تناسق الدرر في تناسب السور) وقد طبع بعنوان "أسرار ترتيب القرآن" بتحقيق: عبدالقادر عطا، وذكر فيه وجه اتصال السور بما قبلها وما بعدها، ولم يذكر المناسبة بين الآيات.

(ب) الدراسات الحديثة: لقد أفاد علماء التفسير المتأخرون مما وصل إليه المتقدمون في هذا الشأن، وساروا بخطوات ثابتة نحو استجلاء المحور الذي تربط عليه جميع موضوعات السورة، وقد استطاع بعضهم أن ينظر بعين

(١) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي أبو جعفر، ولد بمدينة جيان سنة ٦٢٧ أو ٦٢٨ هـ، انتهت إليه الرئاسة بالأندلس في صناعة العربية وتجويد القرآن ورواية الحديث إلى المشاركة في الفقه، والقيام على التفسير، والخوض في الأصلين، وهو سني العقيدة، مالكي المذهب، وتوفي سنة (٧٠٨). انظر: مقدمة كتابه البرهان في تناسب سور القرآن، بتحقيق د. سعيد بن جمعة الفلاح، الطبعة الأولى، الدمام: دار الجوزي، ١٤٢٨ هـ، (٧٩-٨٠)، الأعلام للزركلي (٨٦/١).

(٢) هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: له مؤلفات منها (عنوان العنوان) و (أسواق الأشواق) و (الباحة في علمي الحساب والمساحة) و (أخبار الجلال في فتح البلاد) و (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، وتوفي في دمشق سنة: (٨٨٥ هـ-٤٨٠ م)، انظر: الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت: دار المعرفة، (١٨/١) الأعلام للزركلي (٥٦/١).

(٣) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، صاحب التصانيف، نشأ يتيماً، واعتزل الناس في الأربعين من عمره، واشتغل بالتأليف، توفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة. انظر: العماد، عبد الحي الخنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت: دار المسيرة، ١٣٩٩ هـ، (٥١/٨) الأعلام للزركلي (٣٠١/٣).

فاحصة إلى أجزاء السورة وينظر بناءها المتكامل المتسق، ويضع يده على غرضها الرئيس بشكل أدق مما توصل إليه بعض المفسرين من قبل، ومن أبرز من كتب فيه:

١- (التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر بن عاشور^(١) : حيث يذكر موضوع السور الكريمة، مبيئاً ما فيها من محاور وأحكام أدبية وتشريعية، وهو من أفضل من حاول في تفسيره ذكر أغراض السورة وتوسع فيها، وذكر المناسبات بين مقاطع السورة الواحدة.

٢- (النبأ العظيم) لمحمد عبد الله دراز^(٢) : وهو من أكثر المطنبيين في إثبات التناسب الموضوعي للسور في القرآن، واستدللاً لها، وقد عمد إلى إبرازه تطبيقياً من خلال سورة واحدة، وهي سورة البقرة، حيث توخى بيان حسن التأليف في السورة الواحدة التي تتنوع فيها الموضوعات باعتباره أحد وجوه الإعجاز.

٣- (في ظلال القرآن) لسيد قطب^(٣) : وهو ممن تناول المحاور الأساسية لكل سورة عند تفسيرها، وتقسيماً إلى مقاطع، ومحاولة الربط بينها وبين المحور الأساس للسورة.

ومن خلال اطلاعي على ما كتبه في سورة الرعد تبين لي الآتي:

- قدّم بين يدي السورة بمقدّمة تحدّث فيها عن أغراض السورة ومقاصدها ومحورها الرئيس، الذي تدور عليها أحداث السورة.

- ذكر بعض القضايا الهامة التي تشير إليها في السورة، مما له مساس بواقع الناس المعاصر، حسب رؤيته واجتهاده، وذكر الهدايات المستنبطة منها.

(١) هو: محمد بن الطاهر بن عاشور، شيخ جامع الزيتونه بتونس، له مؤلفات من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) و (الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة)، توفي سنة: (١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م). انظر: الأعلام للزركلي (١٧٤/٦).

(٢) هو: محمد عبد الله دراز، عالم أزهرى، وفقه وأديب كان من هيئة كبار العلماء في الأزهر، من أشهر مؤلفاته: النبأ العظيم، ودستور الأخلاق في القرآن، توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية، انظر: الزركلي، الأعلام: (٦٢٤/٦).

(٣) هو: سيد قطب إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، تخرّج من كلية دار العلوم، له كتب كثيرة مطبوعة متداولة، من أشهرها: "في ظلال القرآن"، قتل سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وألف. انظر: الزركلي، الأعلام: (١٤٧/٣).

- قسّم السورة إلى مقاطع، تحدث عن كل مقطع بقدر من التفصيل، وعرض فيها التفسير عرضاً إجمالياً.

٤- (الأساس في التفسير) لسعيد حوى^(١) : وقد ذكر في مقدمة كتابه، أنه وضع هذا الكتاب لبيان الوحدة الموضوعية في سور القرآن.

ومن خلال اطلاعي على ما كتبه في سورة الرعد تبين لي الآتي:

- أنه اكتفى في مقدّمة السورة بالنقل عن اثنين من كتب التفسير وهما: تفسير روح المعاني للألوسي^(٢)، وتفسير ظلال القرآن لسيد قطب.

- أنه يبين محور السورة، ثم يقسم السورة إلى مجموعات وفقرات، ثم يبيّن علاقة السياق بين كل مجموعة وأخرى.

- عند تعرضه لتفسير الآيات في السورة اكتفى بمصدرين وهما: تفسير ابن كثير^(٣) وتفسير النسفي^(٤)، وذكر في مقدمة الكتاب السبب في ذلك وهو عدم توفر المصادر.

٥- (التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم)^(٥) من إعداد نخبة من

(١) هو: سعيد محمد أديب محمود حوى، ولد في حماة بسورية سنة ١٣٥٤هـ، وتخرج من جامعة دمشق، سافر إلى سورية، وتوفي بعد معاناة وصراع طويل مع المرض في سنة: ١٤٠٩هـ، انظر: رمضان، محمد خير، تنمة الأعلام، الطبعة الثانية، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢ م، (٢٠٧/١).

(٢) هو: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، مفسر محدث أديب من أهل بغداد، صاحب التصانيف، (توفي سنة سبعين ومائتين وألف. انظر: الأعلام للزركلي، (١٧٦/٧).

(٣) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء، عماد الدين حافظ مؤرخ فقيه من كتبه: (البداية والنهاية) و (شرح صحيح البخاري) و (طبقات الفقهاء الشافعيين) و (تفسير القرآن الكريم) توفي : سنة أربع وسبعين وسبعمائة. انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (٤٤٥/١) الأعلام للزركلي (٣٢٠/١).

(٤) هو: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، أبو البركات، صاحب التصانيف المفيدة، ومنها: كتابه في التفسير: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، و " كنز الدقائق " و " المنار " و " كشف الأسرار " و " الوافي " في الفروع، و " الكافي "، توفي سنة (٧١٠هـ-١٣١٠م). انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية: ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، (٤٤٥/١) الأعلام للزركلي (٦٧/٤).

(٥) هو: بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن، الكريم في سورة واحدة أو سورة متعددة. مباحث في التفسير الموضوعي (١ / ١٦).

أساتذة التفسير وعلوم القرآن أ. د. مصطفى مسلم^(١): وهي من إصدارات جامعة الشارقة، وقد بين المشرف في المقدمة منهج العمل وهو باختصار كما يلي:

- ذكر مقدمة بين يدي السورة للتعريف بأسمائها فضائلها ومكيّتها ومدنيها وعدد آياتها ومحور السورة ومناسباتها، وذلك على أن لا تزيد الكتابة فيها عن خمس صفحات.

- تفسير مقاطع السورة تفسيراً إجمالياً، وبيان الهدايات المستنبطة منها، وذلك على أن لا تزيد الكتابة في تفسير المقطع وبيان الهدايات المستنبطة منه عن سبع صفحات.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ التناسق الموضوعي للسورة القرآنية شيء، والتفسير الموضوعي لها شيء آخر كما هو واضح جلي للمتخصص، وبالرغم من ذلك فلدي ملاحظات عامة على ما كتب في السورة من قبل الباحثين، ومن أهم تلك الملاحظات:

- عدم التوسع في ذكر المناسبات بين السور والآيات، وبالتالي عدم وضوح التناسق بين موضوعات السورة الواحدة.

- عدم التطرق إلى بيان مقاصد السور وأهدافها بشكل أوسع.

- القصور في توثيق النصوص، وعدم إحالتها إلى مصادرها ومراجعها.

- قلة المصادر والمراجع فيها.

وإنني حين أذكر هذه الملاحظات أعترف باستفادتي من هذه الموسوعة، وهي لا تقلل أبداً من قيمتها، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

🔗 منهجي في إعداد البحث:

اتبعت في كتابة البحث المنهج الآتي:

١- سلكت في هذا البحث مسلكاً التزمته فيه بالخطة المقررة لهذا المشروع من مجلسي القسم والكلية بالجامعة، والتي أقرّها مجلس القسم والكلية

(١) هو: مصطفى مسلم محمد، أستاذ التفسير وعلوم القرآن، درّس في جامعة الإمام بالرياض، وفي جامعة الشارقة بالإمارات، وهو من المهتمين بالتفسير الموضوعي وله فيه مؤلفات كثيرة، ويعمل حالياً خبيراً في مركز تفسير للدراسات القرآنية. انظر: موقع المكتبة الشاملة ١٤١٩ هـ،

<http://shamela.ws/index.php/author> بالرياض.

في خطتي التي قدمتها، وذلك لما تقتضيه طبيعة الموضوع، وتفرضه حاجة البحث.

٢- قسّمت السورة الكريمة إلى مقاطع، ووضعت عنوانا مناسبًا لكل مقطع.

٣- قمت بكتابة الآيات القرآنية الخاصة بكل موضوع من مواضيع السورة بالرسم العثماني.

٤- اكتفيت بذكر الرواية الصريحة والصحيحة في أسباب نزول السورة الكريمة؛ والآية إن وجدت.

٥- أقوم ببيان التناسب بين كل موضوع وآخر، وربط كل موضوع بما قبله وما بعده.

٦- أتعرض بتوسع لمقاصد السورة وأهدافها، وأسلط الضوء على بعض القضايا البارزة التي يحتاجها الناس في هذا العصر في آيات الموضوع الواحد، وأقوم بنقل أقوال أهل العلم في ذلك.

٧- أفسّر آيات الموضوع الواحد تفسيرًا إجماليًا، وأراعي في هذا التفسير ما يلي:

أ- أبين معاني مفردات الآيات وخاصة الغريبة منها، وذلك بالرجوع إلى المعاجم اللغوية الشهيرة، أو المختصة بشرح غريب القرآن، أو غريب الحديث، مع التركيز على بلاغة التعبير القرآني في الموضوع الذي يخدم هدف السورة، أو يخدم محورًا من محاورها.

ب- أبين الصلة والتناسق بين آيات الموضوع الواحد، وبين جمل الآية الواحدة.

ج - أبين المعنى الإجمالي للآيات على ضوء تناسقها الموضوعي.

د - أبين ما ترشد إليه كل آية.

٨- أكتفي بترقيم الآيات وعزوها بعد الآية مباشرة إذا كانت من سورة الرعد، أما إذا كانت الآية من غير سورة الرعد فأذكر عزوها في الهامش السفلي بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٩ - أقوم بتخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية، مع بيان درجة صحتها من خلال حكم العلماء عليها، ما عدا الصحيحين، فأكتفي بعزوه إليهما بذكر الكتاب، والباب.

١٠ - أكتفي في الأحاديث بالإشارة إلى اسم المؤلف، واسم الكتاب،

- وعنوان الباب، ورقم الحديث.
- ١١ - أُوثق الأقوال الواردة في البحث من خلال عزوها إلى مصادرها الأصلية، وعدم اللجوء إلى البديل إلا إن تعسر ذلك.
- ١٢ - أثبت المصادر والمراجع في الحاشية على الطريقة التالية: اسم المؤلف، اسم المصدر والمرجع، (الجزء/والصفحة)، وأستوفي جميع معلومات المصدر والمرجع في فهرسة المصادر والمراجع.
- ١٣ - أترجم للأعلام غير المشهورين.
- ١٤ - أذكر تعريفا مختصرا للبلدان الوارد ذكرها في البحث.
- ١٥ - أرتب المصادر والمراجع مفهومة على حروف المعجم؛ حسب أول حرف من المصدر أو المرجع.
- ١٦ - أضع الفقرات المنقولة -من باب الأمانة العلمية- بين علامتي تنصيص، وأشير إلى ذلك في الحاشية.
- ١٧ - عند النقل من المصادر والمراجع مع التصرف في النص فإنني أشير إلى ذلك بقولي "بتصرف".
- ١٨ - أجمعُ الأقوالَ في كل مبحث، ثم أخلص فيه بذكر ما صح أو رجع عند أهل العلم، وأذكر ما ظهر لي فيه من قول راجح.

🔗 منهج الدراسة:

- المنهج المتبع في هذه الدراسة مقسم إلى عدة مراحل وهي:**
- المرحلة الأولى: التعريف بالسورة من حيث اسمها، وفضائلها، وعدد آياتها، وتاريخ نزولها.
 - المرحلة الثانية: مكِّي السورة ومدنيُّها ومناسبتها لما قبلها ولما بعدها، ووجه اختصاصها بما اختصت به.
 - المرحلة الثالثة: أسباب نزول السورة، ومقاصدها.
 - المرحلة الرابعة: بيان مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها، واسمها لموضوعها، و فاتحة السورة وخاتمتها لموضوعها، ومناسبة فاتحة السورة لما قبلها، وخاتمة السورة لما بعدها.
 - المرحلة الخامسة: بيان الوحدة الموضوعية بين موضوعات السورة.

✦ خطة البحث:

يحتوي البحث في هذا الموضوع على مقدمة وبابين وخاتمة وهي على النحو التالي:

○ **المقدمة:** بيّنت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع في الدراسة.

○ **الباب الأول:** مقدّمات تعريفية في سورة الرعد، ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول:

● **التمهيد:** التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة، لغة واصطلاحًا.

● **الفصل الأول:** بين يدي السورة الكريمة، وفيه أربعة مباحث:

■ المبحث الأول: اسم السورة الكريمة، وما اشتهر لها من أسماء.

■ المبحث الثاني: ما ورد في فضل السورة.

■ المبحث الثالث: عدد آيات السورة، واختلاف العلماء في ذلك.

■ المبحث الرابع: تاريخ نزول السورة الكريمة.

● **الفصل الثاني:** مكّي السورة ومدنيّها، ومناسبتها لما قبلها ولما بعدها،

ووجه اختصاصها بما اختصت به. ويشتمل على ثلاثة مباحث:

■ المبحث الأول: المكّي والمدني في السورة.

■ المبحث الثاني: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها.

■ المبحث الثالث: وجه اختصاص السورة بما اختصت به.

● **الفصل الثالث:** أسباب نزول السورة، ومقاصدها، وأهدافها. ويشتمل على

مبحثين:

■ المبحث الأول: أسباب النزول الواردة في السورة.

■ المبحث الثاني: مقاصد السورة الكريمة، وأهدافها.

○ **الباب الثاني:** التناسق الموضوعي: دراسة تطبيقية، ويشتمل على ثلاثة فصول:

● **الفصل الأول:** محور السورة الكريمة، ومناسبة اسم السورة، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: محور السورة الكريمة.
- المبحث الثاني: مناسبة اسم السورة لموضوعاتها.
- المبحث الثالث: مناسبة فاتحة السورة لخاتمها، وفاتحتها وخاتمها لموضوعاتها.

● **الفصل الثاني:** موضوعات السورة الكريمة، وبيان التناسق فيها، ويشتمل على تمهيد وخمسة مباحث:

■ المبحث الأول: مظاهر القدرة الربانية، ويشتمل الآيات من (١-١١) وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان تناسق افتتاحية السورة مع موضوعاتها.

المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات.

المطلب الثالث: الغرض الذي سبقت له الآيات.

■ المبحث الثاني: خضوع المخلوقات لله، وإثبات الوحدانية، وذم كفر الكافرين، ويشمل الآيات من (١٢-١٦) وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التناسق الموضوعي لما قبلها.

المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات.

المطلب الثالث: الغرض الذي سبقت له الآيات.

■ المبحث الثالث: ضرب الأمثال للحق والباطل واختلاف مصير المؤمنين عن مصير الكافرين ويشمل الآيات (١٧-١٨) وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التناسق الموضوعي لما قبلها.

المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات.

المطلب الثالث: الغرض الذي سبقت له الآيات.

■ **المبحث الرابع: صفات المؤمنين أولي الألباب؛ مقابل صفات الكفار العميان، وصورة الكفار العميان، وصورة أخرى لأصحاب القلوب المطمئنة. ونقض الشرك بالله وعذاب الكافرين؛ مقابل نعيم المؤمنين. ويشمل الآيات من (١٩-٣٥) وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: التناسق الموضوعي لما قبلها.

المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات.

المطلب الثالث: الغرض الذي سبقت له الآيات.

■ **المبحث الخامس: إثبات الوحي والرسالة والوحدانية ودم إنكار الكفار قدرة الله المطلقة وتهديد منكري النبوة ويشمل الآيات (٣٦-٤٣).**

المطلب الأول: التناسق الموضوعي لما قبلها.

المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات.

المطلب الثالث: الغرض الذي سبقت له الآيات.

● **الفصل الثالث: التفسير التحليلي للسورة الكريمة في ضوء تناسقها**

الموضوعي.

○ **الخاتمة.** وتشمل على:

■ **أولاً: نتائج البحث.**

■ **ثانياً: توصيات الباحث.**

○ **الفهارس العامة.** وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار.

ثالثاً: فهرس الأعلام.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

وأخيراً: أحمّد الله ﷻ الذي أسبغ نعمه عليّ ظاهرة وباطنة، وشرح بنوره الصدور، وأقرّ بفضل العيون، على ما غمرني به من سداد وتوفيق، وما منحني به من صبر وثبّيت، حتى تم إنجاز هذه الرسالة، التي أسأل الله أن تكون خالصة لوجهه الكريم.

الباب الأول

مقدمات تعريفية في سورة الرعد، وفيه تمهيد ثلاثة فصول وهي:

- ✪ التمهيد: التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحاً.
- ✪ الفصل الأول: بين يدي السورة الكريمة ويشتمل على اسم السورة وفضلها وعدد آياتها وتاريخ نزول السورة.
- ✪ الفصل الثاني: مكية السورة ومدنيتها ومناسبتها لما قبلها ولما بعدها ووجه اختصاص السورة بما اختصت به.
- ✪ الفصل الثالث: أسباب نزول السورة ومقاصدها وأهدافها.

التمهيد

يتألف مصطلح التناسق الموضوعي من جزأين أو كلمتين رُكِّبًا تركيبًا وصفيًا، وهما: «التناسق» و«الموضوعي» ولهذا سأورد تعريف كل منهما في اللغة والاصطلاح، منفردة. ثم أورد تعريف كلاً من "السورة" و"الآية" حتى يتضح المقصود من هذا المصطلح.

التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحاً:

التناسق لغة: النون والسين والقاف؛ أصل صحيح، يدل على تتابع في الشيء.

النسق من كل شيءٍ: ما كان على طريقة نظام واحد؛ عام في الأشياء، وقد نسقته تنسيقاً خفيفاً. قال ابن سيده^(١) في المحكم: نسق الشيء ينسقه نسقاً و نسقه نظمه على السواء"، وانتسق هو، والاسم النسق، وقد انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت. والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق، لأن الشيء إذا عطف عليه شيئاً بعده جرى مجرى واحداً^(٢).

وناسق بين الأمرين: تابع بينهما، ولاعم نسقه: نظمه، انتسقت الأشياء: انتظم بعضها إلى بعض، يقال: نسقتها فانتسقت، تناسقت الأشياء: انتسقت، ويقال تناسق كلامه تنسقت الأشياء: انتسقت، فالنسق ما كان على نظام واحد من كل شيء يقال جاء القوم نسقا وزرعت الأشجار نسقا^(٣).

قال الخليل بن أحمد^(٤) ٥: "النسق: من كل شيء ما كان على طريقة نظام

(١) ابن سيده/إمام اللغة أبو الحسن؛ علي بن إسماعيل المرسي، الضرير صاحب كتاب "المحكم" في لسان العرب وأحد من يضرب بذكائه المثل قال: وكان أعمى.. استطاع ابن سيده أن يلمّ بعلم اللغة العربية وينبغ في آدابها ومفرداتها، لم يكن في زمنه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بعلمها، توفي ابن سيده في "دانية" بالأندلس، سنة ثمان وخمسين وأربعمائة من الهجرة، وعمره ستون سنة أو نحوها. انظر: سير أعلام النبلاء ط الحديث (٣٥٣/١٣).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي(٤٢٠/٢٦) لسان العرب(٣٥٣/١٠).

(٣) لسان العرب (٣٥٣/١٠) بتصرف يسير.

(٤) هو: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري. وهو عربي الأصل من أزد عُمان. لغوي ومعجمي ومنشئ علم العروض نشأ الخليل بن أحمد بالبصرة وتربى فيها، كان أستاذاً للعربية وإماماً في دراستها. وللخليل من التصانيف: كتاب العين وكتاب النغم وكتاب العروض و

واحد، عامّ في الأشياء، وقد نسّقتَه تنسيقاً، ويخفف فيقال نسّقتَه نسقاً، ويقال انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض؛ أي تنسّقت^(١) قال الزمخشري^(٢): "نسّق الدرر وغيره، ونسّقه، ورد منسوق ومتّسق، وتنسّقت هذه الأشياء وتناسق^(٣)، ويقول ابن القطاع^(٤) : "وأنسقت الفسيلة قلبها والشجر والكرم: أنبتا بعد القطع"^(٥) ويقول الفيومي^(٦) : "نسقت الدرّ نسقا، من باب قتل، نظمته ونسقت الكلام نسقا؛ عطفت بعضه على بعض"^(٧).

ونخلص مما سبق إلى: أنّ معاني "تناسق الكلام" في اللغة ما يلي:

- ١- نظم الكلام، وحسن تركيبه.
- ٢- عطف الكلام بعضه على بعض، والنحويون يسمون حروف العطف: حروف النسق.

—
= كتاب الشواهد و النقط والشكل و كتاب الإيقاع. نقلا عن الموسوعة العربية العالمية، توفي ٥ سنة: (١٧٠هـ-٧٨٦م) انظر: الأعلام للزركلي (٣١٤/٢).

(١) العين (٨١/٥).

(٢) هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم). أشهر كتبه (الكشاف) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة) و (المفصل) ومن كتبه (المقامات) و (الجمال والأمكنة والمياه) و (المقدمة) سافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها. (٥٣٨هـ-١١٤٤م). انظر: الأعلام للزركلي (١٧٨/٧).

(٣) أساس البلاغة (٢٦٦/٢).

(٤) هو: علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القطاع: عالم بالأدب واللغة من أبناء الأغلبية السعديين أصحاب المغرب. ولد في صقلية. له تصانيف، منها «كتاب الأفعال» ثلاثة أجزاء، في اللغة، و «أبنية الأسماء» و «الدرة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة»، و «لمح الملح» جمع فيه طائفة من شعر الأندلسيين، و «العروض البارع» و «الشافي في القوافي» و «أبيات المعاينة» و «فرائد الشذور وقلائد النحور» وتوفي ٥ بالقاهرة. سنة: (٥١٥هـ-١٢١١م). انظر: الأعلام للزركلي (٢٦٩/٤).

(٥) الأفعال (ج ٣، ص ٢٢٨).

(٦) هو: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس: لغوي، اشتهر بكتابه (المصباح المنير) ولد ونشأ بالفيوم (بمصر) ورحل إلى حماة (بسورية) ففطنها. وفي كشف الظنون: فرغ من تأليف المصباح في شعبان سنة ٧٣٤ وله أيضا (نثر الجمان في تراجم الاعيان) و (ديوان خطب) توفي ٥ سنة: (٧٧٠هـ-٣٦٨م). انظر: الأعلام للزركلي (٢٢٤/١).

(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٦٠٣/٢).

التناسق اصطلاحاً:

استعمل بعض أهل العلم هذه اللفظة في كلامهم بما لا يخرج عن معنى التعريف اللغوي السابق، ومن ذلك ما جاء في كلام صاحب مناهل العرفان منّا القطان رحمه الله تعالى، نقلاً عن القاضي أبي بكر ابن العربي رحمه الله تعالى: عند حديثه عن الخاصية الرابعة من خصائص القرآن الكريم، حيث قال: جودة سبك القرآن وإحكام سرده، ومعنى هذا: أن القرآن بلغ من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته، وجمله، وآياته، وسوره، مبلغاً لا يدانيه فيه أي كلام آخر، مع تنوع مقاصده، في الموضوع الواحد... فإذا هو وحدة متماسكة، متألّفة، على حين أنه كثرة متنوعة، فبين كلمات الجملة الواحدة من التناسق، ما جعلها رائعة التجانس، والتجاذب، والتشابك، والترابط، بين جمل السورة الواحدة، قال تعالى:

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ أَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(١) مما جعلها وحدة مترابطة الآيات^(٢).

وقيل في تعريفه: هو التآلف والتآخي بين الألفاظ المتتالية، فلا يكون بينهما تنافر، ولا تنبو واحدة عن أختها في النطق، وكذلك تتآخي فيه المعاني، وفي مجموعتها اندماج؛ يناسب الآيات، ويعطي صورة بيانية رائعة، ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له صورة في النفس، فيتكلم بها البيان، واختيار الألفاظ من ناحية معانيها، وقوة تماسكها بعضها ببعض^(٣).

والتناسق في الأسلوب هو أن يتم تنظيم العبارات فيه، بحيث يكون متلائماً على طريقة واحدة، ونظام واحد، متناسق التنظيم، متناسب الفقرات، حسن الإيقاع^(٤).

ويمكن أن يقال أن التناسق في القرآن هو: تنظيم العبارات، وترابطها، وتآلفها، وتآخيتها، بحيث لا يكون بينها تنافر.

(١) الزمّر: ٢٨

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني (٢/٣١٦-٣١٥) بتصرف.

(٣) المعجزة الكبرى القرآن (٩٤/٩٥) بتصرف.

(٤) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور (١/٨٢)، الفصل والوصل في القرآن الكريم (١/٩١)، التصور الفني في القرآن (١/١٠٧) بتصرف.

الموضوع في اللغة:

"وهو اسم مفعول، وفعله وضع، والمصدر وضعا وموضعا؛ والوضع: الخفض للشيء وحطّه وهو ضد الرفع وأعم من الحطّ"^(١)، والوضع هو الدنيء المهان الدليل، الذي قعدت به همته أو نسبه، فكأنه ملقى على الأرض، موضوع عليها، لا يفارق موضعه الذي التصق به"^(٢)، ويعرفه مصطفى مسلم بقوله: هو "من الوضع، وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء كان ذلك بمعنى الحطّ والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتنشيط في المكان، يقال ناقه واضعة: إن رعت الحمض حول الماء ولم تبرح، وقيل: وضعت تضع وضيعة فهي واضعة، وكذلك موضوعة يتعدى ولا يتعدى"^(٣).

وهو الشيء الذي له صفة معينة، وجعل له مكانا معيناً لا يبرحه إلى غيره"^(٤).

ونخلص مما سبق إلى أنّ الموضوع في اللغة: ضد الرفع. وهو بمعنى الحط والخفض.

وقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾^(٥) قَالَ ابن منظور: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ^(٦): I مَعْنَاهُ: أَنْ يَضَعْنَ الْمَلْحَفَةَ وَالرِّدَاءَ"^(٧).

(١) المفردات في غريب القرآن الراغب، الحسين بن محمد الأصفهاني.

(٢) يراجع: تاج العروس الزبيدي (٣٤١-٣٣٥/٣).

(٣) مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم (١٥/١).

(٤) المدخل إلى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد (٢٣).

(٥) النور: ٦٠

(٦) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: صحابي من أكابرهم، فضلا وعقلا، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادماً رسول الله ﷺ، له ٨٤٨ حديثاً. توفي I في المدينة سنة: (٣٢-٦٥٣م). انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٨٩/٣)، الأعلام للزركلي (١٣٧/٤).

(٧) لسان العرب (٣٩٦/٨)، والمحكم والمحيط الأعظم (٢٩٤/٢).

الموضوع في الاصطلاح:

هو: "المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه"^(١).

السورة لغة:

"(السورة) تُهمز ولا تُهمز: فمن همزها جعلها من أسارت، يعني أفضلت لأنها قطعة من القرآن، ومن لم يهمزها جعلها من سورة البناء، أي: منزلة بعد منزلة"^(٢). وقيل هي مشتقة من سور المدينة، شبهت به لإحاطتها بآياتها، واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور، أو من التسور بمعنى التصاعد، والتركيب، لعلو شأنها وشأن قارئها، وتطلق أيضاً على المنزلة الرفيعة"^(٣).

نخلص مما سبق إلى أن تعريف السورة في اللغة: التصاعد وتركيب بعضها على بعض لعلو شأنها.

السورة في الاصطلاح:

حدّ السورة: قرآن يشتمل على أي ذوات فاتحة وخاتمة؛ لا يتغيران، مسماة باسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر، في غرض تام ترتكز عليه معاني آياتها، ناشئ عن أسباب النزول، أو مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة"^(٤). وقيل هي "طائفة من الآيات القرآنية لها بدء ونهاية"^(٥)، والتي جمعت بعضها إلى بعض؛ واختلفت في طولها وقصرها؛ لحكمة أرادها الله تعالى"^(٦).

ونخلص مما سبق إلى أن تعريف السورة اصطلاحاً هي: طائفة من الآيات القرآنية لها بداية ونهاية.

(١) المعجم الوسيط (٢ / ١٠٤٠).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (٣٥/١).

(٣) يراجع: لسان العرب، ابن منظور: (٢١٤٧/٣).

(٤) البرهان في علوم القرآن (١/٢٦٤)، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور (١/٢٤) بتصرف.

(٥) دراسات في علوم القرآن، محمد بكر أسماعيل (١/٥٦).

(٦) وحدة النسق في السور القرآنية، فوائدها وطرق دراستها: لرشيد الحمداوي (١٤٠) بتصرف.

تعريف التناسق الموضوعي في اصطلاح المفسرين:

هو مدى المناسبة بين موضوعات السورة الواحدة، حيث يكون بين موضوعاتها التلاؤم، والانسجام، والنظام، والتتابع^(١)، وقيل: هو "إبراز نظام البناء الموضوعي للسورة؛ في ترتيب وترابط وانسجام"^(٢).

ونخلص مما سبق أنّ التناسق الموضوعي هو: علم يبحث عن اتساق موضوعات السورة الواحدة وتتابعها في شكل منظم.



(١) يراجع: مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور (١/١٢١)، مباحث في التفسير الموضوعي (١/١٧٩).

(٢) مذكرة في التناسق الموضوعي في السور القرآنية، د/محمد بن عمر بن سالم بازامول (ص ١١).

الفصل الأول

اسم السورة الكريمة وفضلها وعدد آياتها

وفيه أربعة مباحث: -

❖ المبحث الأول: اسم السورة.

❖ المبحث الثاني: فضل السورة.

❖ المبحث الثالث: عدد آيات السورة.

❖ المبحث الرابع: تاريخ نزول السورة.

المبحث الأول

اسم السورة الكريمة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: وجه اختصاص أسماء السور.

المطلب الثاني: اسم السورة الكريمة.

* * * * *

المطلب الأول: وجه اختصاص أسماء السور.

تمهيد:

حينما ننظر في كتاب الله تعالى، ونتأمل آياته الكريمة، نجد أنه معجز بألفاظه ومعانيه وأحكامه.

والقرآن وما حوى من سور؛ لها أيضاً أسماء تسمى بها كل سورة، لتمييزها عن غيرها من السور.

فينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب، يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم؛ لذكر قصة البقرة المذكورة فيها؛ وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردّد فيها من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها.

فقد يكون للسورة اسم، وقد يكون لها اسمان، كسورة البقرة، يقال لها: فسطاط القرآن، وقد يكون لها ثلاثة أسماء، كسورة المائدة تسمى كذلك سورة العقود، والمنقذة.

وقد يكون لها أكثر من ذلك، كسورة براءة، والتوبة، والفاضحة، والحافرة، وسورة الفاتحة، وأم الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، فعند البحث عن تعدد هذه الأسماء، هل هو توقيفي أم بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يُعَدَم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها، وهو بعيد^(١).

(١) البرهان في علوم القرآن (١/٢٦٩-٢٧٠) بتصرف.

الفوائد والحكم من تسوير القرآن :

لتجزئة القرآن إلى سور فوائد وحكم:

- ١- أنّ طول السورة ليس شرطاً في إعجازها، بل هي معجزة وإن بلغت الغاية في القصر، كسورة الكوثر.
- ٢- أنّ التفصيل بحسب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحق المعاني والنظم^(١).
- ٣- "أنّ القارئ إذا أتمّ سورة، أو باباً من الكتاب، ثمّ أخذ في آخر، كان أنشط له، وأبعث على التحصيل منه"^(٢).



(١) يراجع: تفسير الزمخشري (٩٨/١).

(٢) دراسات في علوم القرآن، محمد بكر اسماعيل (٥٦/١).

المطلب الثاني: اسم السورة الكريمة

سميت سورة الرعد بهذا الاسم؛ من عهد الرسول ﷺ، وعهد السلف الصالح، ولم يرد لها اسم آخر غير هذا الاسم، فقد سميت بإضافتها إلى الرعد، لورود ذكر الرعد فيها^(١)، وجاء الكلام عن الرعد، والبرق، والصواعق، وإنزال المطر من السحاب، في قوله تعالى: ﴿وَيَسِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]، وكذا لأن الرعد لم يذكر في سورة مثل هذه السورة^(٢) "ولما اشتملت عليه من تقديس الرعد لله تعالى"^(٣)

وروي في الحديث أن قوماً سمعوا الرعد فكبروا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا سمعتم الرعد فسيحوا ولا تكبروا^(٤).

فهذه الظاهرة الكونية العجيبة، تتجلى فيها قدرة الله تعالى على جعل الماء سبباً للحياة، فأنزله بقدرته من السحب الكثيفة، وقرن هذا السحاب بالبرق والرعد، وكلها أمور كونية عجيبة، جمع الله تعالى فيها بين المتقابلات، والتي يعجز عنها البشر، فالماء تطفئ النار؛ ومع ذلك فقد جعل الله تعالى في السحاب الرحمة والعذاب، فهو يحمل المطر، والبرق والرعد.

وقد عبّر الله ﷻ عن صوت الرعد بقوله تعالى: ﴿وَيَسِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ

(١) يراجع: التحرير والتنوير (٧٥/١٣)، التفسير المنير للزحيلي (٩٦/١٣)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٤٣١/٧).

(٢) منقول من رسالة المناسبة بين الفواصل بتصريف (ص ٢٥).

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ط ٢٠ القاهرة ١٤٢٣ هـ، مجموعة من علماء، ص ٤٠٧ الأزهر.

(٤) أخرجه أبو داود في المراسيل (ص: ٣٥٦) رقم: ٥٣١، من حديث عبيد الله بن أبي جعفر مرفوعاً، وعبيد الله ثقة من صغار التابعين فحديث مرسل، انظر تقريب التهذيب رقم: (٤٢٨١).

الْمَحَالِ ﴿الرعد: ١٣﴾، فجعل سبحانه صوت الرعد تسبيحًا وحمدًا، واتباعًا لمنهج التصوير القرآني في مثل هذا السياق، وخلع سمات الحياة وحركاتها على مشاهد الكون الصامتة، لتشارك في المشهد بحركة من جنس حركة المشهد كله، وقد انضم إلى تسبيح الرعد بحمد الله؛ تسبيح الملائكة من خوفه، ومن تعظيمه، قال تعالى: ﴿وَيَسِّحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾^(١).

يقول القاسمي: "مع الإخبار عن الأمور الملكوتية، ومع كون الرعد جامعا للتخويف والترجية، وهذه من أعظم مقاصد القرآن"^(٢).

ولأن الرعد نموذج للمقابلات، فهو من ناحية علمية، يحمل في طياته شحنات متقابلة، سالبة وموجبة. ومن ناحية إيمانية، فهو يظهر الرعب والخوف، وكأن آيات الله الكونية في السورة -وعلى رأسها الرعد- توجه لنا نفس الرسالة، وهي أن لا ننخدع بظاهر الأشياء، بل ننظر إلى باطنها، لأن الرعد يحمل الخير والمطر للناس، فصوته رهيب من الخارج، لكن باطنه يسبح الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَيَسِّحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

وتسبح الملائكة الكرام من هيئته وجلاله، ثم تتم الصورة الرهيبة، المشمولة بالرهبة، والانبهار، والبرق، والرعد، والسحاب الثقال، بإرسال الصواعق، فيصيب الله بها من يشاء^(٣).

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها • عبد الله شحاته (١٥٥ - ١٥٦) بتصرف.

(٢) تفسير القاسمي (٢٣٥/٦).

(٣) تيسير التفسير للقطان (٢٥٧/٢) بتصرف.

المبحث الثاني

فضل السورة الكريمة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: فضائل السور.

المطلب الثاني: فضل السورة الكريمة.

* * * * *

المطلب الأول: فضائل السور

إنّ لمعرفة فضائل السور أهمية عظيمة، وذلك لما ورد في بعضها من أحاديث صحيحة عن الرسول ﷺ، تجعل النفس تقبل على معرفة هذه الفضائل، وتبحث عنها.

أهمية معرفة فضائل السور

وتظهر الأهمية في ذكر هذه الفضائل، لأن بعضاً منها انتشرت بين عامة الناس؛ ولم تثبت بطريق صحيح عن الرسول ﷺ، فيجب بيان ذلك وتحذير الناس منها.

وفي المقابل إذا وردت أحاديث صحيحة في فضائل بعض السور عن الرسول ﷺ، فإن هذا مما يسعد القلب، ويثلج الصدر، لأنها مدعاة لزيادة الرغبة في تلاوة القرآن، من أجل التعبد بتلاوته ليلاً ونهاراً.

وقد ورد في عدد من السور والآيات؛ أحاديث صحيحة في فضائلها، فمنها المعوذات، وآية الكرسي، وغيرها. فعن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(١) قال: فضرب في صدري، وقال: «والله ليَهْنِكَ العلم أبا المنذر»^(٢) فالقرآن الكريم فيه الهدى، والشفاء، وبه تطمئن القلوب^(٣).

للقرآن الكريم فضل كبير وعظيم، فهو كتاب أخرج الله تعالى به هذه الأمة من جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء.

وهو كتاب، ختم الله تعالى به الكتب، وأنزله على نبي ختم به الأنبياء، وبدين ختم به الأديان. وهو كلام الله العظمي، موصراطه المستقيم، ونظامه القويم، ناط به كل سعادة، وهو رسالة الله الخالدة، ومعجزته الدائمة، ورحمته

(١) البقرة: ٢٥٥

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، برقم (٨١٠)، (٥٥٦/١).

(٣) الإتيان في علوم القرآن (٤/١٢٧)، البرهان في علوم القرآن (١/٢٤٨) بتصرف.

الواسعة، وحكمته البالغة، ونعمته السابغة، نهل منه العلماء، وشرب من مشربه الأدباء، وخشعت لهيمنتهم الأبصار، وذلت له القلوب، وقام بتلاوته العابدون، والراكعون، والساجدون.

فالقرآن الكريم؛ منزل على رسول الله ﷺ، وهو في المصاحف مكتوب، وآيات القرآن في معنى الكلام كلها مستوية في الفضيلة، والعظمة، إلا أن لبعضها فضيلة الذكر، وفضيلة المذكور، مثل آية الكرسي؛ لأن المذكور فيها جلال الله تعالى، وعظمته، وصفاته، فاجتمعت فيها فضيلتان، فضيلة الذكر، وفضيلة المذكور. ولبعضها فضيلة الذكر فحسب، مثل قصة الكفار، وليس للمذكور فيها فضل وهم الكفار، وكذلك الأسماء والصفات كلها مستوية في العظمة والفضل لا تفاوت بينها.

قال ابن العربي^(١) : "إنما صارت آية الكرسي أعظم، لعظم مقتضاها، فإن الشيء إنما يشرف بشرف ذاته، ومقتضاه، ومتعلقاته، وهي في أي القرآن الكريم، قال تعالى في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢)، إلا أن سورة الإخلاص تفضلها بوجهين، أحدهما: أنها سورة، وهذه آية، فالسورة أعظم من الآية، ولأنه وقع التحدي بها، فهي أفضل من الآية التي لم يتحد بها.

والثاني: أن سورة الإخلاص اقتضت التوحيد في خمسة عشر حرفاً، وآية الكرسي اقتضت التوحيد في خمسين حرفاً، فظهرت القدرة في الإعجاز في كلام الله المكتوب، الذي لو مدته السبعة الأبحر لا ينفد، عدد حروفه خمسون كلمة، ثم يعبر عن معنى الخمسين كلمة، خمسة عشر كلمة، وذلك كله بيان لعظم القدرة، والانفراد بالوحدانية"^(٣).

(١) هو: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، صنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ، من كتبه (العواصم من القواصم) جزان، و (عارضه الأحوذى في شرح الترمذي) و (أحكام القرآن) مجلدان، توفي بالعدوة ودفن بمدينة فاس : (٤٥٣ هـ - ١٤٨ م). انظر: الأعلام للزركلي (٢٣٠/٦)، وفيات الأعيان (٢٩٦/٤ - ٢٩٧).

(٢) الإخلاص: ١

(٣) قانون التأويل، لابن العربي (٥٤٥ - ٥٤٦).

وهذه بعض الأدلة الواردة في فضائل القرآن، وتخصيص بعض السور والآيات بالتفضيل، وكثرة الثواب في تلاوتها^(١).

وقد أخبر الله ﷻ بها في كتابه الكريم، فقال تعالى في فضل سورة الفاتحة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(٢).

وقال ﷻ في فضل سورة الفاتحة: عن أبي سعيد بن المعلى^(٣) I، قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷻ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إنني كنت أصلي، فقال: "ألم يقل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾"^(٤).

ثم قال لي: «لأعلمتك سورة، هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد»، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: «ألم تقل لأعلمتك سورة هي أعظم سورة في القرآن»، قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ﴾^(٥).
«هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته»^(٦).

(١) لوامع الأنوار البهية- شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (١٨٠/١) بتصريف.

(٢) الحجر: ٨٧

(٣) هو: الحارث بن نفيع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة من بني زريق الأنصاري الزرقي. أمه أميمة بنت قرط بن خنساء، من بني سلمة. له صحبة، يعد في أهل الحجاز روى عنه حفص بن عاصم، وعبيد بن حنين. توفي I سنة أربع وسبعين، وهو ابن أربع وستين سنة. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٦٧٠/٤).

(٤) الأنفال: ٢٤

(٥) الفاتحة: ٢

(٦) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، برقم ٤٤٧٤، (١٧/٦).

ومن الأدلة الواردة في فضائل القرآن، وتخصيص بعض السور والآيات بالتفضيل، وكثرة الثواب، قوله ﷺ في سورة الكهف، فعن أبي الدرداء^(١) أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»^(٢).



(١) هو: عويمر بن عبد الله بن زيد ابن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث ابن الخزرج، من بلحارث بن الخزرج. وأمه محبة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة، تأخر إسلامه قليلاً، وكان آخر أهل داره إسلاماً، وحسن إسلامه، وكان فقيهاً عاقلاً حكيماً، أخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي. روى عنه O أنه قال: عويمر حكيم أمتي. شهد ما بعد أحد من المشاهد، واختلف في شهوده أحدًا. توفي I سنة: اثنتين وثلاثين بدمشق في خلافة عثمان. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٦٤٦/٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي، برقم (٨٠٩)، (٥٥٥/١).

المطلب الثاني: فضل السورة الكريمة

وسورة الرعد، من المثاني التي أخبر بها الرسول ﷺ^(١).

فعن واثلة بن الأسقع^(٢)، أن النبي ﷺ قال: "أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المثني، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل"^(٣).

والمقصود من السبع الطوال، والمثني، والمثاني، والمفصل:

الأول: الطوال، وهي سبع: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، واختلف في السابعة فقيل: "الأنفال والتوبة" معاً، لأنهم كانوا يعدونها سورة واحدة، لعدم الفصل بينهما بالبسمة، وقيل: إن السابعة هي سورة يونس.

- الثاني: المثون: وهي ما يلي السبع الطوال، سميت بذلك؛ لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية، أو تقاربها.

- الثالث: المثاني: وهي ما يلي المثين، وسميت بذلك لأنها تُتلى في الصلاة، وتكرّر أكثر من الطوال، والمثين.

(١) تفسير البيهقي إحياء التراث ج ١ ص ٦١ زاد المسير في علم التفسير ج ٤ ص ١٤١ ومصاعد النظر للأشراف على مقاصد السور ج ٢ ص ١٣٢ وأسرار ترتيب القرآن ٤٤ - التعريف بالقرآن.

(٢) هو: واثلة بن الأسقع بن عبد العزى الليثي الكناني: صحابي، من أهل الصفة كان، قبل إسلامه، ينزل ناحية المدينة فأعلن إسلامه للرسول ﷺ وشهد تبوك معه، وقيل: خدم النبي ﷺ ثلاث سنين. وشهد فتح دمشق، وسكن قرية "البلاط" على ثلاثة فراسخ منها وكف بصره. وهو آخر الصحابة موتاً في دمشق له ٧٦ حديثاً. وتوفي I بها سنة: (٨٣هـ-٧٠٢م). انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٥٦٣/٤)، الأعلام للزركلي (١٠٧/٨).

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، ج ٤/ص ١٠٧ وعلق على اسناده شعيب الأرنؤوط بأنه حسن، ومسند الطيالسي ج ٢ ص ٣٥١، والمعجم الكبير للطبراني الباب الخامس (من أسمه واثلة) ج ١ ص ٤٥١، ودلائل النبوة للبيهقي باب قدوم ضمام بن ثعلبة على الرسول ﷺ - (٤٧٥/٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ج ٥ ص ٣٨٦، وخالصة القول أن الحديث حسن لشواهد. انظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن لمحمد بن رزق بن طرهوني ج ١ ص ١٢٩.

- الرابع: المفصل: وهو ما يلي المثاني، من قصار السور إلى آخر القرآن، وسمى بالمفصل لكثرة الفصل بين سورته بالبسملة، وقيل لقلّة المنسوخ منه، ولهذا يسمى بالمحكم أيضاً^(١).



(١) يراجع: الاتقان في علوم القرآن (٩٨/١)، دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (١٠٧/١).

المبحث الثالث

عدد آيات السورة وأقوال العلماء فيها

ويشتمل على مطلبين:

• المطلب الأول: تعريف الآية في اللغة والاصطلاح.

• المطلب الثاني: عدد آيات سورة الرعد.

* * * * *

المطلب الأول: تعريف الآية في اللغة والاصطلاح

يعدّ علم عد أي السور، من العلوم التي حرص كثير من العلماء على البحث عنه، الوقوف عليه، لا سيما وقد ورد ذكره في القرآن.

تعريف الآية في اللغة والاصطلاح:

أهتم العلماء بتعريف الآية في اللغة، والاصطلاح، وقد اخترت بعض هذه التعريفات، وهي:

١- العلامة، والعبارة: قال الرّاعب ^(١): "الآية: العلامة الظاهرة، وحقيقته كل شيء ظاهر، هو لازم لشيء لا يظهر ظهوره" ^(٢).

٢- المعجزة: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ ^(٣).

٣- الجماعة: لأنها جماعة كلمة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ

آيَةٍ﴾ ^(٤).

٤- البناء العالي، وفي التنزيل العزيز؛ قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ

آيَةٍ﴾ ^(٥).

(١) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء من أهل (أصبهان) من كتبه (محاضرات الأدباء) مجلدان، و (الذريعة إلى مكارم الشريعة) و (الأخلاق) و (جامع التفاسير) و (المفردات في غريب القرآن) و (حلّ متشابهات القرآن) و كتاب في (الاعتقاد) و (أفانين البلاغة) توفي سنة ٥٠٢هـ-١١٠٨ م. انظر: الأعلام للزركلي (٢/٢٥٥)، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٢٠/١٨).

(٢) تاج العروس (١٢٥/٣٧)، المفردات في غريب القرآن (١٠١/١).

(٣) المؤمنون: ٥٠

(٤) النحل: ١٠١

(٥) الشعراء: ١٢٨

٦- الآية العجب: تقول العرب: فلان آية في العلم، وفي الجمال، فكأن كل آية عجب في نظمها، والمعاني المودعة فيها^(١).

ونخلص مما سبق: إلى أن هذه المعاني كلها، التي وردت في المعنى اللغوي هي مراده **آية** في تسمية القطعة، ذات المبتدى والمنتهى، المدرجة في السورة من القرآن الكريم.

تعريف الآية في الاصطلاح:

حدّ الآية: قرآن مركب من جمل، ولو تقديرا، ذو مبدأ ومقطع، مندرج في سورة، وأصلها العلامة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾^(٢).

وقيل: هي الواحدة من المعدودات في السور، سميت به لأنها علامة على صدق من أتى بها، وعلى عجز المتحدى بها.

وقيل: لأنها علامة انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعها عما بعدها.

وقيل: هي طائفة ذات مطلع، ومقطع، مندرجة في سورة من القرآن^(٣).

نخلص مما سبق: إلى أن الآية هي جزء من السورة، لها بداية ونهاية.

(١) يراجع: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، تحقيق: محمد علي (٦٥/النجار، بيروت: المكتبة العلمية ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م، معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (٥/١٦٨) البرهان في علوم القرآن (٢٦٦/١) المدخل إلى علوم القرآن الكريم (ص: ١٣٤) علوم القرآن الكريم - نور الدين عتر (ص: ٣٩) بتصرف.

(٢) البقرة: ٢٤٨

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢٦٦/١-٢٦٧)، الإتيان في علوم القرآن (٢٣٠/١)، دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (١١٥/١).

المطلب الثاني: عدد آيات سورة الرعد

وقع اختلاف بي العلماء في عدد آياتها، وهذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف السامعين من الصحابة M عن الرسول ﷺ، لأنه كان يقف على رءوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلها؛ وصل للتمام، فوعى بعض السامعين عند الوصل أن ليس ثمة فصل، ومن هنا وقع الخلاف^(١).

وهذه الآيات التي وقع الخلاف في احتسابها بين القراء في هذه السورة: عدّها الشامي، ولم يعدّها الباقون، في قوله تعالى: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ

وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦]

لم يعدّها الكوفي، وعدّها الباقون، في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٨] عدّها الشامي، ولم يعدّها الباقون، في قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣].

لم يعدّها المدنيان والمكي وعدّها الباقون. وهي: ثلاث وأربعون آية في الكوفي، وأربع وأربعون في المدنيين^(٢) والمكي، وخمس وأربعون في البصري، وسبع وأربعون في الشامي.

اختلفها خمس آيات، في قوله تعالى: ﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥] لم يعدّها الكوفي وعدّها الباقون، في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [الرعد: ١٦].

وفيها مما يشبه الفواصل وليس معدودا بإجماع؛ موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠]^(٣).

(١) الموسوعة القرآنية (٣٣٢/١) بتصرف.

(٢) المدنيين/الأول: الأمام، وهو المصحف الذي احتسبه سيدنا عثمان I لنفسه، وعنه ينقل أبو عبيد القاسم بن سلام، الثاني: المدني: وهو المصحف الذي كان بأيدي أهل المدينة، انظر: فنون الأفتان في عيون علوم القرآن (٢٤٠/١)، تنبيه الخلان بتكميل مورد الظمان؛ مطبوع ضمن كتاب دليل الحيران على مورد الظمان (٤٥٠/١).

(٣) البيان في عدّ آي القرآن، ص (١٩٦) بتصرف.

نزلت بعد سورة محمد، قال بذلك كل من الزمخشري وابن جزى^(١)
والمراغي^(٢) رحمهم الله تعالى.

وهي من المثاني، ترتيبها الثالثة عشرة^(٣).

ونخلص مما سبق:

أن الأدلة القويّة تدل على أنّ سورة الرعد مدنيّة، و عدد آياتها ثلاث وأربعون آية.



(١) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة. من كتبه " القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية " بتونس، و " تقريب الوصول إلى علم الأصول " و " الفوائد العامة في لحن العامة " و " التسهيل لعلوم التنزيل، و " الأنوار السنية في الألفاظ السنية " و " وسيلة المسلم " في تهذيب صحيح مسلم، و " البارع في قراءة نافع "، توفي سنة: (٧٤١هـ-١٣٤٠م). انظر: الأعلام للزركلي (٣٢٥/٥).

(٢) هو: أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء. تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩ ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها. عين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم. وتوفي بالقاهرة. له كتب، منها (الحسبة في الإسلام) رسالة، و(الوجيز في أصول الفقه) و(تفسير المراغي) ثمانية مجلدات، و(علوم البلاغة) توفي سنة: (١٣٧١هـ-١٩٥٢م). انظر: الأعلام للزركلي (٢٥٨/١).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٣٣٩/٦).

المبحث الرابع

تاريخ نزول السورة

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: الترتيب الزمني للنزول.
- المطلب الثاني: تاريخ السورة، والجو العام الذي نزلت فيه.

* * * * *

المطلب الأول: الترتيب الزمني للنزول

سورة الرعد، التي بسط الله تعالى فيها كثيرًا من آياته الدالة على وحدانيته، وعظيم قدرته، وجودة في النظم، وحسن السبك، وروعة التصوير، وما اشتملت عليه من الوعد والوعيد، ومن الترغيب والترهيب، في ذلك الأسلوب المحكم البديع آياته. والتي ابتدأت ببيان منزلة القرآن الكريم، وأنه بوحى من الله تعالى. ثم بيّنت سلطان الله تعالى في الكون، ونبّهت إلى ما فيه من إبداع ومنافع. ثم انتقلت من بيان قدرة الله تعالى في الإنشاء إلى قدرته على الإعادة والبعث، وعلم الله تعالى بكل شيء، وإلى بيان قدرته على العقاب في الدنيا، وعليه يقاس العقاب في الآخرة. ثم وجهت الأنظار إلى ما في الكون من عجائب تبهر. وبعد ذلك بيّن الله تعالى أحوال الناس؛ في تلقيهم للهدى القرآني، ثم ذكر أوصاف المؤمنين في علاقتهم بالإنسانية، وأخلاق الكافرين، وتعنّتهم في طلب معجزات غير القرآن، مع عظم منزلته، وبين للرسول ﷺ أنه قد استهزئ برسول من قبله، وأن الله تعالى قائم على الأشياء والنفوس، وأنه مجاز كلاً بما يستحق، وأن القرآن هو المعجزة الكبرى الباقية إلى يوم القيامة، وأن الله تعالى هو الذي يؤيد رسله بما يراه من معجزات، وإذا كان المشركون ينكرون رسالة النبي ﷺ، فالله يشهد بصدقها، وحسبه ذلك، وكفى.

• الترتيب الزمني لنزول سور القرآن:

"إن الترتيب الزمني للنزول لا يمكن القطع فيه الآن بشيء، اللهم إلا من ناحية أنّ هذا قرآن مكّي، وهذا قرآن مدني، على وجه الإجمال، على ما في هذا من خلافاً قليلة، فأما الترتيب الزمني المقطوع به من ناحية زمن نزول كل آية، أو كل مجموعة من الآيات، أو كل سورة، فيكاد يكون متعذراً، ولا يكاد يجد الإنسان فيه اليوم شيئاً مستيقناً؛ إلا في آيات معدودات، تتوافر بشأنها الروايات، أو تقطع بشأنها بعض الروايات"^(١).

(١) في ظلال القرآن (٣/١٤٢٩). المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (١/١٦٠) خالد بن سليمان المزيني دار ابن الجوزي، الدمام - السعودية الطبعة: الأولى، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)

المطلب الثاني: تاريخ السورة والجو العام الذي نزلت فيه

قبل أن نُدلج إلى معاني السورة؛ فينبغي أن نستحضر الجو الذي نزلت فيه سورة الرعد.

فقد نزلت سورة الرعد بعد سورة محمد، ونزلت سورة محمد بعد سورتين من نزول سورة النساء، وكان نزول سورة النساء فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك، فيكون نزول سورة الرعد في ذلك التاريخ أي في المدينة، إلا أن موضوعاتها تشابه القرآن المكي^(١).

وهذه السورة؛ تطوف بالقلب البشري في مجالات وآفاق وآماد وأعماق، وتعرض عليه الكون كله في شتى مجالاته الأخاذة: في السماوات المرفوعة بغير عمد، وفي الشمس، والقمر، كلّ يجري لأجل مسمى، وفي الليل يغشاه النهار، وفي الأرض الممدودة، وما فيها من رواس نابثة، وأنهار جارية، وجنات، وزرع ونخيل، مختلف الأشكال والطعوم والألوان، ينبت في قطع من الأرض متجاورات، ويسقى بماء واحد، والبرق يُخيف ويُطمع، والرعد يسبح ويحمد، والملائكة تخاف وتخشع، والصواعق يصيب بها من يشاء، والسحاب الثقال والمطر في الوديان، والزبد الذي يذهب جفاء، ليبقى في الأرض ما ينفع الناس.

وهي تلاحق ذلك القلب أينما توجه: تلاحقه بعلم الله جل في علاه، النافذ الكاشف الشامل، يلّم بالشارد والوارد، والمستخفي والسارب، ويتعقب كل حي، ويحصي عليه الخواطر والخواالج.

والغيب المكنون الذي لا تدركه الظنون مكشوفٌ لعلم الله تعالى، وما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد.

إنها تقرب لمدارك البشر شيئاً من حقيقة القوة الكبرى، المحيطة بالكون ظاهره وخافيه، جليله ودقيقه، حاضره وغائبه. وهذا القدر الذي يمكن لمدارك البشر تصوره؛ هائل مخيف، ترجف له القلوب.

(١) يراجع: الموسوعة القرآنية خصائص السور (١٩٥/٤).

وذلك بضرب الأمثال المصورة، التي تتمثل في مشاهد حيّة حافلة بالحركة والانفعال، إلى مشاهد القيامة، وصور النعيم والعذاب، إلى وقفات على مصارع الغابرين^(١).



(١) يراجع: تأويل مشكل القرآن (١ / ١٩٦)، في ظلال القرآن (٤/٢٠٣٩-٢٠٤١).

الفصل الثاني

**مكية السورة ومدنيتها ومناسبتها لما قبلها وما بعده
ووجه اختصاصها بما اختصت به**

وفيه ثلاثة مباحث: -

❖ المبحث الأول: المكي والمدني في السورة.

❖ المبحث الثاني: مناسبتها لما قبلها وما بعدها.

❖ المبحث الثالث: وجه اختصاص السورة بما اختصت به.

المبحث الأول

المكي والمدني في السورة

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: تعريف المكي والمدني.
- المطلب الثاني: مدني سورة الرعد ومكيُّها.

* * * * *

المطلب الأول: تعريف المكي والمدني

يعتبر علم المكي والمدني من أشرف علوم القرآن؛ في وقت نزوله وجهاته وترتيبه لذلك^(١) " الأمة الإسلامية أحرزت قصب السبق في عنايتها بتراث الرسالة المحمدية الذي شرفت به الإنسانية جمعاء، فنجد أعلام الهدى من الصحابة -رضوان الله عليهم - والتابعين ومن بعدهم يضبطون منازل القرآن آية آية، ضبطاً يحدّد الزمان والمكان، وهذا الضبط عماد قوي في تاريخ التشريع يستند إليه الباحث في معرفة أسلوب الدعوة، وألوان الخطاب، والتدرج في الأحكام والتكاليف"^(٢).

وذلك لأن القرآن الكريم لم ينزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ جملة واحدة، ولكن نزل منجماً ومفرقاً على حسب الوقائع التي تقتضي نزول الوحي بآيات منه.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾^(٣)

وكان نزول القرآن على نبيه ﷺ في مدى ثلاث وعشرين سنة تقريباً، فبعضه نزل في مكة، وبعضه الآخر نزل بالمدينة بعد الهجرة، فكان ينزل عليه القرآن في السفر والحضر، فمنه المكي والمدني^(٤).

(١) الإتيان في علوم القرآن (٣٦/١).

(٢) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (٤٩/١).

(٣) الفرقان: ٣٢.

(٤) الإتيان في علوم القرآن (١٤٩/١)، مناهل العرفان (٤٦/١)، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (١٠٤/١) بتصرف.

• تعريفات المكي والمدني:

أنزل القرآن الكريم على رسولنا محمداً ﷺ مفرقاً ومنجماً مدة ثلاثة وعشرين سنة منها ثلاثة عشر سنة في مكة المكرمة قبل الهجرة، وعشر سنوات في المدينة المنورة بعد الهجرة، ولهذا قسم العلماء -رحمهم الله- القرآن إلى: مكي ومدني.

و" للناس في المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة:

أشهرها: أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح، أو عام حجة الوداع، أم بسفر من الأسفار.

الثاني: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة.

الثالث: أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة.

وعليه يحمل قول ابن مسعود I الآتي: "وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَنْ نَزَلَتْ وَأَيْنَ نَزَلَتْ"^(١).

لأن الغالب على أهل مكة الكفر، فخطبوا (بأيها الناس)، وإن كان غيرهم داخلاً فيها، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان، فخطبوا (بأيها الذين آمنوا) وإن كان غيرهم داخلاً فيهم"^(٢).

وكل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنية، وكل ما كان فيه ذكر القرون الماضية فهي مكية.

وما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكي.

وما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني"^(٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه ٨، برقم ٢٤٦٣، (٤/١٩١٣).

(٢) الإتيان في علوم القرآن (١/٣٧).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/١٨٧-١٨٨-١٨٩).

ونخلص مما سبق: إلى أنه بعد النظر والتأمل ظهر لي أنّ الاصطلاح الأول باعتبار الزمان وهو تعريف جامع، بخلاف التعريفين الثاني والثالث، فإنهما غير شاملين لبعض السور.



المطلب الثاني: المكي والمدني في سورة الرعد

سورة الرعد من السور التي وقع الخلاف بين العلماء في كونها مكية أو مدنية، مع أنّ جلّ المفسرين يقولون بمدنيتها، غير أنّ موضوعاتها ناطقٌ بمكيّتها^(١)، وممن ذهب إلى مدنيتها ابن عباس^(٢)، وقتادة^(٣) قال أيضاً بمدنيتها^(٤)، "والإمام البيضاوي^(٥) اعتبرها مدنية"^(٦)، وممن قال إنها مكية ومدنية مقاتل^(٧) في تفسيره^(٨)، والعز بن عبد السلام^(٩) في تفسيره^(١٠).

- (١) النسق والتناسق وأثره في التفسير سورة التين نموذجاً • أحمد إسماعيل نوفل (١١) يتصرف.
- (٢) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو العباس، الهاشمي. روى أكثر أحاديث النبي ﷺ عند هذا الحي من الأنصار، يقول كنت لآتي الرجل منهم، فيقال: إنه نائم، فأدعه، ولو شئت لأيقظته، حتى يخرج، لأستطيب بذلك حديثه مات ﷺ سنة سبعين، وهو بالطائف. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٣٦/٣)، التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل (٣/٥).
- (٣) هو: قتادة بن دعامة السدوسي يكنى أبا الخطاب، بصري، تابعي، ثقة وكان ضريير البصر، وكان يقول بشيء من القدر، وكان لا يدعو إليه، ولا يتكلم فيه. قال ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس، وقال الإمام أحمد: قتادة عالم بالتفسير، ووصفه بالحفظ والفقّه، وكان أحفظ أهل البصرة، فمات ﷺ بواسط، سنة (١١٨هـ-٧٣٧م). انظر: الأعلام للزركلي (١٨٩/٥)، الطبقات الكبرى (١٧١/٧)، التاريخ الكبير للبخاري (١٨٥/٧)، الثقات للعجلي (٣٨٩/١).
- (٤) فتح القدير (٦٣/٣).
- (٥) هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس -قرب شيراز). من تصانيفه "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" يعرف بتفسير البيضاوي، و"طوالع الأنوار" في التوحيد، و"منهاج الوصول إلى علم الأصول" و"لب اللباب في علم الإعراب" و"نظام التواريخ - توفي سنة: (٦٨٥هـ-١٢٨٦م) انظر: الأعلام للزركلي (١١٠/٤).
- (٦) التفسير القرآني للقرآن (٦٣/٧).
- (٧) هو: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن: من أعلام المفسرين. أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها. وتوفي بالبصرة. كان متروك الحديث. من كتبه (التفسير الكبير) جزء منه، و(نوادير التفسير) و(الرد على القدرية) و(متشابه القرآن) و(الناسخ والمنسوخ) و(القراءات) و(الوجوه والنظائر) توفي سنة: (١٥٠هـ-٧٦٧م). انظر: الأعلام للزركلي (٢٨١/٧).
- (٨) تفسير مقاتل بن سليمان (٣٥٧ / ٢).
- (٩) هو: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء • شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام إمام عصره بلا مدافعة

عن ابن مسعود I: أنه قال: "والذي لا إله غيره؛ ما نزلت آية من كتاب الله تعالى؛ إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت. وقد علل ذلك الباقلاني^(٢) بقوله "يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم مع معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ ليعرف الحكم الذي ضمنها"^(٣).

وقد رجّحنا مدنيّتها، وجاءت سورة الرعد في المصحف في سلسلة من السور المدنية، التي تبدأ بحروف متقطعة مماثلة لما بدأت به سور يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر، غير أنّ ما احتوته من تقريرات وتنبيهات وأمثال وصور مماثلة لما في السور المكيّة، وكذلك^(٤) "نظامها الذي يبدو عليه الطابع المكي، ولمضامين آياتها التي تعرض آيات الله تعالى؛ الدالة على قدرته فيما أبدع وصور في هذا الوجود، وذلك هو الغالب على القرآن المكي"^(٥).

نخلص مما سبق:

إلى أنّ سورة الرعد مدنية، أما قول بعض العلماء بمكيّتها فهو قول مرجوح،؛ غير أنّ موضوعاتها تشابه في طابعها السور المكيّة، كما قال به كثير من المفسرين.

القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها العارف بمقاصدها ولد سنة سبع أو سنة ثمان وسبعين وخمسائة، روى عنه تلامذته شيخ الإسلام ابن دقيق العيد، وهو الذي لقب الشيخ عز الدين سلطان العلماء والإمام علاء الدين أبو الحسن الباجي توفي □ سنة: (٦٦٠ هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٠٩/٨).

(١) تفسير العز بن عبد السلام (٢ / ١٤٣).

(٢) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام. وسكن بغداد. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. من كتبه (إعجاز القرآن) و (الإنصاف) و (مناقب الأئمة) و (دقائق الكلام) و (الملل والنحل) و (هداية المرشدين) و (الاستبصار) و (تمهيد الدلائل) توفي □ في بغداد سنة: (٤٠٣ هـ-١٠١٣ م). انظر: الأعلام للزركلي (١٧٦/٦).

(٣) الانتصار للقرآن الباقلاني، القاضي أبي بكر ابن الطيب.

(٤) التفسير الحديث (٢٠/١) بتصرف.

(٥) التفسير القرآني للقرآن (٦٣/٧).

المبحث الثاني

مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف علم المناسبة لغة واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: مناسبة سورة الرعد لما قبلها.
- المطلب الثالث: مناسبة سورة الرعد لما بعدها.

* * * * *

المطلب الأول: تعريف علم المناسبات لغة واصطلاحاً

علم المناسبات من العلوم التي تهتم بارتباط أي القرآن بعضها ببعض؛ لتكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، يربط أجزاء الكلام، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المترابط الأجزاء. أي التي تربط الأشياء بعضها، وتكشف وجه العلاقة بينها. من أبرز وجوه إعجاز القرآن الكريم: إعجازه بحسب تناسب آياته، وتناسق وتآلف سورته، فالقرآن الكريم وحدة موضوعية واحدة، وآياته وسوره بناء واحد، كالدر وهو منتظم^(١).

تعريف المناسبة لغةً واصطلاحاً:

أهتم العلماء بتعريف المناسبة لغة واصطلاحاً فكان من هذه التعريفات: **المناسبة لغةً:** المشابهة والمشاكلية والمقاربة، فيقال ناسب فلانا شركه في نسبه، وشاكله. يقال بينهما مناسبة، ويقال: ناسب الأمر أو الشيء فلانا لاءمه، ووافق مزاجه.

و"المناسبة مأخوذة من النسبة والنسب، بمعنى القرابة والنسب المناسب. ومنه النسب الذي هو القريب المتصل"^(٢).

المناسبة في الاصطلاح:

المناسبة هي "علم يبحث في المعاني الرابطة بين الآيات بعضها ببعض، وبين السور بعضها ببعض، حتى تعرف علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم"^(٣) من حيث ارتباط "السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات: تعني وجه الارتباط

(١) انظر: موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، أحمد الشرقاوي (١٢/١).

(٢) القاموس المحيط (١٣٧/١)، المعجم الوسيط (٩١٦/٢)، (مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور (١٨/١) اليرهان في علوم القرآن (٣٥/١)، موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات- أحمد الشرقاوي (٣/١).

(٣) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور (١٨/١).

في كل آية بما قبلها وما بعدها"^(١) "حتى تكون كالكلمة الواحدة، متنسقة المعاني منتظمة المباني"^(٢).

فائدة علم المناسبات:

تظهر فائدة علم المناسبات؛ في جعل أجزاء الكلام مترابط مع بعض؛ فيقوى بذلك الارتباط. وقد قلّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته^(٣)، قال الرازي: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، وقال بعض الأئمة: من محاسن الكلام؛ أن يرتبط بعضه ببعض، لئلا يكون منقطعاً"^(٤) مع تنوع موضوعات السورة الواحدة: حيث الأحكام، والعقيدة، والقصص، والأمثال، والوعد والوعيد، إلا أننا نجدتها مجتمعة في سياق واحد، متناسبة متناسقة، تصب كلها في هدف واحد، وتدور كلها حول محور واحد، وينظمها عقد واحد، ويربطها رابط واحد، فلا تناقض ولا اضطراب، ولا تفكك ولا تنافر بين الموضوعات، مصداقاً لقوله ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾^(٥) فهذا الترتيب؛ متوافق مع الهدف العام للقرآن، وهو التذكير المتجدد، ولا غنى للمفسر عن دراسة هذا العلم، فمن خلاله يستعين على فهم المعنى، أو الترجيح بين الآراء، أو إزالة لبس، أو دفع إيهام، أو معرفة الحكمة من إيراد القصص القرآني، أو غير ذلك من الفوائد^(٦).

(١) مباحث في التفسير الموضوعي (٥٨/١).

(٢) موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات (٣/١).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٣٦/١) بتصرف.

(٤) تفسير الرازي (١١٠/١٠).

(٥) طه: ١١٣

(٦) يراجع: موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات- أحمد الشرقاوي (١٦٦/١-١٨).

المطلب الثاني: مناسبة سورة الرعد لسورة يوسف

وجه وضع سورة الرعد بعد سورة يوسف؛ حيث فصلَّ جل شأنه^(١) "ذلك أتم تفصيل في مطلع سورة الرعد"^(٢) "لمجمل خاتمة سورة يوسف ﷺ، فذكر الآيات السماوية والأرضية"^(٣) في سورة يوسف، كقوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّنَّ عَلَيْهَا وَهَمَّ عَنْهَا مَعْرُضُونَ وَمَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبِّحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤).

وبيان آي السماوات؛ في قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

وبيان آي الأرض؛ في قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣]^(٥).

وقد أشار جل شأنه في سورة يوسف إلى أدلة التوحيد؛ بقوله تعالى: ﴿يُصَدِّقُنَا السَّجْنَءَ أَزْيَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٦) ثم فصلَّ الأدلة هنا

(١) نظم الدرر للبقاعي (١٥٦)، التفسير الواضح (٢٥/١١) بتصرف.

(٢) تفسير المراغي (٦٠/١٣)، الأساس في التفسير (٢٧١٩/٥).

(٣) تناسق الدرر (٩٥).

(٤) يوسف: ١٠٥ - ١٠٨.

(٥) يراجع: البرهان في تناسب سور القرآن (٢٣٢)، نظم الدرر للبقاعي (١١٧-١١٨)، أسرار ترتيب سور القرآن (٩٧)، تيسير التفسير (٢٧١/٢)، الموسوعة القرآنية (ج ٤/٢٠١).

(٦) يوسف: ٣٩.

بإسهاب لم يذكر في سالفها"^(١)، "وهذا امتداد لدعوة التوحيد، وذكر كثير من صفات الله"^(٢).

وجاء في السورتين من الآيات ما فيه تسلية للرسول ﷺ^(٣) "هذا مع اختتام سورة يوسف"^(٤) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٥) "بالدليل على حقية القرآن، وأنه هدى ورحمة لقوم يؤمنون"^(٦)، وافتتاح هذه بمثل ذلك؛ في قوله تعالى: ﴿الْمَرْءُ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١] "وهو من تشابه الأطراف"^(٧).

و بعد أن أشار إلى كثرة ما يحسونه؛ من آياته في السموات والأرض في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾^(٨) مع الإعراض عنها^(٩) ابتداء سورة الرعد بذلك فقال تعالى: ﴿الْمَرْءُ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١]^(١٠).

(١) تفسير المراغي (٦٠/١٣).

(٢) التفسير الواضح (٢٥/١١).

(٣) المناسبة بين الفواصل (رسالة علمية محكمة) (٢٦-٢٧) نمر جبر سدر.

(٤) أسرار ترتيب القرآن (٩٧).

(٥) يوسف: ١١١.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٦٢/١٠).

(٧) أسرار ترتيب القرآن (٩٧/١).

(٨) يوسف: ١٠٥.

(٩) تفسير حدائق الروح والريحان (١٥٨).

(١٠) ينظر: تفسير الألوسي (٨٠/٧)، البحر المديد (٥/٣)، الحروف المقطعة في أوائل السورة (١١٨).

المطلب الثالث: مناسبة سورة الرعد لسورة إبراهيم

ولما حُتمت سورة الرعد بأنه لا شهادة تكافئ شهادة من عنده علم الكتاب؛ في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣]، أشار في قوله تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(١) "إلى أن الكتاب هو الشاهد بإعجازه؛ ببلاغته، وما حوى من فنون العلوم"^(٢) فتلك الشهادة التي تدل على أنه تعالى أظهر المعجزات الدالة على كونه صادقاً، وهذا أعلى مراتب الشهادة، لأن الشهادة قول يفيد غلبة الظن بأن الأمر كذلك. أمّا المعجز؛ فإنه فعل مخصوص، يوجب القطع بكونه رسولا من عند الله تعالى، فكان إظهار المعجزة أعظم مراتب الشهادة^(٣) في "معانيه، وكونه أعظم المعجزات الباقي على مر الأعصار"^(٤)، " بإعجازه ببلاغته، وما حوى، وبيان أن هذا الكتاب غاية البلاغ إلى الله، لأنه كافل ببيان الصراط؛ الدال عليه، المؤدى إليه"^(٥).

وارتباط سورة الرعد بالسورة التي بعدها من وجوه:

- إنه قد ذكر ﷺ في سورة الرعد أنه أنزل القرآن حكماً عربياً، ولم يصرح بحكمة ذلك؛ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلِيُنَبِّئَ أُمَّةً مِنْهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧] وصرح بها في سورة إبراهيم؛ في قوله تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

(١) إبراهيم: ١

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٦٩/١٠).

(٣) انظر: تفسير الرازي (٥٤/١٩).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٤٠٣/٦).

(٥) الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٦٩/١٠).

يَاذِن رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾.

- أن الله ﷻ ذكر في سورة الرعد قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِحَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

﴿[الرعد: ٣٨]﴾ وفي سورة إبراهيم ذكر أن الرسل ﴿٥﴾ قالوا: ﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢﴾.

- أمر الله ﷻ في سورة الرعد نبيه محمد ﷺ بالتوكل على الله في قوله

تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ ﴿[الرعد: ٣٠]﴾، وفي سورة إبراهيم حكي عن إخوانه المرسلين ﴿٥﴾ أمرهم بالتوكل عليه جل شأنه؛ في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿٣﴾. فهو خالقهم، ومتولى أمرهم، سبحانه ﴿٤﴾.

- اشتملت سورة الرعد على تمثيل الحق والباطل، كقوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ ﴿[الرعد: ١٧]﴾ واشتملت سورة إبراهيم على ذلك أيضا، في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلْوُ الْبَعِيدُ﴾ ﴿٥﴾.

- ذكر الله ﷻ في سورة الرعد رفع السماء بغير عمد، ومد الأرض،

وتسخير الشمس والقمر؛ في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى

(١) إبراهيم: ١

(٢) إبراهيم: ١١

(٣) إبراهيم: ١٢

(٤) تفسير المراغي (١٢٢/١٣) بتصرف.

(٥) إبراهيم: ١٨

عَلَى الْعَرْشِ طَّ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ طَّ كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ءِ يَدْبِرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ [الرعد: ٢] وذكر في سورة إبراهيم نحو ذلك؛ في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى قَادِرٍ عَلَىٰ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ ءِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١) أَنْ اللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَىٰ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَمَنْ قَدِيرٌ عَلَىٰ هَذَا الْخَلْقِ الْبَدِيعِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ إِفْنَاءِ النَّاسِ، وَالْإِتْيَانِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (٢).

- ذكر الله ﷻ في سورة الرعد مكر الكفار؛ في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمُّوهُمْ ءِ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَضُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣] وقوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (٣) ذكر من وصفه في سورة إبراهيم؛ ما لم يذكر في سورة الرعد (٤).

- ذكر الله ﷻ في سورة الرعد الأدلة المنصوبة في الآفاق والآنفس، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ ءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣] وذكر في سورة إبراهيم نحوًا من ذلك؛ في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ طَّ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ (٥)

- ذكر الله ﷻ في سورة الرعد وصفًا لعباده الذين يقيمون العبادات البدنية، ويؤدّون الفرائض المالية، ومآلهم؛ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ

(١) إبراهيم: ١٩

(٢) تفسير المراغي (١٢٢/١٣) التفسير الوسيط للزحيلي (١١٨٩/٢) بتصرف.

(٣) إبراهيم: ٤٦

(٤) تفسير المراغي (١٢٢/١٣) بتصرف.

(٥) إبراهيم: ٣٢

وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾
 [الرعد: ٢٢] وفي سورة إبراهيم؛ أمرهم الله تعالى بأن يتصفوا بصفاتهم، لينجوا من عذابه؛ في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾^(١).

- ذكر الله ﷻ في سورة الرعد بأن ما ينزل على نبينا محمد ﷺ إنما هو الحق، وما يعقل هذا ويتذكر به إلا ذوو العقول السليمة^(٢)؛ في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَن هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولَئِىَ الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩] ذكر -الله ﷻ في سورة إبراهيم أن هذا القرآن بلاغٌ لجميع الناس، وإنذارٌ لهم، وأن الله تعالى إلهٌ واحد. وليتذكر أولو العقول عظمة ربهم^(٣) في قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٤).

نخلص مما سبق:

إلى أن بين سورة إبراهيم وسورة الرعد تناسبًا، وترابطًا قويًا، ويظهر ذلك واضحا جليا لنا من خلال تتبع آيات السورتين، فوجدنا ترابطًا بينهما، حيث في كلٍ منهما: بدأت بمدح وثناء للقرآن الكريم، وأنه سبب هداية البشرية، ثم ضرب الأمثال للحق والباطل، وذكر مظاهر قدرة الله في الآفاق والأنفس، وغير ذلك من الأدلة والبراهين؛ التي تدل على عظمة الخالق ﷻ، وأنه واحدٌ أحد فردٌ صمدٌ.

(١) إبراهيم: ٣١

(٢) تيسير التفسير للقطان (٢٩٤/٢) بتصرف.

(٣) التفسير الحديث (٥٣٢-٢٤٩/٥) بتصرف.

(٤) إبراهيم: ٥٢

المبحث الثالث:

وجه اختصاص السورة بما اختصت به

ما اختصت به سورة الرعد من موضوعات

جاءت سورة الرعد على أساس إثبات صدق الرسول ﷺ؛ فيما أوحى إليه، وأخبر به؛ من أفراد الله تعالى بالألوهية والبعث، وإبطال أقوال المكذبين، فذلك تكررت أقوالهم خمس مرات، موزعة على السورة بداية ونهاية^(١).

- بدأت السورة الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقَّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١] وتنتهي سورة الرعد بحيث خُتمت بنفس المعنى المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ [الرعد: ٣٦].

- تميزت السورة عن غيرها من السور المكية بوجود التقابل الفني فيها بكثرة بين الأشياء، وهكذا يمضي السياق على نهجه في دقة ملحوظة، وتنسيق عجيب، كالتقابل بين السماوات والأرض، وبين سجود من فيهن طوعاً وكرهاً وبين الغدو والأصال؛ في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥] والمقابلة بين النفع والضر، والأعمى والبصير، والظلمات والنور، في قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦] والمقابلة بين الخوف والطمع؛ في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢]. وبين الخالق القاهر؛ والشركاء الذين لا يخلقون شيئاً؛ في قوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]، والمقابلة^(٢) بين قوله تعالى: ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ﴾ [الرعد: ٨]؛ وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا

(١) التحرير والتنوير (٧٦/١٣) مباحث في إعجاز القرآن (ص: ٢٣) بتصريف.

(٢) هي: المساواة بين شيئين كمقابلة الكتاب بالكتاب والمقابلة عليه لا تكون إلا مثله. انظر: القاموس المحيط (١٠٤٦/١)، الفروق اللغوية للعسكري (٥٠/١)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم (١٠١/١).

تَزَادُ ﴿الرعد: ٨﴾، والمقابلة بين قوله تعالى: ﴿أَسْرَأَقَوْلَ﴾ [الرعد: ١٠]؛ وبين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [الرعد: ١٠]، وبين قوله تعالى: ﴿مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾ [الرعد: ٨]؛ مقابل قوله تعالى: ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، وبين قوله تعالى: ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الرعد: ١١]؛ مقابل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الرعد: ١١]، وبين قوله تعالى: ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ [الرعد: ١١]؛ مقابل قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا﴾ [الرعد: ١١]، وبين السر والعلانية؛ في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [الرعد: ٢٢] وبين الحسنة والسيئة؛ في قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُونَّ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَمْ يُعْطِ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]، وبين نقض العهد و ميثاقه، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [الرعد: ٢٥]، وبين القطع والوصل؛ في قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢٥]، هذه السلسلة من التقابلات تهب النص جمالية ممتعة، حيث يجيء (التقابل) فيما بينها، يعتمد على ما هو مقابل للآخر، أي: أن البعض من الظواهر أو الأشياء؛ تعرف بأضدادها كما هو واضح^(١).

- "وإذا كانت بداية السورة تتحدث عن موقف المشركين من النزول المشار إليه، فإن وسط السورة وخاتمها تتحدث عن ذلك أيضًا، مع ملاحظة أن ختام السورة؛ ربطت بين المؤمنين والمشركين، ومن يشبههم من الاتجاهات المنحرفة، يهودًا ونصارى ومجوسًا وسواهم، ممن سمّاهم النص القرآني (بالأحزاب) في قوله: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ [الرعد: ٣٦]"^(٢).

- "بيّنت السورة الكريمة أن هذا القرآن عميق التأثير في النفس البشرية، حتى لتكاد تسير به الجبال، وتقطع به الأرض، ويكلم به الموتى؛ لما فيه من سلطان وقوة ودفعة وحيوية.

- أكدت السورة الكريمة أن هذا الكتاب هو وحده الحق؛ وأن الإعراض عنه، والتكذيب به، والتحدي، وبطء الاستجابة، ووعورة الطريق؛ كلها لا تغير شيئًا من تلك الحقيقة الكبرى، طبيعة المواجهة التي كان المشركون يتحدون بها

(١) في ظلال القرآن (٢٠٥٣/٤) بتصرف.

(٢) أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير (٣٤ - ٣٥).

رسول الله ﷺ، ويتحدون بها هذا القرآن.

- التوجيه الرباني لرسول الله ﷺ أن يجهر في مواجهة الإعراض والتكذيب، والتحدي، وبطء الاستجابة، ووعورة الطريق بالحق الذي معه كاملاً؛ وهو أنه لا إله إلا الله، ولا رب إلا الله، ولا معبود إلا الله، وأن الله هو الواحد القهار، وأن الناس مردودون إليه، إما إلى جنة، وإما إلى نار. وكل هذه الحقائق كان ينكرها المشركون، ويتحدون الرسول ﷺ فيها^(١).

- كشفت السورة الكريمة لأصحاب الدعوة إلى الله تعالى؛ عن طبيعة منهج هذه الدعوة، وأن لا ألوهية ولا ربوبية إلا لله ﷻ، ومن ثم فلا دينونة، ولا طاعة، ولا خضوع، ولا اتباع إلا لله جل في علاه. فهذه الحقيقة الأساسية يجب أن تُعلن أيًا كانت المعارضة والتحدي؛ من زعماء المشركين، وكبار مجرمي مكة، الذين تولوا كبر المعارضة والتعطيل للرسالة النبوية بصورة عامة، وفي أسلوبها المطلق؛ تلقينات مستمرة المدى، ففيها تنديد بذوي الزعامة والوجاهة، الذين يقفون من الدعوة إلى الخير والإصلاح وأصحابها موقف التعطيل؛ استكباراً وحسداً وغيظاً، وفيها تثبيت لأصحاب مثل هذه الدعوة^(٢).

- أظهرت السورة الكريمة أن المنهج القرآني في الدعوة، يجمع بين الحديث عن كتاب الله المتلو، وبين ما في الكون المفتوح؛ بما فيه من دلائل شاهدة بسلطان الله تعالى وتقديره وتدبيره في الكون، وكذلك سجل التاريخ البشري، وما يحفظه من دلائل ناطقة بالسلطان، ويواجه البشرية بهذا كله، وهو يخاطب حسنها وقلبها وعقلها جميعاً^(٣).

- أوضحت السورة الكريمة نماذج من رسائل الأنبياء (ﷺ)، التي تدعو إلى الحق، وترك ما هم عليه من الكفر، ونبذ الشرك بأنواعه، وهذه الدعوة من شأنها أن تقيم العوج، وتقضي على التسلط، وتحقق بين الناس موازين العدل المساواة^(٤).

- بيّنت السورة الكريمة أن مهمة الرسول ﷺ الأولى؛ هي إبلاغ الرسالة

(١) في ظلال القرآن (٢٠٥٣/٤).

(٢) التفسير الحديث (١٥٤/٤) بتصرف.

(٣) في ظلال القرآن (٢٠٦٨/٤) بتصرف.

(٤) الهداية الى بلوغ النهاية (٣٧٣٨/٥) كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتخلي بالأصل المفيد (ص: ١١٧) بتصرف.

والإنذار، والله يهدي كل قوم إن أراد هدايتهم سبحانه. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرِّسُولُ
بَلَّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ﴾^(١)، يبلغهم ما يخالف معتقداتهم، ويأمرهم بما يستنكرونه،
وينهاهم عما ألقوه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا
اللَّهَ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ۗ﴾^(٢)، والبلاغ يكون بتلاوة النصوص التي أوحاها الله من غير
نقصان ولا زيادة، قال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۗ إِنَّ
الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ﴾^(٣)، فإذا كان الموحى به ليس نصًا يتلى،
فيكون البلاغ ببيان الأوامر والنواهي التي أوحاها الله من غير تبديل ولا
تغيير^(٤).

- "قررت السورة الكريمة؛ أنّ الله جل في علاه، إنما يهدي من ينيب إليه
ومن يستمع القول فيتبع أحسنه، أي من حسنت نيته، وصدقت رغبته في هدى
الله تعالى"^(٥). قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۗ﴾^(٦).

- بينت السورة الكريمة أنه سبحانه لو شاء لخلق الناس باستعداد واحد
للهدى، وجعلهم أهل ملة واحدة، لا يختلفون ولا يفترقون، ولكن اقتضت حكمته
أن يتركهم لاختيارهم، ناس للسعادة، وناس للشقاوة، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ
السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۗ﴾^(٧)، وقوله ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٨)، فيضل من يشاء
ويهدي من يشاء^(٩).

(١) المائدة: ٦٧

(٢) الأحزاب: ٣٩

(٣) العنكبوت: ٤٥

(٤) تفسير القرطبي (٢٨٥/٩) الرسل والرسالات (ص: ٤٣) بتصريف.

(٥) التفسير الحديث (٢٠/٦).

(٦) العنكبوت: ٦٩

(٧) الإنسان: ٣

(٨) البلد: ١٠

(٩) صفوة التفاسير (١٣١/٢) بتصريف.

- قرّرت السورة الكريمة عدم الاستجابة لهذا الحق الذي جاء به هذا الدين، بالغفلة، وفيه إشارة إلى استخفاف هذه المعبودات بعبديها، وعلى فساد الكينونة البشرية، وتعطل أجهزة الاستقبال الفطرية فيها، واختلال طبيعتها، وخروجها عن سواء السبيل^(١).

- بيّنت السورة الكريمة أنّ الذين لا يستجيبون للحق الذي جاءهم به القرآن الكريم؛ لا يستونون في عرف كل عاقل، فكما لا يستوي الأعمى والبصير، والظلمات والنور، فكذلك لا يستوي الكفر والإيمان، فإنّ الكفر انطماس في البصيرة، وظلمات في القلب، أما الإيمان؛ فهو نور في القلب، وإشراق في النفس^(٢).

- بيّنت السورة أنّ الذين لا يستجيبون لعهد الله تعالى، ولا يعلمون الحق الذي جاء من عنده، فعَمُوا عن الحق فلم يبصروه، وصَمُوا عنه؛ هم الذين أحدثوا الفساد في الأرض، والذين علموا أنه الحق من ربهم، هم المصلحون في الأرض^(٣).

ويقول البقاعي: "ومعظم السورة وغالب أيها في التنبيه، وبسط الدلالات والتذكير بعظيم ما أودعت من الآيات"^(٤).

- قرّرت السورة أن حياة الناس لا تصلح إلا بأن يتولى قيادتها المبصرون أولو الألباب، الذين يعلمون أن ما أنزل إلى محمد ﷺ هو الحق، ومن ثم يوفون بعهد الله تعالى، ويعبدونه وحده، ويدينون له وحده، ولا يتلقون عن غيره، ولا يتبعون إلا أمره ونهيه، ومن ثم يصلون ما أمر الله ﷻ به أن يوصل، ويخشون ربهم، ويقيمون الصلاة؛ وينفقون مما رزقهم الله تعالى سرّاً وعلانية؛ ويدفعون السوء والفساد في الأرض بالصلاح والإحسان.

- بيّنت السورة الكريمة أن المسلم يرفض كل منهج للحياة غير منهج الله تعالى، بحكم إيمانه بالله ﷻ، وعلمه بأن ما أنزل على محمد ﷺ هو الحق.
- أرشدت السورة الكريمة الدعوة؛ أن ليس لهم أن يستعجلوا هداية الناس،

(١) في ظلال القرآن (٢٠٤٣/٤) التفسير القرآني للقرآن (٢٦٤/١٣) بتصرف.

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (٤٦٣/٧) بتصرف.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٤٩٤/١) بتصرف.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٦٩/١٠).

ولا أن يستبطنوا وعد الله ﷻ للمهتدين، ووعيده للمكذابين، إنما عليهم البلاغ فحسب.

- قرّرت السورة كلمة الفصل في العلاقة بين تحديد مآله ومصيره؛ وبيّنت أنّ مشيئة الله ﷻ به؛ إنما تتحقق من خلال حركته في هذه الحياة؛ وذلك مع تقرير أنّ كل حدث؛ إنما يقع بقدر من الله تعالى خاص^(١).

- قرّرت سورة الرعد أنّ في القرآن: الإيمان والهدى، والذكر والطمأنينة، حين تعرف معانيه وأحكامه^(٢).

- قرّرت السورة الكريمة سنّة اجتماعية، وهي أنّ مشيئة الله ﷻ، لا تغير ما يقوم- بأن يعذبهم ويمتحنهم معاقبا- حتى يقع منهم تكسب للمعاصي وتغيير ما أمروا به من طاعة^(٣).

- قرّرت السورة أن الله جل في علاه إنما يهدي من ينيب إليه، ومن يستمع القول فيتبع أحسنه، أي من حسنت نيته وصدقته رغبته في هدى الله تعالى^(٤). قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥).

(١) يراجع: في ظلال القرآن (٢٠٥٣/٤).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤١٨) بتصريف.

(٣) تفسير ابن عطية (٣٠٢/٣) بتصريف.

(٤) التفسير الحديث (٢٠/٦) بتصريف.

(٥) العنكبوت: ٦٩

بعض ما اختلفت به سورة الرعد عن غيرها من سور القرآن الكريم ما يلي:

١- تفردت سورة الرعد عن غيرها من السور؛ في أنها بدأت الآية الأولى بذكر الكتاب في قوله تعالى: ﴿الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١]، وختمت به كذلك؛ في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٢]

٢- سورة الرعد ورد فيها عبارة (علم الكتاب)؛ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣] ولم ترد في غيرها من سور القرآن، إلا في سورة النمل بعبارة قريبة منها وهي: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾^(١).

٣- في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد: ١٣] (شديد الحال) اسم من أسماء الله تعالى، ولم يرد في غيرها من سور القرآن.

٤- تميزت آية رقم ١٣ في سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد: ١٣] بترتيبها في السورة بنفس ترتيب السورة في المصحف حيث تحمل رقم ١٣ من بين السور، كما تميزت الآية ١٣ بذكر اسم السورة فيها^(٢).

٥- وجد في سورة الرعد الكثير من المقابلات، منها:

- في الآية (٣) ذكر الله ﷻ مدَّ الأرض؛ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ [الرعد: ٣]، وفي الآية (٤١) ذكر الله تعالى نقصان الأرض؛ في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾.

(١) النمل: ٤٠

(٢) تفسير الرازي (٥٢٦/١٨).

- وذكر الله تعالى في آية (٤) التقابل والتعاكس؛ في قوله تعالى: ﴿صِنُونُ ۗۗۗ

وَعَيْرُ صِنُونٍ ۗۗ﴾ [الرعد: ٤].

- وذكر الله تعالى في آية (٦) السيئة والحسنة؛ وهما عكس بعضهما؛ في

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾ [الرعد: ٦].

- ذكر الله ﷻ في آية (٨) الزيادة في الحمل وعكسه النقصان؛ في قوله

تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَادُ ۗ﴾ [الرعد: ٨].

- ذكر الله ﷻ في الآية (٩) عالم الغيب عكس عالم الشهادة؛ في قوله

تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۗ﴾ [الرعد: ٩]^(١).

- ذكر الله ﷻ في الآية (١٠) الإسرار والجهر والاستخفاء، مقابل الظهور

في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۗ﴾ [الرعد: ١٠]^(٢).

- في الآية (١١) ذكر الله ﷻ المعقبات من أمامه، وعكس ذلك من خلفه.

في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۗ﴾ [الرعد: ١١].

- في الآية (١٥) ذكر الله ﷻ فيها ثلاث متقابلات السموات والأرض، و

طوعا وكرها، والغدو والأصال؛ في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمُ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ ۗ﴾ [الرعد: ١٥]^(٣).

- في الآية (١٦) ذكر الله ﷻ ثلاث متقابلات، النفع وعكسه الضر،

والعمى وعكسه الإبصار، والظلمات وعكسها النور، في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ

(١) في ظلال القرآن (٢٠٤٩/٤) بتصرف.

(٢) البحر المحيط في التفسير (٣٥٨/٦) بتصرف.

(٣) التحرير والتنوير (٢٨٦/٢٤) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه (ص: ١٧٧) بتصرف.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى
وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴿الرعد: ١٦﴾^(١).

- في الآية (١٧) ذكر الله ﷻ الذي هو عكس ما ينفع الناس؛ في قوله
تعالى: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَغَائِبٌ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ ﴿الرعد: ١٧﴾.

- في الآية (١٩) ذكر الله تعالى الذي عنده الحق عكس الأعمى؛ في قوله
تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذِرُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴿الرعد: ١٩﴾.

- في الآية (٢٠-٢١-٢٢-٢٥) ذكر الله تعالى الذين ينقضون عكس الذين
يوفون، والذين يصلون عكس الذين يقطعون، والسر عكس العلانية، والحسنة
عكسها السيئة؛ في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ ﴿الرعد: ٢٠-٢٢﴾. ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ
عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴿الرعد: ٢٥﴾.

- في الآية (٣٥) ذكر الله ﷻ عبارة عقبى الذين اتقوا، وعكسها عقبى
الكافرين؛ في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿الرعد: ٣٥﴾.

- في الآية (٣٩) ذكر الله تعالى المحو وعكسه الإثبات؛ في قوله تعالى:
﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴿الرعد: ٣٩﴾.

- في الآية (٤٠) ذكر الله تعالى الحياة وعكسها الموت؛ في قوله تعالى:
﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿الرعد: ٤٠﴾^(٢).

(١) الموسوعة القرآنية خصائص السور (١٩٢/٤) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (٢٨٠/٢) بتصرف.

(٢) الموسوعة القرآنية خصائص السور (١٩٢/٤)، تفسير القاسمي (٢٥٦/٦) بتصرف.

الفصل الثالث

أسباب نزول سورة الرعد ومقاصدها وأهدافها

وفيه مبحثان: -

❖ المبحث الأول: أسباب النزول الواردة في السورة.

❖ المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.

* * * * *

المبحث الأول

أسباب النزول الواردة في السورة

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: تعريف أسباب النزول.
- المطلب الثاني: أسباب النزول الواردة في السورة.

* * * * *

المطلب الأول: تعريف أسباب النزول

نزل القرآن الكريم منجماً على الرسول ﷺ في نحو ثلاث وعشرين سنة^(١)، نزلت كل آية منه لحكمة وغاية، جماع هذه الحكم والغايات تشريع ما فيه سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ويمكن اعتبار ذلك سبباً عاماً لنزول كل آية من آيات القرآن، ولكن العلماء قصدوا إلى الأسباب الخاصة؛ قصدًا أولياً، بعد أن عرفوا هذا المقصد العام، فتنبَّعوا ما نزل على سبب معين، أو حادثة بخصوصها، أو نزل دفعةً لشبهة، أو إجابة عن سؤال، ونحو ذلك، ففسَّروا هذه الآيات وفقاً لأسباب نزولها أولاً، ثم نظروا في شمول أحكامها لجميع المخاطبين، وعدم شمولها.

ولا شكَّ أن تفسير الآية يرتبط بسبب نزولها ارتباطاً وثيقاً، فإذا كان لها سبب نزول؛ فعليه المعول في فهمها.

وما نزل على أسباب خاصة، وحوادث معينة قليل، لكنه مع قلته؛ تألَّف منه علم عظيم، لا غنى عنه لمفسِّرٍ، أو محدِّثٍ، أو فقيه^(٢).

وكان السلف: صحابة، وتابعين، أحرص الناس على تحصيل علمه، والاستتارة بفهمه، والترغيب بالوقوف على معانيه، والتنفير من الجهل بمراميه^(٣)، قال ابن حجر العسقلاني^(٤)، نقلاً عن مجاهد: "أحب الخلق إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل"^(٥).

(١) البرهان في علوم القرآن (٢٣١/١).

(٢) دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل (١٥١/١) بتصرف.

(٣) ذكر في: "المحرر الوجيز" ٢٦/١ و"الجامع" للقرطبي "٢١/١".

(٤) هو: شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، الكنائي، العسقلاني، الشافعي. صاحب أشهر شرح لصحيح الإمام البخاري أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة. عالم محدِّث فقيه أديب. أما تصانيفه فكثيرة جداً منها: فتح الباري في شرح صحيح البخاري؛ الإصابة في تمييز أسماء الصحابة؛ تهذيب التهذيب؛ تقريب التهذيب في أسماء رجال الحديث؛ لسان الميزان؛ أسباب النزول؛ بلوغ المرام من أدلة الأحكام. توفي ٥ سنة: (٨٥٢هـ-٤٤٨م). انظر: الأعلام للزركلي (١٧٨/١).

(٥) العجائب في بيان الأسباب (٩-٧/١).

تعريف أسباب النزول ومفهومه لدى العلماء:

السبب في اللغة: "الحَبْلُ. والسماءُ: السقف؛ أي فليمدد حبلاً في سقفه، ثم ليقطع، أي ليئد الحبل حتى ينقطع، فيموت مختلفاً"^(١).

النزول في اللغة:

نزل: النَّازِلَةُ: الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالقوم، وجمعها: النوازل. ونزل فلان عن الدابة، أو من علو إلى سُفْلٍ^(٢).

سبب النزول في الاصطلاح:

هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه؛ مبينة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى أنها حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى؛ ببيان ما يتصل بتلك الحادثة وفيها الإجابة عليه^(٣).

قال السيوطي: "والذي يتحرر في سبب النزول: أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه"^(٤).



(١) لسان العرب (٤٥٨/١).

(٢) العين (٣٦٧/٧).

(٣) يراجع: مناهل العرفان في علوم القرآن (١٠٦/١)، دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (١٣٦-١٣٧).

(٤) الإتيان في علوم القرآن (١١٦/١).

المطلب الثاني: سبب النزول الوارد في السورة

نزلت آيات القرآن الكريم لهداية الناس، وهناك آيات نزلت لسبب معين، أو سؤال وجه إلى الرسول ﷺ، وليس لكل آية سبب نزول، فبعض آيات القرآن نزلت ابتداء بشرح الدعوة، وهذه الآيات ليس لها سبب نزول؛ سوى الأسباب العامة التي تنزلت من أجلها الشرائع؛ التي هي هداية للبشر؛ وتنظيم حياتهم؛ وإرشادهم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة، كآيات العقائد والوقائع الماضية، وقصص الأنبياء، ومشاهد القيامة، ومن آيات القرآن ما نزلت بأسباب دعت إليها؛ كآيات أحكام العبادات والمعاملات، والحلال والحرام، والغزو والجهاد، والأحوال الشخصية، والحقوق المدنية والمعاهدات الدولية، فإنّ الغالب على أمثال هذه الآيات أن يكون لها سبب نزول، ومعرفة سبب نزولها يعين كثيراً على فهمها^(١).

"ويقول مناع القطان^(٢) ٥: "ومعرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن، وكشف الغموض الذي يكتنف بعض الآيات في تفسيرها ما لم يُعرف سبب نزولها"^(٣).

قال الواحدي^(٤) ٥: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على

(١) ينظر: مناهل العرفان (١٠٦/١) لباب النقول (ص: ٣)، مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص: ٧).

(٢) هو: مناع خليل القطان المدير السابق للمعهد العالي للقضاء في السعودية غادر مصر سنة ١٩٥٣م إلى المملكة العربية السعودية للتدريس في مدارسها ومعاهدها إلى سنة ١٩٥٨م، توفي ٥ سنة: (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م). ينظر: قادة فتح الأندلس (٥٠/١).

(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٨٠) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١

(٤) هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مَثْوِيَّة، أبو الحسن الواحدي: مفسر، عالم بالأدب، نعتة الذهبي بإمام علماء التأويل. ومولده ووفاته بنيسابور. له "البيسط" و "الوسيط" و "الوجيز" كلها في التفسير، وقد أخذ الغزالي هذه الأسماء وسمى بها تصانيفه، وشرح ديوان المتنبي " و " أسباب النزول " و " شرح الأسماء الحسنی " توفي ٥ سنة: (٤٦٨ هـ - ١٠٧٦ م). انظر: الأعلام للزركلي (٢٥٥/٤).

قصتها، وبيان سبب نزولها^(١) " غير أن الصحابة M كانوا متفاوتين في قدرتهم على تفسير القرآن، تبعاً لمقدار سماعهم التفسير من رسول الله ﷺ، ولمقدار ما شاهدوا من أسباب النزول، ولمدى ما فتح الله تعالى به عليهم من طريق الرأي والاجتهاد، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢) وبما أعطاهم الله من فصاحة وبلاغة، وقوة حجة^(٣).

لذلك اختلف العلماء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد: ١٣] وقد ذكر فيها عدة روايات؛ كان من أصحها:

" عن أنس بن مالك^(٤) I قال: بعث النبي ﷺ مرة رجلاً إلى رجل من فراعنة العرب^(٥)، أن ادعُ لي، فقال: يا رسول الله، إنه أعتى من ذلك! قال: اذهب إليه فادعه. قال: فأتاه فقال: رسول الله ﷺ يدعوك! فقال: مَنْ رسول الله؟ وما الله؟ أمِنْ ذَهَبٍ هو، أم من فضة، أم من نحاس؟ قال: فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره، فقال: ارجع إليه فادعه قال: فأتاه فأعاد عليه وردَّ عليه مثل الجواب الأول. فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: ارجع إليه فادعه! قال: فرجع إليه. فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما، إذ بعث الله سحابة بحيالٍ رأسه فرَعَدَت، فوقعت منها صاعقة فذهبت بِقَحْفِ^(٦) رأسه، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ

(١) أسباب النزول، للواحي (١/٥-٦).

(٢) البقرة: ٢٦٩

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٥/٨-١٢٦) بتصريف.

(٤) هو: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة: صاحب رسول الله ﷺ وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً. مولده بالمدينة وأسلم صغيراً. مات بالبصرة من الصحابة I سنة (٩٣هـ-٧١٢م). انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/١٠٩)، الأعلام للزركلي (٢/٢٤-٢٥).

(٥) هو: ابن جعفر بن كلاب وهو أخو ليبيد بن ربيعة لأمه وهو الذي أراد قتل رسول الله ﷺ مع عامر بن الطفيل، وقتل بصاعقة. انظر: غوامض الأسماء المبهمة (٢/٧٦٩-٧٧٠).

(٦) هو: العظم فوق الدماغ من الجُمُجُمة، والجميع: القحفة والأقحاف. والقحْفُ: قطعُه وكسْرُه. انظر: غريب الحديث للخطابي (٢/١٥٣)، العين (٣/٥١).

فَيُصِيبُ بِهِمَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٠﴾ [الرعد: ١٣] (١).

نخلص مما سبق: إلى أنه لا يوجد في سورة الرعد إلا هذه الآية؛ التي لها سبب نزول خاص فقط.



(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١٨٣ / ٦) برقم: ٣٣٤١ ، ٣٤٦٨ ، و البزار في مسنده (١٣ / ٣٦١) برقم: ٧٠٠٧ ، والطبراني في المعجم الأوسط (٩٦ / ٣) برقم: ٢٦٠٢ ، وإسناده صالح.

المبحث الثاني

مقاصد السورة الكريمة وأهدافها

ويشتمل على مطلبين:

• المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً.

• المطلب الثاني: مقاصد السورة الكريمة.

* * * * *

المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً

الغرض من مقاصد القرآن؛ أن يحصل للقارئ قوة على فهم كتاب الله تعالى، وتدبر آياته أولاً، ثم كلام رسوله ﷺ وصحابته، ويعلم كيف تبنى الألفاظ الواردة في القرآن والحديث؛ بعضها على بعض، حتى تستنبط منها الأحكام، وتفرع الفروع، وتنتج النتائج، وتقرن القرائن على ما تقتضيه معاني كلام العرب ومجازاتها^(١).

تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً:

تعريف المقاصد لغة: جمع مقصد، وهي مصدر ميمي مشتق من الفعل قصد؛ فيقال: قصد يقصد قصدًا، كمقعد، أي المهمات المقصودة، وهو ما يؤمّه الإنسان من أمر ويطلبه، وهي نيّة المتكلم ومراده، فكأن الناوي يؤم بقلبه الشيء، ويتوجه إليه للإتيان به، فنقول: قصد الحجاج البيت الحرام، إذا أموا تلك الجهة واعتمدوها.

وعليه فإنّ المقصد له معان لغوية كثيرة منها:

١- الاعتماد والتوجه واستقامة الطريق، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ

وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾^(٢).

٢- التوسّط وعدم الإفراط والتفريط، قال تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ

صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ﴾^(٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ I قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»
قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدَّدُوا

(١) تاريخ آداب العرب (٢٨/١) بتصرف يسير.

(٢) النحل: ٩

(٣) لقمان: ١٩

وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصدَ القصدَ تبلغوا»^(١).

٣- الوجهةُ أو المكان المقصود^(٢).

وفي الاصطلاح: لم يتعرض علماء الأصول إلى تعريف المقاصد، والذي يستخلص من كلامهم في ذلك: أنها المعاني والحكم؛ الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة^(٣).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب: القصد والمداومة على العمل، برقم (٦٤٦٣) (٩٨/٨).

(٢) تراجع: تاج العروس (٦٧/١)، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٢٢/١)، القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير (١٩٦/١)، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية (١٤٨/١)، أرشيف ملتقى أهل الحديث - ١ (٤٣٢/٥٨)، علم المقاصد الشرعية (١٣/١).

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٢٩/٣٨).

المطلب الثاني: مقاصد السورة الكريمة وأهدافها

لعلم مقاصد سور القرآن أهمية في معرفه الهدف الأسمى من إنزال القرآن الكريم؛ وهو التدبر في آياته؛ ومن ثم الإيمان به. فمقاصد السور عند العلماء هو ما تضمنته الآيات من مواضيع، ومقصد كل سورة؛ هو المعنى الذي ترجع إليه؛ مما يكون لنا عوناً على فهم كتاب الله ﷻ؛ وظهور المناسبات بين الآيات بشكل واضح. فبدأت السورة بوصف الكتاب بأنه الحق في نفسه^(١)، وإقامة الأدلة على وجود الله ﷻ ووحدانيته^(٢) "وبيان حجة التوحيد في خلق السموات والأرض، واستخراج الأنهار، والأشجار والثمار، وتهديد الكفار ووعيدهم، وذكر خلق الأولاد في أرحام الأمهات، على تباين الدرجات، ومع النقصان والزيادات في الأيام والساعات، وإطلاع الحق تعالى على بواطن الأسرار، وضمان الأختيار والأشرار، وذكر السحاب والرعد والبرق، والصواعق"^(٣)، وأنسب ما فيها لهذا المقصد: الرعد، فإنه مع كونه حقاً في نفسه؛ يسمعه الأعمى والبصير، والبارز والمستتر، وتارة يتأثر عنه البرق والمطر، وتارة لا يتأثر. وإذا نزل المطر: فتارة ينفع؛ إذا أصاب الأراضي الطيبة وسلمت من عاهة، وتارة لا ينفع؛ إذا نزل على السباح الخوارة، وتارة يضر بالإغراق، أو الصواعق، أو البرد، وغيرها، والرد على عبادة الأصنام. وقصة نزول القرآن من السماء، والوفاء بالعهد، ونقض الميثاق، ودخول الملائكة بالتسليم على أهل الجنان. وأنس أهل الإيمان بذكر الرحمة، وبيان تأثير القرآن في الآثار والأعيان، وكون عاقبة أهل الإيمان إلى الجنان^(٤).

"ومرجع الكفار إلى النيران، والمحو والإثبات في اللوح بحسب مشيئة الديان، وتقدير الحق في أطراف الأرض بالزيادة والنقصان، وتقرير نبوة

(١) نظم الدرر البقاعي(١/١١٧) بتصرف.

(٢) أسماء سور القرآن وفضائلها (رسالة علمية محكمة) منيرة الدوسري(١/٢٣٣).

(٣) تفسير مقاتل (٢/٣٦٥).

(٤) نظم الدرر البقاعي(٢/١٩٣) بتصرف يسير.

المصطفى ﷺ بنزول الكتاب وبيان القرآن، في قوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣] (١).

ويقول ابن عاشور (٢): وهو يتحقق عن أهم مقاصد سورة الرعد: "أقيمت هذه السورة على أساس إثبات صدق الرسول ﷺ فيما أوحى إليه من أفراد الله بالألوهية، والبعث، وإبطال أقوال المكذبين، فلذلك تكررت حكاية أقوالهم خمس مرات؛ موزعة على السورة بدءاً ونهاية.

ومهد لذلك بالتنويه بالقرآن، وأتته منزل من الله تعالى، والاستدلال على تفرد الله تعالى بالألوهية بدلائل خلق العالمين ونظامهما الدال على انفراده بتمام العلم والقدرة، وإدماج الامتنان لما في ذلك من النعم على الناس.

ثم انتقل إلى تفنيد أقوال أهل الشرك ومزاعمهم في إنكار البعث وتهديدهم أن يحل بهم ما حل بأمثالهم. والتذكير بنعم الله تعالى على الناس. وإثبات أن الله تعالى هو المستحق للعبادة دون آلهتهم. وأن الله تعالى العالم بالخفايا، وأن الأصنام لا تعلم شيئاً ولا تنعم بنعمة. والتهديد بالحوادث الجوية أن يكون منها عذاب للمكذبين كما حل بالأمم قبلهم. والتخويف من يوم الجزاء، والتذكير بأن الدنيا ليست دار قرار، وبيان مكابرة المشركين في اقتراحهم مجيء الآيات على نحو مقترحاتهم، ومقابلة ذلك بيقين المؤمنين، وما أعد الله تعالى لهم من الخير، والثناء على فريق من أهل الكتب؛ يؤمنون بأن القرآن منزل من عند الله، والإشارة إلى حقيقة القدر، ومظاهر المحو والإثبات، وما تخلل ذلك من المواعظ والعبر والأمثال" (٣).

يمكن استخلاص مقاصد وفضائل سامية كثيرة من سورة الرعد منها:

بدأت السورة بإقامة الأدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته، من خلق السموات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والجبال والأنهار، والزرورع والثمار المختلفة الطعوم والروائح والألوان، وأن الله تعالى منفرد بالخلق والإيجاد، والإحياء والإماتة، والنفع والضرر. وكذلك قضايا العقيدة ومنها قضية الوحي بهذا الكتاب، والحق الذي اشتمل عليه، وتلك هي قاعدة بقية القضايا، من توحيد الله، والإيمان بالبعث، والعمل الصالح في الحياة. فكلها

(١) تفسير مقاتل (٢/٣٦٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٣/٧٦-٧٧).

متفرعة عن الإيمان بأن الأمر بهذا هو الله تعالى، وأنّ هذا القرآن وحي من عنده سبحانه إلى رسوله ﷺ هذا على وجه الإجمال، أما على وجه التفصيل، فقد تضمنت السورة المقاصد التالية:

١- إثبات البعث والجزاء في عالم القيامة، وتقرير إيقاع العذاب بالكفار في الدنيا.

٢- الإخبار عن وجود ملائكة تحفظ الإنسان وتحرسه بأمر الله تعالى.

٣- إيراد الأمثال للحق والباطل، ولمن يعبد الله تعالى وحده ولمن يعبد الأصنام؛ بالسيل والزبد الذي لا فائدة فيه، وبالمعدن المذاب، فيبقى النقي الصافي، وي طرح الخبث الذي يطفو.

٤- تشبيه حال المتقين أهل السعادة الصابرين المقيمي الصلاة بالبصير، وحال العصاة الذين ينقضون العهد والميثاق، ويفسدون في الأرض بالأعمى.

٥- البشارة بجنان عدن للمتقين، والإنذار بالنار لناقضي العهد؛ المفسدين في الأرض.

٦- بيان مهمة الرسول ﷺ، وهي الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده، وعدم الشرك به، وتحذيره من مجاملة المشركين في دعوتهم.

٧- الرسل ﷺ بشر كغيرهم من الناس، لهم أزواج وذرية، وليست المعجزات رهن مشيئتهم، وإنما هي بإذن الله تعالى، ومهمتهم مقصورة على التبليغ، أما الجزاء فالإلى الله تعالى.

٨- إثبات ظاهرة التغيير في الدنيا، مع ثبوت الأصل العام لمقادير الخلائق في اللوح المحفوظ.

٩- الإعلام بأن الأرض ليست كاملة التكوين، وإنما هي بيضاوية ناقصة في أحد جوانبها.

١٠- إحباط مكر الكافرين بأنبيائهم في كل زمان.

١١- ختمت السورة بشهادة الله لرسوله ﷺ بالنبوة والرسالة، وكذا شهادة المؤمنين من أهل الكتاب بوجود أمارات النبي ﷺ في كتبهم^(١).

(١) المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها (رسالة علمية محكمة) نمر جبر سدر (٢٦_٢٨).

الباب الثاني

التناسق الموضوعي – دراسة تطبيقية

وفيه ثلاثة فصول وهي :

✿ الفصل الأول : محور السورة الكريمة ، ومناسبتها .

✿ الفصل الثاني : موضوعات السورة الكريمة ، وتناسقها .

✿ الفصل الثالث : تفسير آيات السورة في ضوء تناسقها الموضوعي .

الفصل الأول

محور السورة الكريمة ، ومناسبتها

وفيه ثلاثة مباحث: -

- ❖ المبحث الأول: محور السورة وموضوعها الكلي.
- ❖ المبحث الثاني: مناسبة اسم السورة لموضوعاتها.
- ❖ المبحث الثالث: مناسبة فاتحة السورة لخاتمها.
- وفاتحتها وخاتمها لموضوعاتها.

* * * * *

المبحث الأول: محور السورة وموضوعها الكلي

محور السورة وموضوعها الكلي؛ وهو (أن الحق واضح ثابت، والباطل ضعيف زائف خادع).

مهما ظهر الباطل وعلا على الحق ببهرجته وزيفه؛ فهو زائل لا محالة، ويبقى الحق يسطع بنوره على الكون كله.

عرضت السورة للمتقابلات الموجودة في الكون في آيات عديدة، وهي تقرر وحدانية الله، والرسالة، والبعث والجزاء.

فسورة الرعد فيها الكثير من المشاهد والصور التي توحى بالإيمان " وهذه المشاهد تؤكد أن هناك معبودًا واحدًا؛ أحدًا فردًا صمدًا.

هذا عن موضوعات السورة وقضاياها، وعن آفاقها الكونية. فالإطار العام الذي تعرض فيه قضاياها؛ هو الكون، ومشاهده وعجائبه في النفس؛ وفي الآفاق.

فتبدأ السورة بقضية الوحي بهذا الكتاب، والحق الذي اشتمل عليه^(١).

وقوله تعالى: ﴿الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١].

ويقول البقاعي: "والمقصود من هذه الآية، وهي بيان أن الكتاب المنزل من الله ﷻ هو الحق، وإقامة الدليل عليه، وذلك لأنه لما تم وصف الكتاب بأنه حكيم محكم مفصل مبين، عطف الكلام إلى تفصيل أول سورة البقرة، والإيماء إلى أنه حان اجتناء الثمرة في هذه السورة والتي بعدها، ويلتحم بذلك وصف المصدقين بذلك"^(٢).

(١) في ظلال القرآن، (٢٠٤٣/٤) وانظر: المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: نمر جبر سدر - دراسة تطبيقية لسورة الرعد - يوسف - إبراهيم رسالة ماجستير - غزة فلسطين ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

(٢) نظم الدرر (١/٢٦٥).

ذكرت هذه السورة الكريمة بعض صفات الله تعالى، وأثبت الله تعالى لهذه السورة وصف الكمال والرّفعة، وعمّم هذا الحكم على القرآن جميعه^(١).

وكذلك عنيت سورة الرعد بأصول العقيدة الإسلامية من الإيمان بالله تعالى، وكتبه، ورسله، والبعث والجزاء، وبيّنت معنى العبودية والألوهية، وأنّ الله وحده هو الرزاق والمحّي والمميت، وهو وحده المستحق للعبادة، وأنّ القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، الدالة على صدق نبينا محمد ﷺ ورسالته، وفي هذا بيان على منزلة القرآن الكريم، وسموه من أي نقص وعيب، لأنّه تنزيل رب العالمين^(٢).

فقد بيّنت سورة الرعد الأدلة المتنوعة على كمال قدرته سبحانه، وعلى وجوب إخلاص العبادة له؛ من خلال دلائل السماوات والأرض وما بينهما؛ وما في العالم بجملته؛ وما يحمله الكتاب المبين من هذه الدلائل^(٣).

ثم تعرضت السورة لبيان جلي لسالكي تلك السبيل الواضحة المنجية، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَيَلْتَمِضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: ٢٠].

ثم عاد الكلام بعد إلى ما فيه من التنبيه والبسط؛ وتقريع الكفار وتوبيخهم، وتسليمه – عليه الصلاة و السلام- في أمرهم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وقوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣].

والآيات في السورة بجملتها غير حائدة عن تلك الأغراض المجملّة المذكورة في آخر سورة يوسف، في قوله تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحَىٰ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ

(١) التفسير المنير للزحيلي (١٠٠/١٣) بتصرف.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٥٤٦/٣) بتصرف.

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (٤٣٩/٧) بتصرف.

عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا
 اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى مَنْ نَشَاءُ ۗ وَلَا يَرُدُّ بِاسْمِنَا
 عَنِ الْقَوْمِ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ
 وَلَكِنْ تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ۗ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
 ﴿١١١﴾^(١)، ومعظم السورة وغالب آيها؛ في التنبيه، وبسط الدلالات، والتذكير
 بعظيم ما أودعت من الآيات، ولما كان هذا شأنها؛ أعقت بمفتاح سورة إبراهيم
 العليّة^(٢).

يمكن استخلاص بعض المواضيع التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمحور سورة

الرعد ومنها:

- ١- أن الكتاب المنزل من الله ﷻ هو الحق، وإقامة الأدلة والبراهين على ذلك.
- ٢- سورة الرعد تبين كثيراً من الحقائق الكونية؛ التي تدل أن الله تعالى موجود، وتدل على قدرته ﷻ في الخلق، وهيمنته، وسلطانه على الخلق، حتى يعود الناس إلى ربهم، ويتأمل في خلق الله ﷻ، ويتفكر في آياته في الكون، ويتدبرها.
- ٣- تذكر الآيات ما عليه الكفار المكذبين من إنكار للبعث والنشور؛ بسبب بعدهم عن الحق، وتبين عاقبتهم في الآخرة، ودليل ضلالهم واستعجالهم العذاب^(٣).
- ٤- تبين السورة الكريمة طلب الكافرين من النبي ﷺ لَمَا اقترحوا الآيات، وطلبوا منه معجزات حسية غير القرآن، وذلك زيادة في إعراضهم وجحودهم،

(١) يوسف: ١٠٨-١١١.

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن (٢٣٥/١) بتصريف.

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٣٢١/١٦)، تفسير ابن كثير (٤/٤٢٨)، الوجيز للواحي (ص: ٥٦٥).

وإنكارهم لفضل القرآن الكريم، وردّ الله عليهم في هذه الآيات أنّ- رسالة نبينا محمد ﷺ؛ ورسالة الأنبياء ﷺ من قبله، هي الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده، وهي دعوة الحق، والتحذير من عذابه^(١).

٥- تذكر سورة الرعد بعضاً من صفات الله تعالى:

-منها علم الغيب؛ بأنه لا يغيب عنه ﷻ شيء، فهو العالم بأمر خلقه، وجعل لهم أيضاً ملائكة لحفظ الإنسان؛ من بين يديه ومن خلفه، وحفظ أعماله.
-ومنها أنّ الله ﷻ خالق البرق؛ ليخيف به عباده، ومنشئ السحاب، وله يسبح الرعد بحمده؛ والملائكة من خيفته، وهو المرسل ﷻ للصواعق؛ يصيب بها من يشاء، ودعوة الحق له سبحانه، وله يسجد كل من في السموات والأرض طوعاً أو كرهاً^(٢).

٦- وفي سورة الرعد ينفي الشرك بجميع أنواعه، ويأمر الله تعالى نبينا محمداً ﷺ أن يسأل الكفار والمشركين عن رب السموات والأرض؛ فيؤكد لهم أنّه هو الله ﷻ الذي يملك الضر والنفع، ودعوته هي الحق، وما عداها باطلة، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً؛ وبالتالي لا يملكونها لغيرهم^(٣).

٧- ذكر الله ﷻ في سورة الرعد مجموعة من الأمثال؛ ليتضح الحق من الباطل، والهدى من الضلال^(٤).

٨- في السورة مدح وثناء للمؤمنين، ووصف لأهل الحق، وذم لأهل الباطل.

٩- ذكر في سورة الرعد مدح وثناء للقرآن الكريم؛ بأنه لو وجد كتابٌ يقرأ فتتحرك به الجبال عن أماكنها؛ أو تتشقق به الأرض؛ ويكلم به الموتى؛ لكان هذا الكتاب هو القرآن الكريم، ومع هذا ما زال الكافرون معاندون ومصرون على تشكيكهم في أنه وحي إلهي، وأنه بأمر الله ﷻ.

١٠- في هذه الآيات تسلية للرسول ﷺ، ومواساه له بذكر جزاء من كذب بالرسول ﷺ من قبل.

(١) تفسير القرطبي (٢٨٥/٩) بتصرف.

(٢) يراجع: في ظلال القرآن (٢٠٦٦/٤).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٨٩/٣) بتصرف.

(٤) التفسير الميسر (٢٥١/١) بتصرف.

١١ - وتنتهي السورة بشهادة الله تعالى، التي جاء بها المطلع وجاء بها الختام، والتي يحسم بها كلّ جدل، وينتهي بعدها كلّ كلام.
ففي السورة معالم للعقيدة الإسلامية، عرضت من خلال المنهج القرآني، فكان من حق هذه المعالم أن نقف عندها في مواضعها^(١).



(١) في ظلال القرآن (٢٠٦٦/٤)، التفسير القرآني للقرآن (١٤٤/٧) بتصرف.

المبحث الثاني: مناسبة اسم السورة لموضوعاتها

هذه السورة المكيّة لها نسق خاص في موضوعها وفي سياقها. فهي تمضي في معاني جميلة، تتوالى على القلب البشري من بدئها إلى نهايتها. ومعانيها موحية مؤثرة في القلب تهزه هزاً، وتوقظه من غفلته ليتأمل عظمة هذا الوجود، وروعة هذا الكون؛ وليتدبر آيات الله تعالى في الكون؛ وليتذكر آلاء الله، ويشعر برحمته ورعايته؛ وليتصور مصارع الغابرين في الأرض؛ ومشاهد يوم القيامة؛ وليخشع وهو يواجه بدائع خلق الله تعالى^(١).

هذا هو الافتتاح الذي يلخص موضوع السورة كله؛ ويشير إلى جملة قضاياها، ومن ثم يبدأ في استعراض آيات القدرة، وعجائب الكون الدالة على قدرة الخالق، وحكمته وتدبيره، الناطقة بأن مقتضيات هذه الحكمة؛ أن يكون هناك وحي لتبصير الناس، وأن يكون هناك بعث لحساب الناس.

وأن من مقتضيات تلك القدرة أن تكون مستطبعة بعث الناس، وإخراجهم من قبورهم إلى يوم القيامة، ورجعهم إلى الخالق الذي بدأهم؛ وبدأ الكون كله قبلهم، وسخره لهم ليبلوهم فيما آتاهم.

ثم التعجب من قوم ينكرون البعث بعد هذه الآيات الضخام، ويستعجلون عذاب الله تعالى، ويطلبون آية غير هذه الآيات^(٢).

"فموضوع الآيات مناسب لمقتضى السورة، من التنبيه بما أودع الله تعالى من الآيات في السماوات والأرض"^(٣).

(١) في ظلال القرآن (٢٩١٨/٥) بتصرف يسير.

(٢) الموسوعة القرآنية خصائص القرآن (١٤٨/٧) بتصرف.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٦٧/١٠).

المبحث الثالث: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها وفاتحتها وخاتمتها لموضوعاتها

جعل الله فاتحة سورة الرعد مناسبة لخاتمتها، فافتتحت بقوله تعالى:

﴿الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١]، فيلتقي بدؤها مع ختامها في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۗ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [٤٣: الرعد] (١).

حيث ختمت السورة الكريمة بشهادة الله لرسوله ﷺ بالنبوة والرسالة، وكذا شهادة المؤمنين من أهل الكتاب بوجود أمارات النبي ﷺ في كتبهم. وكان في السورة بيان مدى فرح هؤلاء بما ينزل من القرآن؛ مصدقا لما عرفوه من الكتب الإلهية (٢).

- كما أنّ السورة مفتحة بذكر القرآن؛ ومختمة به (٣).

وهناك علاقة وثيقة بين الفساد الذي يصيب حياة البشر في هذه الأرض؛ وبين ذلك العمى عن الحق الذي جاء من عند -الله تعالى- لهداية البشر إلى الخير والصالح. فالذين لا يستجيبون لعهد الله تعالى، ولا للحق الذي جاء من عنده، ويعلمون أنه وحده الحق؛ هم الذين يفسدون في الأرض. كما أنّ الذين يعلمون أنه الحق ويستجيبون له؛ هم الذين يصلحون في الأرض، وتزكو بهم الحياة.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أَولُوا الْأَلْبَابِ

﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۗ أَنْ يُوصَلَ

وَيُخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٤٤/٧) بتصرف يسير.

(٢) التفسير المنير للزحيلي (٩٨/١٣) بتصرف يسير.

(٣) مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للسيوطي (٥٢/١) بتصرف.

رَزَقْنَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٣﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ
وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٤﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ
يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ [الرعد: ١٩-٢٥]

إن حياة الناس لا تصلح إلا بأن يتولى قيادتها المبصرون أولو الألباب، الذين يعلمون أن ما أنزل إلى محمد ﷺ هو الحق، ومن ثم يوفون بعهد الله تعالى على الفطرة، وبعهد الله على آدم وذريته، أن يعبدوه وحده، فيدينوا له وحده، ولا يتلقوا عن غيره، ولا يتبعوا إلا أمره ونهيه. ومن ثم يصلون ما أمر الله تعالى به أن يوصل، ويخشون ربهم، فيخافون أن يقع منهم ما نهى عنه وما يغضبه، ويخافون سوء الحساب، فيجعلون الآخرة في حسابهم، ويراقبون الله تعالى في السر والعلن، فيقبلون على الله تعالى، ويصبرون على الاستقامة على عهد الله تعالى ذلك بكل تكاليف الاستقامة، ويطبقون الصلاة، وينفقوا مما رزقهم الله تعالى سرا وعلانية، ويدفعوا السوء والفساد في الأرض؛ بالصلاح والإحسان؛ اتباعاً لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ

اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

إن حياة الناس في الأرض لا تصلح إلا بمثل هذه القيادة المبصرة؛ التي تسير على هدى الله تعالى وحده، والتي تصوغ الحياة كلها وفق منهجه وهديه، إنها لا تصلح بالقيادات الضالة العمياء، التي لا تعلم أن ما أنزل على محمد ﷺ هو الحق وحده، والتي تتبع مناهج أخرى غير منهج الله تعالى الذي ارتضاه للصالحين من عباده، إنها لا تصلح بالإقطاع والرأسمالية، كما أنها لا تصلح بالشيوعية والاشتراكية العلمية. إنها كلها من مناهج العمي الذين لا يعلمون أن ما أنزل على محمد ﷺ هو وحده الحق، الذي لا يجوز العدول عنه إلى غيره، ولا التعديل فيه. كما أنها لا تصلح بالثيوقراطية كما أنها لا تصلح بالديكتاتورية أو الديمقراطية! فكلها سواء في كونها من مناهج العمي، الذين يقيمون من أنفسهم أرباباً من دون الله تعالى، فتضع مناهج الحكم ومناهج الحياة، وتشرع للناس ما لم يأذن به الله تعالى، فتجعل دينونتهم لغير الله تعالى الذي خلقهم وتفضل عليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى.

وأية هذا الذي يقوله صاحب الضلال، استمداد من النص القرآني هو هذا الفساد

(١) البقرة: ١٩٥

الطامي الذي يعمّ وجه الأرض اليوم في جاهلية القرن العشرين، وهو هذه الشقوة النكدة، التي تعانيتها البشرية في مشارق الأرض ومغاربها، سواء في ذلك أوضاع الإقطاع والرأسمالية، وأوضاع الشيوعية والاشتراكية العلمية، وسواء في ذلك أشكال الديكتاتورية في الحكم أو الديمقراطية، إنها كلها سواء فيما تلقاه البشرية من خلالها؛ من فساد ومن تحلل ومن شقاء ومن قلق، لأنها كلها سواء من صنع العمي، الذين لا يعلمون أن ما أنزل على محمد ﷺ من ربّه هو الحقّ وحده، ولا تلتزم من ثمّ بعهد الله وشرعه، ولا تستقيم في حياتها على منهجه وهديه.

إنّ المسلم يقرّ بحكم إيمانه بالله تعالى، وعلمه بأن ما أنزل على محمد ﷺ هو الحق، وهو الشرع الوحيد الذي سنه الله تعالى، وارتضاه للصالحين من عباده، وغيره الباطل. ومجرد الاعتراف بشرعية منهج أو وضع أو حكم من عند غير الله تعالى، هو بذاته خروج من دائرة الإسلام لله تعالى^(١).

والقيادة بغير الاستفادة بنور الشريعة عاقبتها الوبال، مهما علت، ولو علت إلى أعلى قمة؛ فإنها سوف تنزل إلى أسفل قعر. الهداية بالإسلام، بنور الإسلام، لا بالقومية، ولا بالعصبية، ولا بالوطنية، ولا بغير ذلك، بالإسلام فقط.

فالإسلام وحده هو الكفيل بعزة الأمة، لكن تحتاج إلى قيادة حكيمة؛ تضع الأشياء مواضعها، وتتأنى في الأمور ولا تستعجل، لا يمكن أن يصلح الناس بين عشية وضحاها، ومن أراد ذلك فإنه قد أراد أن يغير الله تعالى سنته، والله ﷻ لا يغير سنته، فهذا نبي الله ﷺ بقي في مكة ثلاث عشرة سنة ينزل عليه الوحي، ويدعو إلى الله ﷻ بالتي هي أحسن، ومع ذلك في النهاية خرج من مكة خائفاً مختفياً، لم تتم الدعوة في مكة، فلماذا نريد أن نغير الأمة التي مضى عليها قرون وهي في غفلة وفي نوم بين عشية وضحاها، هذا سفه في العقل، وضلال في الدين.

الأمة تحتاج إلى علاج رقيق هادئ، يدعو بالتي هي أحسن، فتحتاج بعد الفقه في دين الله تعالى، والحكمة في الدعوة إلى الله تعالى؛ إلى العلم بالواقع والفتنة والخبرة، ونظر في الأمور التي تحتاج إلى نظر بعيد؛ لأنّ النتائج قد لا تتبيّن في شهر، أو شهرين، أو سنة، أو سنتين، لكن العاقل يصبر، وينظر ويتأمل حتى يعرف، والأمر يحتاج أيضاً إلى عزم وتصميم وصبر^(٢).

(١) في ظلال القرآن (٢٠٧٦/٤) بتصرف.

(٢) تفسير العثيمين: جزء عم (٢٣٨/١) بتصرف يسير.

الفصل الثاني

موضوعات السورة الكريمة، وتناسقها

وفيه تمهيد وخمسة مباحث: -

- ❖ تمهيد: ويشتمل على عرض سريع لموضوعات سورة الرعد.
- ❖ المبحث الأول: مظاهر القدرة الربانية ويشمل الآيات (١-١١).
- ❖ المبحث الثاني: خضوع المخلوقات لله، وإثبات الوجدانية وذم كفر الكافرين ويشمل الآيات (١٢-١٦).
- ❖ المبحث الثالث: ضرب الأمثال للحق والباطل واختلاف مصير المؤمنين عن مصير الكافرين، ويشمل الآيات (١٧-١٨).
- ❖ المبحث الرابع: صفات المؤمنين وأولي الألباب مقابل صفات الكفار العميان، صورة الكفار العميان وصورة أخرى لأصحاب القلوب مطمئنة ونقض الشرك بالله وعذاب الكافرين مقابل نعيم المؤمنين ويشمل الآيات (١٩-٣٥).
- ❖ المبحث الخامس: إثبات الوحي والرسالة والوجدانية وذم إنكار الكفار لقدرة الله المطلقة وتهديد منكري النبوة ويشمل الآيات (٣٦-٤٣).

* * * * *

التمهيد

سور القرآن الكريم؛ كل سورة منها تحتوي على تناسق بين موضوعاتها، تتناول الموضوع الواحد من جوانب متعددة، بحيث يظهر التناسب والتناسق واضحاً فيها.

يقول صاحب مناهل العرفان مبيئاً خاصية من خصائص أسلوب القرآن الكريم، وهي: "جودة سبكه وإحكام سرده"، ومعنى هذا: أن القرآن بلغ من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره؛ مبلغاً لا يداينه فيه أي كلام آخر، مع طول نفسه، وتنوع مقاصده، واقتنانه، وتلوينه في الموضوع الواحد، وآية ذلك؛ أنك إذا تأملت في القرآن الكريم وجدت ترابطاً بين أجزائه، ولمحت فيه معاني عظيمة؛ تبعت الحياة والحس، فإذا هو وحدة متماسكة، مترابطة متألّفة، مع أنه كثرة متنوعة، فبين كلمات الجملة الواحدة من التناسق ما جعلها رائعة التجانس والتجاذب، وبين جمل السورة الواحدة من الترابط ما جعلها وحدة صغيرة متجانسة الأجزاء والآيات، وبين سور القرآن من التناسب ما جعله كتاباً حسن السميت، قرءاناً عربياً غير ذي عوج، ومع أنها مؤلفة من هذه الأجزاء المتنوعة؛ إلا أنها وحدة بديعة متألّفة، تريك كمال الانسجام بين كل جزء وجزء، وبين أوائل السورة وأواخرها وأواسطها، يُعرف هذا الإحكام والترابط في القرآن كل من ألقى باله إلى التناسب الشائع فيه، من غير تفكك ولا انحلال ولا تنافر، فالموضوعات مختلفة متنوعة؛ من تشريع إلى قصص إلى جدل إلى وصف، إلى غير ذلك^(١).

"ولها موضوع رئيس مشدود إلى محور خاص، ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها، ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها؛ وفق هذا الجو"^(٢).

وبعد الاطلاع على السورة الكريمة وعلى تفسير العلماء لها؛ تبين لي ما في السورة الكريمة من تناسب وتناسق بين موضوعاتها، فعمدت إلى تقسيم السورة إلى خمسة مواضيع، مراعية في ذلك التناسب والتناسق، راجية من الله عَلَيْكَ الْعُونُ وَالسَّدَادُ وَالتَّوْفِيقُ.

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (٣١٥/٢) بتصريف.

(٢) في ظلال القرآن (٢٨/١).

المبحث الأول

مظاهر القدرة الربانية
ويشتمل الآيات (١-١١)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: بيان تناسق افتتاحية السورة مع موضوعاتها.
- المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات.
- المطلب الثالث: الغرض الذي سيقى له الآيات.

* * * * *

المطلب الأول:

بيان تناسق افتتاحية السورة مع موضوعاتها

قال تعالى: ﴿الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى الْاَيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لِنَافِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾

[الرعد: ١-١١]

افتتاح السورة، وطبيعة الموضوعات التي تعالجها، وكثيرا من التوجيهات فيها، كل أولئك يدل دلالة واضحة على أن السورة مكية، وما جاء فيها من آيات لبيان الحق، والالتجاء إلى الله وحده، وإعلان وحدانيته، والاعتقاد بأنها هي الحق، مهما كذب بها المشركون، كما تستهدف مواجهة المشركين بدلائل هذا الحق في الكون، وفي أنفسهم، وفي التاريخ البشري وأحداثه، وهذه نماذج من التوكيدات؛ على أن هذا الكتاب هو وحده الحق، وأن الإعراض عنه لا يغير

شياً من تلك الحقيقة.

ومن التوجيه الرباني لرسول الله ﷺ أن يجهر بالحق الذي معه، وهو أنه لا إله إلا الله، وأن الناس مردودون إليه، فإما إلى جنة وإما إلى نار.

وتحوي كذلك على الكثير من النماذج الباهرة، ومنها قوله تعالى:

﴿الْمَرْءُ لِكَلِمَةٍ أَلْكَنَبٍ ۗ وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ

﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۗ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ

مُسَمًّى ۗ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد: ١-٢]

ويتحدث السياق عن هذه المشاهد الكونية، فتكون شاهداً ناطقاً بسلطان الله سبحانه في الخلق والإنشاء، والتقدير والتدبير، ثم يعجب من قوم يرون هذه الشواهد، وينكرون البعث والنشأة الأخرى، ويكذبون بالوحي من أجل أنه يقرر هذه الحقيقة.

ويعجب من أمر قوم يجادلون في الله ويشركون به، وهم يشاهدون آثار ربوبيته، وتصريفه وتدبيره لأمر العباد، فيذكر هذه الشواهد والدلائل في التاريخ البشري؛ حتى تخاطب البشرية بجملتها؛ في تناسق واتساق.

والقرآن الكريم يعتمد عليه الدعوة في الدعوة إلى الله، وبيان حقيقة العبودية التي تشمل كل ما خلق الله، ومنهم أنبياء الله ورسله، وقع عليهم الاختيار، وبقيت لهم بشريتهم وعبوديتهم لله سبحانه؛ كبقية خلق الله.

ثم نقف من السورة أمام معلم آخر، وهي تقرر كلمة الفصل في العلاقة بين اتجاه "الإنسان" وحركته، وبين تحديد مآله ومصيره، مع تقرير أن كل حدث إنما يقع ويتحقق بقدر من الله خاص.

وفي السورة؛ كلمة الفصل كذلك في دلالة الكفر؛ وعدم الاستجابة لهذا الحق الذي جاء به هذا الدين.

وفي هذه السورة؛ ترد أمثال هذه الآيات، الدالة على طبيعة الكفر، فتقرر أنه عمى وانطماس بصيرة، وأن الهدى دلالة على سلامة البشرية من هذا العمى^(١).

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٠٤٤) بتصرف.

المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات

المسألة الأولى: الدراسة التناسقية في الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١]

أولاً: الحروف المقطعة في أول السورة وتأويل العلماء لها وإثبات وحدانية الله ﷻ:

بدأت السورة بالحروف المقطعة؛ ليفتح الله تعالى لاستماعها أذان المشركين؛ إذ تواصلوا بالإعراض عن القرآن، حتى إذا استمعوا له؛ تُلِّي عليهم المؤلف منه، وللتنبية، ليكون في غرابتها ما يثير الالتفات عند سماعها؛ لأجل الإصغاء لما بعدها؛ وهي بذلك تشير إلى عظمة المؤلف من هذه الحروف، التي يلفظ بها العرب كلامهم^(١).

والآية كما أشرنا إلى ذلك من قبل؛ تنفي عن القرآن الكريم أن يكون قد شابه شيء من الكذب أو الشك، إذ كان مصدقاً لما تقدمه من الكتب السماوية، شاهداً لها بأنها من عند الله تعالى. فالله تعالى يؤكد لأولئك المعارضين أن القرآن من عنده سبحانه. ويتألف من حروف هي من جنس الحروف الهجائية التي تنظمون منها كلامكم، فإن كنتم في شك من كونه منزلاً من عند الله تعالى فهاتوا بمثله، فإن لم تستطيعوا أن تأتوا بمثله؛ فهاتوا عشر سور من مثله، فإن لم تستطيعوا فأتوا سورة واحدة من مثله، وقد عجزوا عنه؛ وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار، وهذا يدل على أنه ليس بكلام البشر، وإنما هو كلام خالق البشر^(٢).

وحيثما يفتح الله تعالى بعض السور بالحروف المقطعة؛ فهو سبحانه ينبيه إلى إعجاز القرآن الكريم.

(١) تفسير الطبري (٢٠٨/١)، تفسير ابن كثير (١٥٧/١) بتصرف.

(٢) تفسير الزمخشري (٢٧/١)، الخواطر السوائح في كشف أسرار الفواتح، لابن أبي الأصبع (٥٤) بتصرف.

ولهذا افتتحت هذه السورة وغيرها من السور؛ بطائفة من هذه الحروف المقطعة، إيقاظاً لمن تحدى بالقرآن، فلو كان من عند غير الله تعالى لما عجزوا عن الإتيان بمثله مع بلاغتهم وقوة فصاحتهم، ومع أنّ الله تعالى تنزل معهم في التحدي، إلا أنهم عجزوا عن هذا التحدي، وانقلبوا خاسرين، فثبت بذلك أنّ هذا القرآن من عند الله تعالى، وتناسق هذه الحروف وثباتها في النص القرآني؛ فيه الدلالة على الإعجاز الرباني^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

﴿الْمَرْءُ تَلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ الإشارة «بتلك» مشار بها إلى «المرء»، تلك الحروف المقطعة، أي: أنّه من تلك الحروف وأمثالها من حروف الهجاء، قد نظمت آيات القرآن الكريم تلك الآيات العظيمة في هذا الكتاب العظيم الشأن، فكل ما نظم من حروف مقطعة، أو آيات، إنما هي هذا الكتاب الذي أنزله الله تعالى؛ على نبينا محمد ﷺ^(٢).

ويقول القشيري: في تفسيره لمعنى قوله تعالى: ﴿تَلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾: "إنّ هذه آيات الكتاب الذي أخبرت أنّي أنزله على محمد ﷺ، ثم عطف عليه بالواو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ هو حق وصدق، لأنّه أنزله على نبيّه -محمد ﷺ-"^(٣).

فكل ما أنزل على نبينا محمد ﷺ من آيات؛ إنّما هي حق وصدق^(٤).

ولما تحقّق أنّ هذا الكتاب من عنده ﷺ أمرًا لا يطرّقه مرية، لما له من الإعجاز، وكذا ما تبعه من بيانه بالسنة، لما له من الحق الذي لا يخفى على كل عاقل؛ أنّ الآتي به لا يكون إلا عظيمًا. وقوله: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يثبت قطعاً أنه هو ﴿الْحَقُّ﴾ وهو توكيد لنفى الشبه والريب عن القرآن الكريم، وتقرير بأنه الحقّ من رب العالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزّل

(١) تفسير البيضاوي (٣٣/١)، انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٤٣٨/٧).

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٦٤/٧) بتصرف.

(٣) تفسير القشيري (٢١٥/٢).

(٤) ينظر: تفسير السمعاني (٧٥/٣).

من حكيم حميد، والموضوع كل شيء منه في موضعه على ما تدعو إليه الحكمة^(١).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

خُتِمَت هذه الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: راجع إلى ما أفاده القصر من إبطال مساواة غيره له في الحقية؛ إبطالا يقتضي ارتفاع النزاع في أحقيته^(٢).

ومع أنّ القرآن الكريم حقّ ومبين، إلا أنّ أكثر الناس من قومك يا محمد لا يؤمنون بأنه وحي من عند الله؛ فيتبعونه^(٣).

ثم قال ﷺ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ استدراك لبيان موقف أكثر الناس من هذا القرآن، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنّهم لا يؤمنون^(٤).



(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٦٣/١٠ - ٢٦٤) بتصريف يسير.

(٢) التحرير والتنوير (٧٩/١٣) بتصريف.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٤٢٨)، البحر المحيط في التفسير (٦ / ٣٣٩).

(٤) التفسير الوسيط لطنطاوي (٤٣٨/٧) بتصريف.

المسألة الثانية: الدراسة التناسقية في الآية الثانية

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۗ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

استئناف ابتدائي، هو ابتداء المقصود من السورة وما قبله؛ بمنزلة الديباجة من الخطبة. ومناسبة هذا الاستئناف لقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأن أصل كفرهم بالقرآن ناشئ عن تمسكهم بالكفر والإعراض عن دعوة الحق^(١)، مع أن الآية الكريمة أكدت صدق القرآن، وأحقية ما نزل على النبي ﷺ من ربه، وإن أعرض أكثر الناس عن الإيمان به. وفي هذه الآية الكريمة^(٢) ذكر البراهين التي تدل على التوحيد والمعاد، في بيان^(٣) "آيات القدرة، وعجائب الكون الدالة على قدرة الخالق وحكمته وتدبيره"^(٤)، فاستدل بأحوال السموات، وأحوال الشمس والقمر، وأحوال الأرض: جبالها، وأنهارها، وأزهارها، ونخيلها، وأعنانها، واختلاف ثمراتها، وتنوع غلاتها، على وجود الإله القادر القاهر؛ الذي بيده الخلق والأمر، وبيده الضر والنفع، وبيده الإحياء والإماتة، وهو على كل شيء قدير، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۗ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]^(٥).

(١) يراجع: التحرير والتنوير (٧٩/١٣).

(٢) يراجع: تفسير البيضاوي (٣ / ١٨٠)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٦٤/١٠).

(٣) تفسير الرازي (٥٢٥/١٨) بتصريف.

(٤) في ظلال القرآن (٢٠٤٤/٤).

(٥) تفسير الرازي (٥٢٥/١٨)، تفسير المراغي (٦٣/١٣) بتصريف.

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

قوله تعالى: ﴿رَفَعَ﴾ التعبير بها على "سَمَك، أو بنى، أو أسَّس"، ما ذاك إلا لأجل تكامل الصورة العجيبة، التي بيّنتها الآية عن مشهد هائل في العلو، فهي أشمل وأوسع في المعنى، وأليق في وصف هذا البناء المحكم؛ الذي تتراءى في كنهه العظمة، معبرة عنها ظلالٌ ﴿رَفَعَ﴾ لا بنى أو أسَّس أو سَمَك، ولا سيما وقد ذكر معها في السياق لفظ الجلالة "الله"، لقوله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾ وهكذا يمكن إثارة لفظة على أخرى في السياق القرآني، فأنت ترى التعبير مثلاً بلفظة "بنى" جيء به في موضع آخر؛ من غير أن يُذكر معه لفظ الجلالة؛ كما قال تعالى في سورة "ق": ﴿فَأَمَّا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾^(١) وفي سورة الذاريات: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾^(٢)، وخُذ من الآية أيضاً قوله تعالى: ﴿تَرَوْنَهَا﴾^ط لم عبر بها دون "تنظرونها" أو "تشاهدونها"؛ ذلك لأن صيغة ﴿تَرَوْنَهَا﴾ تحمل معنى الرؤية الكاملة، التي لا يحجبها ما يبدد النظر يمينا ويسرة لو جاء التعبير بـ: "تنظرونها"، أو "تشاهدونها"، وإنما الرؤية هنا مسلطة على ملكوت السموات؛ للتدبر، والتفكر، وللجمع بين الرؤية الحسية، والرؤية العلمية المؤدية إلى اليقين، ولا يفي بهذا المعنى لفظ: "تنظرونها" أو "تشاهدونها"

هذا بالإضافة إلى ما يتَّسم به قوله تعالى: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ من رقة وسلاسة وسماحة، ومثل هذه الصفات مقطوعٌ بوجودها في ألفاظ القرآن، مع صفات الفخامة والجزالة والقوة؛ فالبحت عنها تحصيل حاصل، وإنما المهم البحث عن الأسرار التي بها صار القرآن مستجمعا لتلك الصفات كلها^(٣).

حين نتفكر ونتدبر في مخلوقات الله في السموات والأرض؛ نجدها من أفضل الطرق للإيمان بأن الله تعالى معبود واحد فرد صمد^(٤).

وتسخير الكواكب والأجرام، وتدبير الأمور والشؤون، وتصريف الآيات

(١) ق: ٦

(٢) الذاريات: ١٧

(٣) ينظر: تفسير الرازي (٥٢٥/١٨).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (٤١٢/١).

والعبر، على نسق رائع بديع هو الآية في الإعجاز، وصدق التصوير، والاستيلاء على المشاعر والقلوب^(١).

قال تعالى: ﴿الْمُرْتَرَّ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، وقد ورد في الكتاب والسنة أن لله تعالى عرشاً، خلقه قبل خلق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٣)، وأن له حملة من الملائكة، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾^(٤)، "تحمله الملائكة الآن، لكنه ليس حاملاً لله ﷻ، لأن الله ﷻ ليس محتاجاً إليه، ولا مفقراً إليه"^(٥).

وقال تعالى في ذلك: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ لَهُ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَدْبُرُ الْأَمْرَ﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٨).

وهذا كله حسب ما اقتضته حكمته، وتعلقت به مشيئته ﷻ^(٩).

نؤمن بما جاء عن الله تعالى، على مراد الله، والله أعلم بمراده، كما جاء:

(١) يراجع: البحر المحيط في التفسير (٦ / ٣٤١)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٠ / ٦٤).

(٢) الحج: ٦٥

(٣) هود: ٧

(٤) الحاقة: ١٧

(٥) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١ / ٣٨٠).

(٦) طه: ٥-٦

(٧) يونس: ٣

(٨) السجدة: ٤

(٩) تفسير البيضاوي (٤ / ٢٣)، تفسير المنار (٨ / ٤٥١ - ٤٥٢) بتصرف.

من غير تكيف، ولا تشبيه، ولا تعطيل^(١).

وكلّ هذا التسخير والتدبير والتصريف؛ الذي ذكر في الآيات؛ إنما هو دليل الإعجاز الذي أخبر الله تعالى به.

وبعد ما استدلل ﷻ بأحوال السموات؛ استدلل في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بأحوال الشمس، والقمر، وما فيها من مظاهر القدرة الربانية^(٢).

هذه المظاهر وما فيها من المنافع لعباده، ومصالح بلاده، والتي تدعوا الإنسان دائماً إلى التدبر والتفكر في ملكوت السموات والأرض^(٣).

ويقول أبو حيان: "أي: كل ما هو في معنى الشمس والقمر من المسخر، وكل لفظة تقتضي الإضافة؛ ظاهرة أو مقدره انتهى"^(٤).

ومن تسخير الله ﷻ في هذا الكون؛ تسخير له لأعظم مخلوقاته تسخير الشمس والقمر^(٥).

ولما كان الكلام عن التدبر حيث إنه سبحانه يدبر الأمر، أي أمر العالم العلوي والسفلي^(٦)، بين أن كلا منهما يسير في منازل له لوقت معين؛ في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فالشمس تقطع فلکها في سنة، والقمر في شهر، لا يختلف جرى كل منهما عن النظام الذي قدر له، وإليه الإشارة كذلك بقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(٧) وذلك تقدير الله ﷻ في هذا الكون^(٨).

(١) الإيمان لابن تيمية (٧٩/١) بتصرف.

(٢) تفسير الرازي (٥٢٥/١٨) بتصرف.

(٣) ينظر: الوجيز للواحد (٥٦٤/١) تفسير النسفي (١٤١/٢).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٣٤٥/٦).

(٥) ينظر: تفسير السعدي (٤١٢/١).

(٦) تفسير الألوسي (٨٦/٧) بتصرف.

(٧) يس: ٣٩

(٨) أيسر التفاسير للجزائري (٧/٣) بتصرف.

ويقول البقاعي ٥: "ولما كان كل من ذلك مشتملاً من الآيات على ما يجلّ عن الحصر؛ مع كونه في غاية الإحكام، استأنف خبراً هو كالتنبيه على ما فيما مضى من الحكمة، فقال مبيناً للاستواء على العرش بعد أن أشار إلى عظمة هذا الخبر بما في صلة الموصول من الأوصاف العظيمة؛ بقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾" (١).

ومن تدبيره الأمر أنه ﷺ «يفصل الآيات» وينظّمها وينسّقها، قال تعالى: ﴿الرَّكَانِبُ أَحْكَمَتْ أَيْنُهُنَّ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ (٢) ثم يعرض كلاً منها في حينه، ولعلته، ولغايبته (٣).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها

خُتِمَت الآية بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ فحين ترون الآيات مفصلة منسقة، ومن ورائها آيات الكون، تلك التي أبدعها الخالق ﷻ أول مرة، وصوّرت لكم آيات القرآن ما وراء إبداعها، من تدبير، وتقدير، وإحكام، ذلك كله يوحي بأن لا بد من عودة إلى الخالق بعد الحياة الدنيا، لتقدير أعمال البشر، ومجازاتهم عليها، فذلك من كمال التقدير الذي توحى به حكمه الخلق الأول عن حكمة، وتدبير (٤).

فحين ننظر في ما خلقه ﷻ من آيات ودلالات؛ فلا نملك غير التصديق والإيمان بها (٥).

ويقول السعدي ٥: "فما أخرج لكم من الآيات السماوية والآيات القرآنية، فإن كثرة الأدلة وبيانها ووضوحها، من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية، خصوصاً في العقائد الكبار، كالبعث والنشور والإخراج من القبور" (٦).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٧٣/١٠).

(٢) هود: ١

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٧٣/١٠) بتصريف.

(٤) في ظلال القرآن (٢٠٤٥/٤) بتصريف يسير.

(٥) ينظر: التفسير الميسر (٢٤٩/١).

(٦) تفسير السعدي (٤١٢/١).

المسألة الثالثة: الدراسة التناسقية في الآية الثالثة

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسِيًّا وَأَنْهَرًا ۗ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى الدلائل السماوية في العالم العلوي، أتبعها بذكر الدلائل الأرضية في العالم السفلي، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ ۗ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

وما زال السياق يتحدث عن مظاهر قدرة الله في الكون فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ ۗ﴾ أي: بسط الله تعالى الأرض على الماء، ومهدّها ووسّعها طولاً و عرضاً إلى ما لا يدرك منتهاه؛ ليسهل السير عليها والانتفاع بها. ففيه دلالة على بُعد مداها وسعة أقطارها، وليس المراد أنها كانت غير ممدودة فمدّها، بل هو كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۗ﴾ فهذه خلقة دالة على القدرة، وعلى اللطف بعباده، فهي آية ومنّة^(٢).

ولما جعل الأرض متسعة ممتدة في الطول والعرض، أرساها بالجبال الرواسي الشامخات وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون لسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح، من كل زوجين اثنين، أي: من كل شكل صنفان؛ لتصبح هذه المشاهد في الأرض، متناسقة متقابلة^(٣).

يقول البقاعي: "فكأنه قيل: ما الذي ينضجها؟ فقال: ﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ ۗ﴾ أي: والنهارُ الليل، فينضج هذا بحرّه، ويمسك هذا ببرده، فيعتدل فعلهما على ما قدره تعالى لهما في السير من الزيادة والنقصان للحرّ والبرد؛ للإخراج

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٣١) بتصرف.

(٢) تراجع: تفسير ابن عباس (١/٢٠٥)، التحرير والتنوير (١٣/٨٢) تفسير أبي السعود (٥/٣)، تفسير السعدي (١/٤١٢).

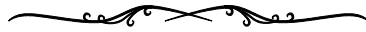
(٣) في ظلال القرآن (٤/٢٠٤٥)، تفسير ابن كثير (٤/٤٣١) بتصرف.

والإنضاج، إلى غير ذلك من الحكم النافعة في الدين والدنيا، الظاهر لكل ذي عقل أنها بتدبيره بفعله"^(١).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

وجاء في ختام الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وهذه الخاتمة مؤكدة على وجود خالق حكيم، دبر أمرها وهياً أسبابها، وانتهت بقوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ دون ﴿يَعْقِلُونَ﴾ مثلاً؛ لأن في هذه المخلوقات، وبديع خلقها وتسخيرها، ما يستوجب التفكير والتأمل في ملكوت الكون، فمجال الفكر باقٍ ولا بدّ بعد هذا المقام من التفكير والتأمل؛ ليتم الاستدلال^(٢).

وهذه الآيات دلائل قدرة الخالق جلّ في علاه، من بسط الأرض، وتثبيتها بالجبال، وما خلق فيه من الثمرات، وتعاقب الليل والنهار، آيات لمن أراد التفكير والتدبر فيها^(٣).



(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٧٦/١٠).

(٢) تفسير الرازي (٧/١٩) تفسير البيضاوي (١٨١/٣) بتصرف.

(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٧٨/٣).

المسألة الرابعة: الدراسة التناسقية في الآية الرابعة

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْتَابٍ وَزَرَعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُقِضَلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة مظاهر قدرته في الأرض، والنعم الدالة على ذلك، ألهم الله تعالى الناس في هذه الآية بالعمل في الأرض بفلحها وزرعها وغرسها، فقال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ﴾

و "جملة مستأنفة مشتمة على طائفة أخرى من الآيات، أي: بقاع كثيرة مختلفة في الأوصاف، فمن طيبة إلى سبخة، وكريمة إلى زهيدة، وصلبة إلى رخوة، إلى غير ذلك"^(٢) ففيها نظرة تأملية وشاملة لخصائص التربة الطبيعية والكيميائية والحيوية، تدل على قدرة الله عز وجل في خلق النبات وتكوينه وصفاته وأشكاله وألوانه وطعومه^(٣).

يقول البيضاوي: "بعضها طيبة وبعضها سبخة، وبعضها رخوة وبعضها صلبة، وبعضها تصلح للزرع دون الشجر، وبعضها بالعكس. ولولا تخصيص قادر موقع لأفعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك؛ لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الأرضية، وما يلزمها ويعرض لها، بتوسط ما يعرض من الأسباب السماوية، من حيث إنها متضامة متشاركة في النسب والأوضاع"^(٤).

فهذه الآيات تتحدث عن قدرة الله عز وجل في خلق النباتات، حيث جعل

(١) التحرير والتنوير (٨٥/١٣) بتصرف.

(٢) تفسير أبي السعود (٥/٥).

(٣) الظواهر الفلكية والجغرافية في القرآن الكريم والعلم الحديث د/عطية محمد عطية ص ٢٧٠.

(٤) تفسير البيضاوي (١٨١/٣).

الأراضي ملتصقات، أرض سبخة، وبجانبها أرض طيبة عذبة جيدة، وإنما وصفت بمتجاورات؛ لأن اختلاف الألوان والمنابت مع أنها متجاورة أشدّ دلالة على القدرة العظيمة، وهذا كقوله تعالى: ﴿الْمُرْتَأْنَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾^(١)، ومن عظيم خلقه في النباتات أن جعل أراضيها متلاصقة ومتجاورة، ومع هذا تختلف في الإنتاج والثمار^(٢).

ثم تتبعها تفصيلات في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَرَءٍ وَنَخِيلٍ﴾^(٣) "وهي معطوفة على قطع متجاورات"^(٤).

فبعد أن أجمل في بداية الآية، فصلّ في هذا المقطع من الآية بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَرَءٍ وَنَخِيلٍ﴾^(٥).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

ولما كانت هذه الآية مفصلة، أوضح من الآية السابقة المجملة، فكانت من الوضوح بحال لا يحتاج ناظره في الاعتبار به إلى غير العقل^(٦)، خُتمت الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ومجيء التذييل بهذه الآية، فيه دلالة على انفراده تعالى بالإلهية^(٧).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قد تكررت أو تكرر معناها في أمثال هذه الآيات التي وردت

(١) فاطر: ٢٧

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٨٦/١٣) الوجيز للواحدى (٥٦٥/١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢٠٥/١). تفسير العز بن عبد السلام (١٤٤/٢).

(٣) في ظلال القرآن (٢٠٤٦/٤) بتصرف.

(٤) فتح القدير للشوكاني (٧٨/٣).

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود (٥/٥).

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٨١/١٠) بتصرف يسير.

(٧) يراجع: التحرير والتنوير (٨٨/١٣).

في السور السابقة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ
 وَالْأَعْنَبَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١) وقوله تعالى:
 ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾^(٢)
 وقوله تعالى: ﴿وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ
 مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿وَمِن آيَاتِهِ يُرِيكُمُ
 الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
 يَعْقِلُونَ﴾^(٤) وفي هذه الآيات تنبيه العقلاء والمتفكرين الذين تؤهلهم عقولهم
 للتدبر في قدرة الله تعالى في كونه وتفهمها، وتحميلهم مسؤولية ذلك. ثم حث فيه
 السامعين والناس عامة في كل وقت على تدبر هذه القدرة الإلهية بكل وسيلة
 وطريقة^(٥).



(١) النحل: ١١

(٢) النحل: ١٣

(٣) الروم: ٢١

(٤) الروم: ٢٤

(٥) التفسير الحديث (٥١٧/٥) بتصريف.

المسألة الخامسة: الدراسة التناسقية في الآية الخامسة

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْمُهُمْ آءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ نَأْتِيهِمْ خَلْقًا جَدِيدًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَىٰ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥].

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

لما بين الله تعالى في الآية السابقة الاستدلال على الوحدانية، جاء الكلام في هذه الآية إلى الردّ على منكري البعث، وهو غرض مقصود من هذه السورة. والتدليل على عظيم قدرته ﷻ مستخرجاً من الأدّة السابقة عليه أيضاً كقوله تعالى: ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجَبِهِ لَقَادِرٌ﴾^(٢) فذكرت في هذه الآية صيغة التعجب من إنكار منكري البعث؛ لأن الأدلة السابقة لم تثب عذراً لهم في الإنكار، فصار في إنكارهم محل عجب المتعجب^(٣).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْمُهُمْ﴾ هذا الاستفهام هو من قبيل الإنكار والاستغراب، فترى المشركين يعلنون إنكارهم للبعث، ويتعجبون من ذلك^(٤). وإن تعجب يا محمد من تكذيب أهل مكة لك، وكفرهم بالله، فاعجب من قولهم: ﴿آءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ نَأْتِيهِمْ خَلْقًا جَدِيدًا﴾^(٥).

ومع عظمة الله تعالى وكثرة أدلّة توحيده الموجودة في الكون، فإن العجب مع هذا إنكار المكذّبين وتكذيبهم بالبعث، وقولهم: ﴿آءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ نَأْتِيهِمْ خَلْقًا جَدِيدًا﴾

(١) ق: ١٥

(٢) الطارق: ٨

(٣) التحرير والتنوير (٨٩/١٣) بتصريف.

(٤) فتح القدير للشوكاني (٨١/٣) انظر: المعجزة الكبرى القرآن (١٦٢/١).

(٥) ينظر: تفسير السمرقندي (٢١٧/٢) تفسير الثعلبي (٢٧١/٥).

فإنهم من جهلهم قاسوا قدرة الخالق بقدرة المخلوق جلّ في علاه^(١).

وهذه الآية من الآيات التي تدلّ على قدرة الخالق في الإعادة والإحياء بعد الإماتة حيث يتعجب الرسول ﷺ أيضاً من إنكارهم البعث^(٢).

ويقول المراغي: "ثم وصف أولئك المنكرين للبعث فقال في قوله تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾^(٣).

بيّن الله تعالى في هذه الآية حال ومصير الذين جحدوا بوحداية الله تعالى^(٤).

ثم عطّف على قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ قوله تعالى:

﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ وهي مفتحة باسم الإشارة لمثل الغرض الذي افتتحت به الآية التي قبلها، فإن مضمون الآيتين التي قبلها أنهم يستحقون وضع الأغلال في أعناقهم، وذلك جزاء كفرهم، وهي كذلك وعيد بسوقهم إلى الحساب سوق المذلة والقهر، وكانوا يضعون الأغلال للأسرى المثقلين، قال النابغة^(٥):

أَوْ حُرَّةٍ كَمَهَاةِ الرَّمْلِ قَدْ كُبِلَتْ فَوْقَ الْمَعَاصِمِ مِنْهَا وَالْعَرَاقِيبِ

تَدْعُو قُعَيْنًا وَقَدْ عَضَّ الْحَدِيدُ بِهَا عَضَّ الثَّقَافِ عَلَى صُمِّ الْأَنْابِيبِ^(٦)

قال تعالى ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾^(٧) وهذه الأغلال^(٨) إنما

(١) تفسير السعدي (٤١٣/١) بتصرف.

(٢) ينظر: الوجيز للواحي (٥٦٥/١).

(٣) تفسير المراغي (٧٠/١٣).

(٤) ينظر: تفسير السمرقندي (٢١٧/٢).

(٥) النابغة الذبياني: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المصري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها، ومما كتب في سيرته (النابغة الذبياني) لجميل سلطان، وكلها مطبوعة توفي سنة (١٨هـ - ٦٠٤م). انظر: الأعلام للزركلي (٥٥/٣).

(٦) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي (١ / ٢٧٠)، أشعار الشعراء الستة الجاهليين.

(٧) غافر: ٧١.

(٨) هي: الأغلال التي كانت عليهم، مفردها غل وهذا تمثيل، كقولك: (جعلت هذا طوقاً في

هي^(١): أغلال كلِّ من العقل والقلب، فالجزاء في الآخرة هو الأغلال في الأعناق، وهذا تنسيقٌ بين غلِّ العقل وغلِّ العنق، وجزاؤهم النار خالدين فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ حيث عطفت كذلك على

قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾^(٢).

"وتكررت - هنا - "أولئك" ثلاث مرات. ولم تجد لهذه الكلمة المكررة مع ما جاورها إلا حسناً وروعة.

فالأولى والثانية: تسجلان حكماً عاماً على منكري البعث: كفرهم بربهم وكون الأغلال في أعناقهم.

والثالثة: بيان لمصيرهم المهين، ودخولهم النار، ومصاحبتهم لها على وجه الخلود الذي لا يعقبه خروج منها"^(٣).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

"وقوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ بيان لقوله: ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾"^(٤) أي: وهم "أهلها

ماكثون أبداً لا يخرجون منها بحال من الأحوال"^(٥).



غُنُقُوكَ). وليس هُنَاكَ طَوْقٌ، وتَأْوِيلُهُ: إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ هَذَا وَأَلَزَمْتُكَ الْقِيَامَ بِهِ، فَجَعَلْتُ لِرُومِهِ لَكَ كَالطَّوْقِ فِي غُنُقِكَ انظر: تهذيب اللغة (٢٣/٨).

(١) التحرير والتنوير (٩١/١٣) بتصرف.

(٢) في ظلال القرآن (٢٠٤٧/٤) بتصرف.

(٣) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٣٢٤/١).

(٤) التحرير والتنوير (٩١/١٣).

(٥) أيسر التفاسير للجزائري (١٠/٣).

✽ المسألة السادسة: الدراسة التناسقية في الآية السادسة

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: 6].

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

لما بين الله تعالى حال القوم الذين يعجبون من أن يبعثهم الله خلقاً جديداً، وعجبهم هذا هو العجب! بين في هذه الآية أن هؤلاء القوم يستعجلونك أن تأتيهم بعذاب الله تعالى، بدلاً من أن يطلبوا هدايته ويرجوا رحمته قال تعالى:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي: بالعقوبة التي أنذروها وذلك حين سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب استهزاءً منهم بإنذاره^(٢).

ويقول ابن عاشور: "فلا يستعجلون؛ لأنهم كانوا يستعجلون بالعذاب استهزاءً وإشعاراً بأنه وعد مكذوب في الواقع يستعجلون الله تعالى بوعيده. وعدي الاستعجال إلى ضمير الجلالة وهم إنما استعجلوه النبي ﷺ لإظهار أن النبي ﷺ مخبر عن الله تعالى توبيخاً لهم وإنذاراً بالوعيد. وحذفت ياء المتكلم للتخفيف"^(٣).

وهذا حال المشركين مع النبي ﷺ من استعجالهم العذاب استهزاءً منهم حينما كان ﷺ ينذرهم ويخوفهم من عذاب الله^(٤).

وكما أنهم يستعجلون السيء دون الحسن مما يوعدون وهو عذاب الله استعجال المستخفّ و ما يعرفون ما نزل من عقوبات الله للأمم الخالية في

(١) في ظلال القرآن (٢٠٤٧/٤) بتصرف.

(٢) تفسير أبي السعود (٦/٥).

(٣) التحرير والتنوير (٣١/٢٧).

(٤) ينظر: التفسير الميسر (٢٥٠/١).

أمثالهم ولم يعتبروا بها، وكان ينبغي أن يردعهم عن الكفر اعتبارا بحال من سلف فقال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ﴾^(١).

يقول ابن كثير ج: "أي: قد أوقعنا نقمنا بالأمم الخالية وجعلناهم مثلة وعبرة وعظة لمن اتعظ بهم"^(٢).

ما أوقعه الله تعالى من عقاب في الأمم المكذبة، أفلا يتفكرون في مصيرهم و من سبقهم وقد كانوا مثلاً لمن أراد أن يعتبر بهم^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ عَطْفٌ عَلَى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ﴾^(٤).

أي: "إنه ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار. ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب، ليعتدل الرجاء والخوف، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرَدُّ بِأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٥) وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٦) وقوله تعالى: ﴿يَتَّبِعْ عِبَادِي أَتَى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾^(٧) فهو جل في علاه رحيم واسع المغفرة^(٨) بعباده وإن ظلموا فهو سبحانه يفتح لهم باب المغفرة بالتوبة الصادقة ويأخذ بعذابه الشديد لمن مات منهم على الشرك بالله^(٩).

(١) تفسير الرازي (١٢/١٩) التفسير الحديث (٥١٨/٥) بتصرف.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٣٣/٤).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (٤١٣/١).

(٤) التحرير والتنوير (٩٢/١٣) بتصرف يسير.

(٥) الأنعام: ١٤٧

(٦) الأعراف: ١٦٧

(٧) الحج: ٤٩، ٥٠

(٨) تفسير ابن كثير (٤٣٣/٤).

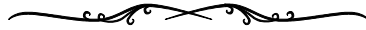
(٩) ينظر: تفسير الطبري (٣٥٠/١٦) : تفسير السمرقندي (٢١٨/٢).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

خُتِمَت الآية بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وفي هذا بيان، "على من لم يزل مصرّاً على الذنوب، قد أبى التوبة والاستغفار والالتجاء إلى العزيز الغفار، فليحذر العباد عقوباته بأهل الجرائم، فإن أخذه أليم شديد"^(١).

يخوّف الله تعالى عباده من عقوبته فكما أنه جلّ في علاه واسع المغفرة إلا أنه شديد العقاب^(٢).

والسياق يقدّم هنا مغفرة الله تعالى على عقابه، في مقابل استعجال الغافلين للعذاب قبل الهداية حتى يظهر الفارق الضخم الهائل بين الخير الذي يريده الله لهم، والشر الذي يريدونه لأنفسهم، ومن ورائه يظهر انطماس البصيرة، وعمى القلب، والانتكاس الذي يستحق درك النار^(٣).



(١) تفسير السعدي (٤١٤/١).

(٢) ينظر: تفسير النسفي (١٤٣/٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢٠٥/١).

(٣) في ظلال القرآن (٢٠٤٧/٤) بتصريف يسير.

المسألة السابعة: الدراسة التناسقية في الآية السابعة

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ

هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

لما بين ﷺ أنهم غطوا آيات ربهم المتفضل والمنعم عليهم بتلك الآيات وغيرها، عجب منهم في طلب إنزال الآيات مع كونها متساوية الأقدام في الدلالة على الخالق وما له من صفات الكمال، فلما كفروا بما أتاهم كانوا جديرين بالكفر بما يأتيهم فقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ

رَبِّهِ ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

هذه الآية من الآيات العديدة لاقتراحات الذين كفروا. قال ابن عاشور: "فقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ [الرعد: ٦]. وهذه حالة من تعجبهم و عدم اعترافهم بالآيات التي تأيد بها محمد ﷺ وأعظمها آيات القرآن، فلا يزالون يسألون آية كما يقترحونها، فله اتصال بقوله: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٢).

"ولكون اقتراحهم آية يكشف عن إحالتهم حصولها لجهلهم بعظيم قدرة الله تعالى سبق هذا في عداد نتائج عظيم القدرة، فبذلك انتظم تفرّع الجمل بعضها على بعض، وتفرّع جميعها على الغرض الأصلي. والذين كفروا هم عين أصحاب ضمير يستعجلونك، وإنما عدل عن ضميرهم إلى اسم الموصول لزيادة تسجيل الكفر عليهم"^(٣).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٨٥/١٠) بتصرف يسير.

(٢) هود: ١٧

(٣) التحرير والتنوير (٩٤/١٣). بتصرف

ولمّا كان النبي ﷺ راغباً في إجابة مقترحاتهم؛ لشدة التفاته إلى إيمانهم، بيّن له وظيفته التي أرسل لأجلها ﷺ، كأنه سأل في ذلك لتحصل لهم النجاة، فأجيب بقوله تعالى -مقدماً ما السياق أولى به لبيان أن الأكثر لا يؤمن-: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾^(١).

ثالثاً: التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

ولما ذكر الله تعالى فيما مضى من الآيات أنه مترتباً على العلم والقدرة، ختم هذه الآية بهادٍ^(٢)، في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أي: داع يدعوهم إلى الهدى من الرسل وأتباعهم، ومعهم من الأدلة والبراهين ما يؤكد صحة ما معهم من الهدى^(٣).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٨٦/١٠)، انظر: تفسير المراغي (٧٣/١٣).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٨٧/١٠) بتصرف.

(٣) تفسير السعدي (٤١٤/١) بتصرف يسير.

المسألة الثامنة: الدراسة التناسقية في الآية الثامنة

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَادُ^ط وَكُلُّ شَيْءٍ

عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿الرعد: ٨﴾

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

لما تقدم إنكارهم البعث لتفرق الأجزاء واختلاط بعضها ببعض، بحيث لا يتهيأ التفريق بينها، يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء، وأنه محيط بما تحمله الحوامل، وأن من كان عالماً بجميع المعلومات هو قادر على إعادة ما أنشأ^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ﴾ يحتمل أن يكون كلاماً مستأنفاً، وأن يكون المعنى: هو الله، تفسيراً لها، على الوجه الأخير، ثم ابتدئ فقيل: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَادُ^ط﴾ و"ما" في ﴿مَا تَحْمِلُ﴾ ، ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ ، ﴿وَمَا تَزِدَادُ^ط﴾ إمّا موصولة، وإمّا مصدرية. فإن كانت موصولة، فالمعنى: أنه يعلم ما تحمله من الولد، وإن كانت مصدرية، فالمعنى أنه يعلم حمل كل أنثى، ويعلم غيض الأرحام وازديادها، لا يخفى عليه شيء من ذلك، ومن أوقاته وأحواله^(٢).

قال تعالى: ﴿مَنْ خَلَقْنَا نُطْفَةَ عَلَقَةٍ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ

عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴿المؤمنون: ١٤﴾^(٣)

عن ابن مسعود I قال: قال رسول الله ﷺ: "إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليهم ملك فيؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وعمره، وعمله، وشقي أو

(١) البحر المحيط في التفسير (٣٥٦/٦) تفسير ابن كثير (٤٣٥/٤) بتصرف.

(٢) يراجع: تفسير الزمخشري (٥١٥/٢).

(٣) المؤمنون: ١٤

سعيد" (١).

وفي الحديث الآخر: عن أنس بن مالك I، عن النبي ﷺ قال: "فيقول الملك: أيا رب! أذكر أم أنثى؟ أيا رب! أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيقول الله، ويكتب الملك" (٢) وهذا كله تقدير الله جل في علاه للبشر قبل أن يخرج إلى الحياة، وهذه الآية من عجائب القدرة ومن دقة الخلق (٣).

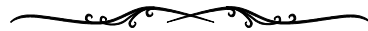
يعلم الله تعالى بكل حَامِلٍ، وما في بطنها من ذكر أو أنثى، وما تنقص الأرحام في الحمل وما تزيد، وكذلك علمه سبحانه بحال الجنين، ومستقبله في حياته الدنيا (٤).

وقال ابن عاشور C: "قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ مَعْطُوفَةٌ عَلَى قَوْلِهِ:

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَّادُ﴾" (٥).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

وجاء في ختام الآية في قوله تعالى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ بعد أن صوّر العلم بالغيض والزيادة في مكنونات الأرحام، أتبع ذلك بأن كل شيء عنده بمقدار، والتناسق واضح بين "مقدار" وبين النقص والزيادة. والقضية كلها ذات علاقة بإعادة الخلق فيما سبق من ناحية الموضوع، كما أن لها علاقة بالماء الذي تسيل به الأودية «بقدرها» في السيولة والتقدير، وكما ورد في مقابلة الغيض والزيادة (٦).



- (١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (١١١/٤) برقم (٣٢٠٨).
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {مُخَلَّفَةٌ وَغَيْرُ مُخَلَّفَةٍ} الحج: ٥، (٧١/١) رقم (٦٥٩٥).
- (٣) تفسير ابن كثير (٤٣٥/٤) القرآن وإعجازه العلمي (١٣٩/١) بتصرف.
- (٤) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢٠٦/١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (٣٥٤/١).
- (٥) يراجع: التحرير والتنوير (٩٧/١٣) المجتبى من مشكل إعراب القرآن (٥٢٦/٢).
- (٦) في ظلال القرآن (٢٠٤٩/٤) بتصرف.

المسألة التاسعة: الدراسة التناسقية في الآية التاسعة

قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]

أولاً: بيان مناسبة الآية لما قبلها:

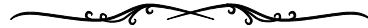
وكما ورد في الآية السابقة من إخباره ﷺ بتمام علمه، وإن كان هذا غيباً، وعلمه مستلزماً لعلم الشهادة، صرّح به ﷺ في هذه الآية على وجه كليّ يعمّ تلك الجزئيات وغيرها؛ فقال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾ أي: الغائب عن الحسّ ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: الحاضر له، عبّر عنهما بهما مبالغةً، وقيل: أريد بالغيب المعدوم، وبالشهادة الموجود، وهذا كالدليل على ما قبله من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ وقوله تعالى: ﴿الْكَبِيرُ﴾ الكبير الذي كلّ شيءٍ دونه^(٢) ﴿الْمُتَعَالِ﴾ المتعالي وهو: متفاعل من العلوّ، والله تعالى عالٍ ومتعالٍ وعليّ^(٣).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

خُتِمت الآية بقوله تعالى: "﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ حمل الكلام على ما هو أعمّ من ذلك، ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ أي: العظيم الذي كلّ شيءٍ دونه"^(٤).



(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٨٩/١٠) بتصريف.

(٢) تفسير الطبري (٣٦٦ / ١٦)

(٣) يراجع: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (١ / ٤٨)، تفسير أبي السعود (٨/٥).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٨٣/٣).

✽ المسألة العاشرة: الدراسة التناسقية في الآية العاشرة

قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ

بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها

بعد ما أخبر ﷺ في الآية السابقة أنه عالم بجميع أحوال الإنسان، ومحيطٌ بالغيب والشهادة، يُخبر تعالى في هذه الآية عن إحاطة علمه بجميع خلقه^(١)، ما يقولون وما يفعلون، وأنه لا فرق بالنسبة إليه بين السرِّ والعلن، فقال: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾^(٢).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

موقع هذه الجملة استئناف بياني؛ لأن مضمونها بمنزلة النتيجة لعموم علم الله تعالى بالخفايا والظواهر. وعدل عن الغيبة المتبعة في الضمائر فيما تقدم إلى الخطاب هنا في قوله: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ لأنه تعليم يصلح للمؤمنين والكافرين، وفيها تعريض بالتهديد للمشركين المتأمرين على النبي ﷺ^(٣).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

جاء في ختام الآية قوله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ "والتقابل واضح في العبارة. إنما تستوقفنا كلمة «سارب» وهي تكاد بظلمتها تعطي عكس معناها، فظلمها ظل خفاء أو قريب من الخفاء. والسارب: الذاهب. فالحركة فيها هي المقصودة في مقابل الاستخفاء"^(٤).

وهذه الآية تدل على شمولية علم الله تعالى، وإحاطته بكل شيء وأن الله

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٣٧) بتصرف.

(٢) تفسير أبي السعود (٨/٥) بتصرف.

(٣) يراجع: التحرير والتنوير (١٣/٩٩).

(٤) في ظلال القرآن (٤/٢٠٤٩).

سبحانه يعلم ما أسره الإنسان وأخفاه^(١).

ولا خفاء ولا ظهور لدى من ملك الأمر جميعه قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ
وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَسْرَأْ قَوْلَكُمْ أَوَجَّهْرُ أَبِيهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ
الْخَبِيرُ﴾^(٣) ويقول عبد الكريم يونس الخطيب: "فمن أسرّ القول كمن جهر به الله
يعلم سرّه، علمه لجهره"^(٤).



(١) ينظر: تفسير الماوردي (٩٧/٣)، تفسير القرطبي (٢٨٩/٩).

(٢) الحديد: ٣

(٣) المُلْك: ١٣ - ١٤

(٤) التفسير القرآني للقرآن (٧٩/٧).

المسألة الحادية عشر: الدراسة التناسقية في الآية الحادية عشر

قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَّالٍ﴾ [الرعد: ١١]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

جاء الضمير في «لَهُ» في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ عائِدٌ إِلَى «مَنْ» فِي قَوْلِهِ: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [الرعد: ١٠] (١) لما بين الله ﷻ في الآية السابقة أن من أسر القول ومن جهر به، ومن استخفى بالليل وسرب بالنهار، مستوفي علم الله تعالى فلا يخفى عليه سبحانه من أحوالهم شيء، بين في هذه الآية أيضاً أن لذلك المذكور معقبات في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (٢).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

يبرز السياق في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ حسن النسق والتناسق بين لمن أسر أو جهر أو استخفى أو سرب و﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾ ملائكة تعتقب في حفظه، جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه إذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضاً، أو لأنهم يعقبون أقواله وأفعاله فيكتبونها، ومن بديع النسق في الآية أن وردت مصدرًا بالجملة الاسمية في قوله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ (٣).

ويقول البقاعي: "ولما كان حفظ جهتي القدام والخلف يستلزم حفظ اليمين والشمال وكان ملاً كل من الجهتين من الحفظة على المخلوق متعذراً، قال تعالى: ﴿مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ (٤)".

ويظهر في السياق بلاغة التقديم والتأخير دلالة التناسق في الآية، وفيه

(١) تفسير الرازي (١٧/١٩) بتصريف يسير.

(٢) البحر المحيط في التفسير (٣٦٠/٦) بتصريف.

(٣) تفسير البيضاوي (١٨٣/٣). انظر: تفسير الرازي (١٨/١٩) تهذيب اللغة (١٨٠/١).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٩١/١٠).

تمام التوكيد وقوته، ثم التنويع بمجيء الجملة الفعلية من قوله: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^٥ يحفظونه: فعل مضارع، وصيغة المضارع تفيد معنى التجدد والحدوث، وهذا ما يتناسب مع عمل الملائكة الموكّلين بالآدميين في المجيء والذهاب، والحدوث والاستمرار^(١).

ثم يذكر الله تعالى عباده في هذه الآية بنعمته عليهم من الإحسان ورغد العيش، وأن زوالها لا يكون إلا بسبب أعمالهم السيئة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢) بعدما أنذرهم ودعاهم^(٣) ومن تمام النسق القرآني وبديعه أتى في تكرار لفظة: ﴿مَا بِقَوْمٍ﴾^(٤) وتنكيرها ما يوحي بملائمتها للفعل ﴿يُغَيِّرُوا﴾؛ إذ سبق هنا لمعنى الانتقام والعذاب، وفي تكرار لفظ الجلالة: ﴿اللَّهُ﴾ ثلاثاً ما يعطي المعنى قوة ووضوحاً؛ إذ البطش والعذاب قوة، والله هو القوي القادر العزيز^(٥).

لا يغير الله تعالى ما بقوم من أمن ونعمة حتى ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر ومن شكر النعم إلى كفرانها فيسلب الله منهم هذه النعم^(٦).

ما زال السياق يتحدث عن غيروا ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٧) حيث لا يغير حال قوم من الشدة إلى الرخاء، حتى يغيروا ما بأنفسهم بما يتناسب مع الحال التي يصيرون إليها^(٨).

(١) تفسير الرازي (١٨/١٩) انظر: روح المعاني للألوسي (١٢٣/١٣).

(٢) التحرير والتنوير (١٠٢/١٣) بتصرف.

(٣) ينظر: بديع القرآن لابن أبي الإصبع ص ٦٥، ٦٦، تحقيق حفني شرف، الطبعة الثانية، مطبعة نهضة مصر.

(٤) ينظر: تفسير السعدي (٤١٤/١) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس (٢٠٦/١).

(٥) الأنفال: ٢٥

(٦) تفسير السعدي (٤١٤/١) بتصرف.

أن الله تعالى لا يغيّر ما بقوم من النعمة التي أنعم بها عليهم حتى يغيروا ما بهم من المعصية^(١).

وبعد تقرير المبدأ يبرز السياق حالة تبين تغيير الله حال قوم إلى السوء لأنهم حسب المفهوم من الآية غيروا ما بأنفسهم إلى أسوء فأراد لهم الله السوء قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾^(٢).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

خُتِمَت الآية بالجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَّالٍ﴾ وفيها تأكيد المعنى، الذي يبرز التناسق في أروع صورهِ فليس لهم من يلي أمرهم ويدفع عنهم السوء^(٣).

(١) ينظر: تفسير السعدي (٤١٤/١) تفسير السمعاني (٨٢/٣).

(٢) في ظلال القرآن (٢٠٥٠/٤) بتصريف.

(٣) تفسير أبي السعود (٩/٥) بتصريف.

المطلب الثالث: الغرض الذي سبقت له الآيات

الغرض العام من الآيات هو بيان المشاهد العظيمة الهائلة في آفاق الكون ومن اعظم هذه المخلوقات السماء ويظهر ذلك من خلال:

١- قدرة الله ﷻ في رفع السماوات بغير عمد على عظمها واتساعها بقدرته العظيمة.

٢- استواء الله على العرش العظيم الذي هو أعلى المخلوقات بعد ما خلق الله السماوات والأرض استواء يليق بجلاله ويناسب كماله.

٣- تسخير الله ﷻ الشمس والقمر لمصالح العباد ومصالح مواشيهم وثمارهم.

٤- جعل الله ﷻ الشمس والقمر تجري بتدبيره سبحانه، بسير منتظم، لا يفتران ولا ينيان، حتى يجيء الأجل المسمى وهو طي الله هذا العالم، ونقلهم إلى الدار الآخرة^(١).

٥- شمول علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء: فهو يعلم ما تحمل كل أنثى في رحمها وما يطراً على أرحام الإنث من أسباب الولادة والعقم والزيادة والنقص^(٢).

٦- "تدبير الله ﷻ الأمور في العالم العلوي والسفلي، فيخلق ويرزق، ويغني ويفقر، ويرفع أقواما ويضع آخرين، ويعز ويذل، ويخفض ويرفع، ويقيّل العثرات، ويفرج الكربات، وينفذ الأقدار في أوقاتها التي سبق بها علمه، وجرى بها قلمه، ويرسل ملائكته الكرام لتدبير ما جعلهم على تدبيره"^(٣).

٧- حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية بسبب ما أخرج الله جل في علاه من الآيات الأفقية والآيات القرآنية^(٤).

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية (١٥٢/١٠) التفسير الوسيط لطنطاوي (٤٤٤/٧) أيسر التفاسير للجزائري (٩/٣)

(٢) ينظر: تفسير المراغي (١٣/٦٠-٧٣).

(٣) تفسير السعدي (٤١٢/١).

(٤) ينظر: التفسير الحديث (٥١٦/١-٥٢٢) التفسير المنير للزحيلي (٩٨/١٣-١٢٤).

المبحث الثاني

خضوع المخلوقات لله وإثبات الوحدانية وذم كفر الكافرين
ويشمل الآيات (١٢-١٦)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التناسق الموضوعي لما قبلها.
- المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات.
- المطلب الثالث: الغرض الذي سبقت له الآيات.

* * * * *

المطلب الأول: التناسق الموضوعي لما قبلها

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ
 (١٣) وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ
 يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣) لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا
 كَبَسِطَ كَفَيِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَمْتُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (١٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ
 دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ
 أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦)﴾ [الرعد ١٢-

[١٦]

بعد ما ذكر في المقطع السابق قدرة الله وعجيب خلقه وخوف سبحانه عباده في أنه لا منفذ لهم مما أراه (١) في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا
 بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] وأنه مثال لتصرف الله بالإنعام والانتقام في تصرف واحد مع
 تذكيرهم بالنعمة التي هم فيها. وكل ذلك مناسب لمقاصد الآيات الماضية في
 قوله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ
 عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾، وجاء هنا بطريق الخطاب على أسلوب قوله: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ
 الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠] لأن الخوف والطمع
 يصدران من المؤمنين ويهدد بهم الكفرة. وافتتحت الآية بغير ما افتتحت به في
 الآيات السابقة، فجاءت على أسلوب مختلف. فإن الآيات التي افتتحت بها
 الأغراض افتتحت بالاسم العلم كقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠/٢٩٣).

وقوله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨] وقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وآية التفاريع افتتحت بالضمائر كقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢] وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسٍ وَأَنْهَارًا﴾ [الرعد: ٣] وقوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْتَابٍ وَزَرَعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقْضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤] أتبعه بعد ذلك بذكر آيات تشبه النعم والإحسان حيناً وتشبه العذاب والنقم حيناً آخر. وفيه من المناسبة للإنذار، وهذه أدلة جامعة للعلم والقدرة وهو أطف من ذلك كله، معلم بجليل القدرة، ودقيق الحكمة لأنه مظهر واحد ترجى منه النعمة وتخشى منه النقمة فقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢]^(١).

(١) التحرير والتنوير (١٠٣/١٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٩٣/١٠) تفسير المراغي (٨١/١٣) بتصرف.

المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات

✽ المسألة الأولى: الدراسة التناسقية في الآية الثانية عشرة

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢]

أولاً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

فمن روائع النسق القرآني في هذه الآية ذكر ظواهر البرق، والرعد، والسحاب الثقال، ثم يذكر الله ﷻ بعدها ظاهرتان هما: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ لما يحدثه البرق والرعد والسحاب من الخوف والطمع.

ومن حسن التناسق في الآية هنا تقديم الخوف على الطمع، إذ إن الصواعق يجوز وقوعها من أول برقة، والمطر لا ينزل إلا بعد تواتر الإبراق، ولأن البرق يثير الخوف قدم على الطمع، كمجيء الرخاء بعد الشدة، والفرج بعد الكرب، والمسرة بعد الحزن، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(١) والرؤية التي تقع بإرادة الله سبحانه إنما كانت لما فيهم من الخوف والطمع^(٢).

ويقول ابن عاشور ج: "وجعل البرق آية نذارة وبشارة معا لأنهم كانوا يسمون البرق فيتوسمون الغيث وكانوا يخشون صواعقه"^(٣) فيستقبل الناس الرعد تارة بالخوف و تارة بالطمع^(٤).

ويقول سيد قطب ج: "ولأنه قد يتحول إلى صاعقة، ولأنه قد يكون نذيراً بسبيل مدمر كما علمتكم تجاربكم وتطمعون في الخير من ورائه، فقد يعقبه

(١) الشورى: ٢٨

(٢) تفسير الألوسي (١١٢/٧) انظر بديع القرآن لابن أبي الإصبع ص ٦٥، ٦٦، تحقيق حفني شرف، الطبعة الثانية، مطبعة نهضة مصر بتصرف.

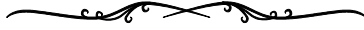
(٣) التحرير والتنوير (١٣/١٠٤).

(٤) ينظر: تفسير الشعراوي (١٢/٧٢٤٦).

المطر المدرار المحيي للموات، المجري للأنهار"^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها

﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ جاءت هذه الخاتمة بعد قوله تعالى: ﴿وَطَمَعًا﴾ مناسب تماماً، فمن لا يطمع فيما تحمله السحاب من خير؟ وإنما وصف به السحاب لأنه اسم جنس في معنى الجمع^(٢).



(١) في ظلال القرآن (٢٠٥٠/٤).

(٢) تفسير البيضاوي (١٨٣/٣) بتصرف.

المسألة الثانية: الدراسة التناسقية في الآية الثالثة عشرة

قال تعالى: ﴿وَيَسِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

لما خوّف عباده بإنزال ما لا مردّ له أتبعه دلائل تشبه اللطف من بعض الوجوه والقهر من بعضها وهي أربعة: البرق والسحاب والرعد والصاعقة في قوله تعالى: ﴿وَيَسِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

ويستمر التناسق الموضوعي متسفاً والسياق متماشياً، مع مظهر آخر من مظاهر قدرة الله تعالى حيث قال: ﴿وَيَسِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾^(٢) والتي تدل على الخوف من صوت الرعد، وقصف الصواعق المدبرة بمشيئة الله، حين يسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به، فيضجون بسبحان الله والحمد لله، ليتلاءم الكلام بين الرعد وبين الصوت المخصوص وهو الذي يقرن بالذكر مع البرق والسحاب^(٣).

والإطار المتضمن لتلك المعاني متحرك أيضاً يلحظ ذلك التناسق في الأفعال المضارعة يسبح، يرسل، يصيب، يشاء، يجادلون. يسبح الرعد لله سبحانه، لأن التسبيح والتقدیس ليس إلا وجود لفظ يدل على حصول التنزيه والتقدیس لله ﷻ، فلما كان حدوث هذا الصوت دليلاً على وجود متعال عن النقص والإمكان، كان ذلك في الحقيقة تسبيحاً، وهو معنى قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٣).

(١) تفسير النيسابوري (٤/١٤٧) بتصرف.

(٢) تفسير الألوسي (٧/١١٣) بتصرف.

(٣) الإسراء: ٤٤

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَلَيْتِكُمْ مِّنْ خِيفَتِهِ﴾ معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَيَسِّحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾.

ثم يكمل ﷻ في هذا السياق جو الرهبة والابتهاال والبرق والرعد والسحاب الثقال بالصواعق، فيظهر روعة النسق بعطف بالواو ويليه عطف بالفاء في قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾ والصواعق ظاهرة طبيعية ناشئة من تركيب الكون على هذا المنوال والله يصيب بها أحياناً الذين غيروا ما بأنفسهم وفي ذلك الدلالة على نفاذ أمر الله تعالى، وسرعه^(١).

واقصر في العبرة بالصواعق على الإنذار بها لأنها لا نعمة فيها لأن النعمة حاصلة بالسحاب وأما الرعد فأن فيه التخويف والإنذار كما قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْٓءَآذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُخِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٢) وكان العرب يخافون الصواعق^(٣).

فقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ إنما أنت منذرٌ ولكل قوم هادٍ﴾ [الرعد: ٧]. المعطوف على قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [الرعد: ٦] والعدول عن الفعلية إلى الاسمية وطرح رعاية التناسق؛ للدلالة على أنهم ما ازدادوا بعد الآيات إلا عناداً قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٣) يجادلون الله في آياته سبحانه جل في علاه^(٤).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

يظهر حُسن التناسق بين بداية الآية وختامها بقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ

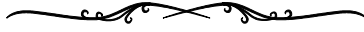
(١) تفسير الرازي (٢٣/١٩) في ظلال القرآن (٢٠٥١/٤) التفسير القرآني للقرآن (٨٤/٧) بتصرف.

(٢) تراجع: التحرير والتنوير (١٠٥/١٣).

(٣) التوبة: ١٢٥

(٤) تفسير الألوسي (١١٦/٧) بتصرف يسير.

في اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٩﴾ وحسن التناسق بين قوله: ﴿شَدِيدٌ﴾ وقوله: ﴿الْمِحَالِ﴾ وقوة الترابط بينهما؛ إذ لَمَّا كان قوله: ﴿الْمِحَالِ﴾ وَهُوَ الشَّدَّةُ فَكَأَنَّ الْمَعْنَى: يوحى بالقوة في مدلولها ومعناها، تقدمها آية مناسبة لها، فجاء التعبير: ﴿شَدِيدٌ﴾ أي: أَنَّهُ تَعَالَى شَدِيدُ الْمُغَالَبَةِ، وذكر قوله "شديد" دون "عسير" أو "شاق" وهذا في الألفاظ مفرد، فكيف بأسرار النظم في التركيب؟^(١).



(١) تفسير الرازي (٢٤/١٩) بتصريف.

المسألة الثالثة: الدراسة التناسقية في الآية الرابعة عشرة:

قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

"ثم نمضي مع السياق يضرب مثلاً للحق والباطل"^(١). فإذا كان الله جلّ في علاه هو وحده الذي يسوق للعباد الأمطار والسحب التي فيها أرزاقهم، فهو سبحانه الذي يدبر الأمور، وتخضع له المخلوقات العظام التي يخاف منها، وتزرع العباد وهو شديد القوة فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ولهذا قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾^(٢).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

ويستمر السياق في إظهار النسق الموضوعي في قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ استئناف ابتدائي بمنزلة النتيجة يهب الآيات السالفة التي هي براهين الانفراد بالخلق وبالقدرة التي لا تدانيها قدرة قدير، وبالعلم العام، فلا جرم أن يكون صاحب تلك الصفات هو المعبود بالحق وأن عبادة غيره ضلال. والدعوة: طلب الإقبال، وكثير إطلاقها على طلب الإقبال للعون أو للبدل وذلك متعين فيها إذا أطلقت في جانب الله تعالى فالمراد طلب الإغاثة والنعمة^(٣). لا تكون الدعوة الصادقة إلا له سبحانه المستحق للعبادة وحده دون سواه فهو الحق ودعوته هي الحق^(٤).

ولما ذكر الله تعالى جدال الذين كفروا، في إثبات آلهة معه سبحانه من سائر المعبودات بين الله ﷻ أن دعوته هي الحق، بخلاف أصنامهم التي جادلوا

(١) في ظلال القرآن (٢٠٥٣/٤).

(٢) تفسير السعدي (٤١٥/١) بتصرف.

(٣) يراجع: التحرير والتنوير (١٠٧/١٣).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٣٠٠/٩).

في الله تعالى لأجلها، لا يجيبونهم بإعطائهم شيئاً مما يطلبون منهم فإن دعاءها باطل لا يتحصل منه شيء فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾^(١).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

وقوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ فناسب ختام الآية بقوله تعالى: ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ وما هذه الخاتمة من النسق البديع في تكرار التأكيد لنفي قبول دعوته لئبقي المعنى مستمراً يشهد بخسران ما يعمله الكافر فلا يبلغ هذا الداعي اللاهف اللاهث قطرة من ماء؟ في جو البرق والرعد والسحاب الثقيل، التي تجري هناك بأمر الله الواحد القهار! وفي الوقت الذي يتخذ هؤلاء الخائبون آلهة من دون الله، ويتوجهون إليهم بالرجاء والدعاء^(٢).

(١) يراجع: أيسر التفاسير للجزائري (١٦/٣).

(٢) في ظلال القرآن (٢٠٥٢/٤) بتصرف.

☆ المسألة الرابعة: الدراسة التناسقية في الآية الخامسة عشرة:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَّتْ لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

وحيثما كانت دعوة الحق واضحة السبل والمناهج في جميع كتبه، وكلها إلى الناظرين وبين دعوة الحكم و^(١) "عظيم قدرته تعالى فقال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَّتْ لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾"^(٢).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

يستمر السياق في التناسق الموضوعي في هذه الآية حيث تقرر خضوع كل ما في السموات والأرض من الخلائق لتصريف الله ومشيئته فيظهر فيها حسن وروعة التناسق وبديعه حين يتساوى الطائع والعاصي والجماد والنبات والمعالم العلوية والسفلية. وذكر ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ هو بقصد توكيد ذلك الخضوع الشامل ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ فالطوع لمن يأتي بالسجود باختيار وهو للمؤمن، والكره لمن يستكبر عن عبادة ربه، فإن خضوع الكل لعظمة الله ﷻ^(٣).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

جاء في ختام الآية بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ فلما كانت الظلال مسخرة لإرادته ﷻ، ولا يستطيع أحدًا تغيير ذلك بوجه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ويأتي جنبًا إلى جنب وخص الغدو والآصال بالذكر لأن الظلال إنما تعظم وتكثر فيهما^(٤).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٠١/١٠-٣٠٢) بتصرف.

(٢) تفسير المراعي (٨٤/١٣).

(٣) تفسير أبي السعود (١١/٥)، تفسير السعدي (٤١٥/١) التفسير الحديث (٥٢٨/٥) بتصرف.

(٤) البحر المحيط في التفسير (٣٧٠/٦) بتصرف.

المسألة الخامسة: الدراسة التناسقية في الآية السادسة عشرة

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

لما قامت الأدلة الصريحة على انفراده تعالى بالإلهية في أن^(١) المخلوقات كلها تسجد لربها طوعا وكرها كان هو الإله حقا وإلهية غيره باطلة، ولهذا ذكر بطلانها وبرهن عليه بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾^(٢).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

ثم يمضي السياق في تأكيد خضوع كل ما في الكون لله تعالى في قوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ ولما كان هذا الجواب يقر به المسؤول أمره ﷺ أن يكون هو الذاهر لهذا الجواب تنبيها على أنهم لا ينكرونه البتة وأنه سبحانه هو الرب لكل الكائنات وهي جمادات لا تملك لأنفسها نفعا ولا ضرا ولما كانت عاجزة عن تحصيل المنفعة أو دفع المضرة عن أنفسها، كانت عبادتها محض العبث والسفه، ولما ذكر هذه الحجة الظاهرة بين في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ يكون الأعمى والعالم بها كالبصير، والجهل كالظلمات، والعلم بها كالنور، وكما أن الأعمى لا يساوي البصير، والظلمة لا تساوي النور كذلك كل أحد يعلم بالضرورة أن الجاهل بهذه الحجة لا يساوي العالم بها. فقال: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ليس لها خلق يشبه خلق الله حتى يقولوا إنها تشارك الله في الخالقية^(٣).

(١) التحرير والتنوير (١١٢/١٣) بتصرف.

(٢) يراجع: تفسير السعدي (٤١٥/١).

(٣) يراجع: تفسير الرازي (٢٧/١٩).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

ولما كان من المعلوم قطعاً أن جوابهم أن الخلق كله لله تعالى ولم يمنعهم ذلك من تأله سواه، أمره أن يجيبهم معرضاً عن جوابهم فقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ فهي الوجدانية في الخلق، و القهر، وهكذا تحاط قضية الشركاء في مطلعها بسجود من في السماوات والأرض وظلالهم طوعاً وكرهاً لله وفي ختامها بالقهر الذي يخضع له كل شيء في الأرض وفي السماء^(١).

(١) يراجع: في ظلال القرآن (٤/٢٠٥٣).

المطلب الثالث: الغرض الذي سيقت له الآيات

الغرض العام الذي سيقت له الآيات هو خضوع المخلوقات لله ﷻ وإثبات الوجدانية ودم كفر الكافرين ويظهر من خلال:

١- خضوع الظواهر الجوية تحت مشيئة الله وتصريفه: فالبرق الذي يخيفهم ويطعمهم إنما يروونه بأمره وتيسيره، والسحب المحملة بالماء إنما تنشأ وتتألف بأمره، وبتقديره، والرعد كذلك يسبح بحمده، والملائكة تسبح من خوفه، ويرسل الصواعق من السماء فتصيب من تشاء بتقديره لأن غرض الآيات إنما هو التنبيه على قدرة الله تعالى^(١). إنذار للذين يجادلون في الله تعالى وهو العالم بكل شيء والذي يخضع له كل ما في الكون وإنذار لهم بنقمة الله وبطشه فإنه شديد المحال والقوة^(٢).

٢- بيان بأن الدعوة إلى الله هي الدعوة للحق، ومن يدعونه إنما يدعون الحق السميع المجيب القادر الذي له حق التصرف المطلق في حين أن غيره مما يعبد الكفار لا يستجيبون لهم بشيء لعجزهم، وشبه الله تعالى دعاءهم إياهم كمثل العطشان الذي يدعو الماء إليه ليرتفع ويصل إلى فمه من نفسه ولكن هيهات لن يفعل لأنه جماد عاجز لا ينفع ولا يضر، وهكذا يذهب دعاء الكفار هباء منثورا^(٣).

٣- بطلان الشرك بجميع أنواعه.

٤- وجوب العبادة لله تعالى.

٥- بيان خضوع كل شيء لله -تعالى- فله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها ويسجد له ظلال كل شيء فيهما في أول النهار وآخره.

٦- استحباب سجود كل من القارئ، والمستمع عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ

مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَمَتْهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٣/٣٠١) زاد المسير في علم التفسير (٢/٤٨٦).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (١/٤١٥).

(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٣/١٦) بتصريف.

٧- أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالتساؤل من ربّ السموات والأرض؟
وأجيب بأنه الله جل في علاه.

٨- أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أمراً ثانياً بأن يوجه أسئلة تحتوي على
تسفيه وتنديد المشركين في اتخاذهم معبودات، وأولياء، ونصراء، وشركاء لا
يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً وبالتالي لا يملكون لغيرهم. وهل يصح أن يسوى
بين الأعمى والبصير وبين الظلمات والنور لتصحّ التسوية بين القادر والعاجز،
وإذا كان شركاؤهم يستطيعون خلق شيء مثل ما خلق الله جل في علاه.

٩- أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أمراً ثالثاً بأن يقرر بأن الله وحده هو
خالق كل شيء والمدبر للكون وأنه هو الإله الواحد الأحد الفرد الصمد^(١).

(١) ينظر: التفسير الحديث (٥/٥٢٠) مختصر تفسير ابن كثير (٢٦٨/٢٧٤).

المبحث الثالث

ضرب الأمثال للحق والباطل
واختلاف مصير المؤمنين عن مصير الكافرين
ويشمل الآيات (١٧-١٨)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التناسق الموضوعي لما قبلها.
- المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات.
- المطلب الثالث: الغرض الذي سيقت له الآيات.

* * * * *

المطلب الأول: التناسق الموضوعي لما قبلها

قال تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهٗ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾ [الرعد: ١٧-١٨] .

لما ذكر الله تعالى في المقطع السابق مظاهر قدرته وخضوع المخلوقات له تعالى ذكر في هذه الآيات مثلاً للحق والباطل للدعوة الباقية والدعوة الزاهية مع الريح للخير الهادئ والشر المتنفج^(١)، والمثل المضروب هنا مظهر لقوة الله الواحد القهار، وتدبير الخالق المدبر المقدر للأشياء، وهو من جنس المشاهد الطبيعية التي يمضي في جوها السياق^(٢) فقال تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧] .

(١) المُنْفِجُ: قَالَ اللَّيْثُ: نَفَجَتِ الْأَرْضُ نَبْجًا تَنْفُجُ، وَتَنْفُجُ نُفُوجًا وَانْتَفَجَتِ انْتَفَاجًا، وَهُوَ أَوْحَى عَدْوَاهَا، وَقَدْ أَنْفَجَهَا الصَّائِدُ إِذَا أَثَارَهَا مِنْ مَجْتَمِعِهَا. وَرَجُلٌ مُنْفِجُ الْجَنَّبِينَ، وَبَعِيرٌ مُنْفِجٌ، إِذَا خَرَجَتْ خَوَاصِرُهُ. وَرَجُلٌ نَفَاجٌ ذُو نَفْجٍ، انظر: تهذيب اللغة (٧٩/١١).

(٢) في ظلال القرآن (٢٠٥٣/٤) بتصرف.

المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات

✽ المسألة الأولى: الدراسة التناسقية في الآية السابعة عشرة

﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧]

أولاً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

جاء في التناسق بين المفردات والجمل في هذه الآية "بقوله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ استئناف ابتدائي أفاد حرمانا لمشركين من الانتفاع بدلائل الاهتداء" (١).

ذكر الله تعالى في هذه الآية النعم التي أنعم الله بها على عباده وهي انزال المطر من السماء وما كان نتاج هذا المطر من خيرات (٢).

وقوله تعالى: ﴿ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ﴾

ويقول البقاعي: "ولما كان المنزل منها أنواعاً شتى قال تعالى: ﴿ فَسَالَتْ

أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ﴾ أي: فتسبب عن إنزاله لكثرتة" (٣).

شبه الله تعالى في هذه الآية ما أنزله من الهدى على رسوله محمد ﷺ في إحياء القلوب والأرواح، بالماء الذي ينزله لحياة المخلوقات، وشبه ما في هذا الهدى من النفع الكثير بالمطر الكثير الذي فيه نفع للبلاد والعباد، وشبه القلوب

(١) التحرير والتنوير (١١٦/١٣).

(٢) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير (٢٧٦/٢).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣١٤/١٠).

التي فيها الهدى بالأودية التي تصب فيها هذه السيول^(١).

ويقول دروزة ج: "في هذه الآية تمثيل للحق والباطل وعاقبة كل منهما: فالله تعالى يُنزل من السماء الماء فتسيل به الوديان بالقدر المقدر له فيعلو على سطحه زبد ورغوة"^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾

ويقول الرازي ج: "فاعلم أنه تعالى لما ضرب المثل بالزبد الحاصل من الماء، أتبعه بضم المثل بالزبد الحاصل من النار"^(٣).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

جاء في ختام الآية قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ ولما انقضى هذا المثل على هذا البيان الذي يعجز دونه الثقلان، لأنه أحسن شيء معنى بأوجز عبارة، كأنه قيل: هل يبين كل شيء هذا البيان؟ فقيل: نعم، ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الضرب ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ﴾ أي: الذي له الإحاطة الكاملة علماً وقدرة ﴿الْأَمْثَالَ﴾ فيجعلها في غاية الوضوح وإن كانت في غاية الغموض^(٤).

(١) ينظر: تفسير السعدي (٤١٦/١).

(٢) التفسير الحديث (٥٣٠/٥).

(٣) تفسير الرازي (٣٠/١٩).

(٤) يراجع: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣١٩/١٠).

المسألة الثانية: الدراسة التناسقية في الآية الثامنة عشرة

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمْ سُوءَ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَهَادُ﴾ [الرعد: ١٨]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى في الآية السابقة الفرق بين الحق و الباطل ذكر أن الناس على قسمين: مستجيب لربه، فذكر ثوابه، وغير مستجيب فذكر عقابه فقال: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

ذكر الله تعالى في سياق هذه الآية فئتين من الناس الذين استجابوا لربهم والذين لم يستجيبوا له سبحانه في قوله تعالى: "﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ﴾" للمؤمنين الذين استجابوا. لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى الاستجابة الحسنى. ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على أنه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين"^(٢).

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ هي زيادة تأكيد فتم حسن المقابلة على أبلغ وجه وأكده أن رعاية حسن المقابلة لقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى﴾ تقتضي أن يقال: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ السوأي ولا يزداد على ذلك لكنه جيء بقوله سبحانه: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ في مقابلة الحسنى بدل السوأي مع زيادة تصوير وتحسير، وأوثر الإجمال في الأول دلالة على أن جزاء المستجيبين لا يدخل تحت الوصف، وإلى اعتبار السوأي في المقابلة^(٣).

لأن كفرهم الذي كانوا عليه أحبط جميع أعمالهم، ولن تنفعهم أموالهم ولا

(١) تفسير السعدي (٤١٦/١) بتصرف يسير.

(٢) تفسير البيضاوي (١٨٥/٣).

(٣) يراجع: تفسير الألوسي (١٢٦/٧).

جمعهم من عذاب الله سبحانه^(١).

ثم بين الله سبحانه ما أعده لهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ يعني الذين لم يستجيبوا لهم سوء الحساب^(٢).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

وجاء في ختام الآية قوله تعالى: ﴿وَمَأْوَنُهُمَّ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِلَّهِ الْإِثْمَ وَالْجَبْنَ﴾ بعد هذا الحساب السيئ ﴿وَمَأْوَنُهُمَّ جَهَنَّمُ﴾ الجامعة لكل عذاب ﴿وَيَسَّرَ لِلَّهِ الْإِثْمَ وَالْجَبْنَ﴾ المقر والمسكن مسكنهم^(٣).



(١) ينظر: تفسير العز بن عبد السلام (١٥١/٢) أيسر التفاسير لأسعد حومد (١٧٢٦/١).

(٢) يراجع: فتح القدير للشوكاني (٩١/٣).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (٤١٦/١).

المطلب الثالث: الغرض الذي سيقت له الآيات

إن الغرض العام الذي سيقت له الآيات هو ضرب المثل للحق والباطل لتقريب المعاني إلى الأذهان ويظهر ذلك من خلال.

١- ضرب الله تعالى في هذه الآية مثلين للحق في ثباته وبقائه، وللباطل في زواله وفنائه.

٢- ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان وأخذ العظة والعبرة.

٣- بيان أن الباطل يذهب إذا اجتمع مع الحق، ويبقى الحق ويثبت.

٤- ثبات الحق دائماً وانتصاره على الباطل من سنن الله تعالى في كونه.

٥- بيان أن الناس في تلقيهم دعوة الله صنفان: صنف أطاعوا ربهم، وصنف عصوا ربهم، وكذبوا رسوله.

٦- العاقبة الحسنى للذين استجابوا إلى دعوة الله تعالى وصدقوا برسالة رسوله محمد ﷺ.

٧- بيان وعيد الله تعالى بالعذاب الشديد لمن لا يستجب له بالإيمان والطاعة.

٨- بيان أن الله تعالى يحاسب الذين كفروا من الأعمال على جليلها وحقيرها.

٩- بيان أن الكافرين لن تغني عنهم أموالهم وما يملكون من عذاب الله تعالى من شيء ولو أنه ما أتوا بمثل الأرض ذهباً^(١).

(١) ينظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم (٣٥٤/١) التفسير الوسيط للزحيلي (١١٥٧/٢).

المبحث الرابع

صفات المؤمنين أولي الألباب مقابل صفات الكفار
العميان،
وصورة أخرى لأصحاب القلوب مطمئنة ونقض الشرك
بالله وعذاب الكافرين مقابل نعيم المؤمنين
ويشمل الآيات (١٩-٣٥)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التناسق الموضوعي لما قبلها.
- المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات.
- المطلب الثالث: الغرض الذي سيقت له الآيات.

* * * * *

المطلب الأول: التناسق الموضوعي لما قبلها

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أَولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ يُوَفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلِّغْ لِلَّهِ الْأَمْرَ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَسْهَرْنَا بِرُسُلِنَا مِنْ قَبْلِكَ فَاذْمَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَظَهَرِ مِنْ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ [الرعد: ١٩-٣٥].

ولما بيّن الله تعالى الفرق بين حال من استجاب ومن أعرض في الجزاء، وكان ما مضى مستوفياً طرق البيان بإيضاح الأمر بالجزئيات والأمثلة مع أسلوب الترغيب والترهيب، فكان ترتيب الأثر عليه، تسبّب عنه الإنكار على من ساوى بين العالم العامل وغيره التفاتاً إلى قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [الرعد: ١٦] وكذلك ساوى بين الحقّ والباطل التفاتاً إلى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ [الرعد: ١٧]^(١) تساءلت الآية الأولى تساؤلاً استنكارياً عمّا إذا كان يصحّ التسوية بين الذي رأى نور الحقّ فشعّ في قلبه فاهتدى وبين أعمى القلب والبصيرة. ثم قرّرت: إنّما يعقل هذا ويتذكر به ذوو العقول السليمة. ثم احتوت الآيات التالية وصفاً قوياً للذين آمنوا ويتقون عواقب السيئات ويدفعونها بالحسنات. فهؤلاء لهم خير الجزاء في الآخرة ولمن سار على طريقتهم القويمة^(٢) حيث المثوبة بالجنة، وفي المقابل وصفاً قوياً لعقاب الذين كفروا بالله في الآخرة^(٣).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠/٣٢٦-٣٢٧) بتصرف.

(٢) يراجع: التفسير الحديث (٥/٥٣٢).

(٣) التفسير الميسر (١/٢٥٤) بتصرف.

المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات

✽ المسألة الأولى: الدراسة التناسقية في الآية التاسعة عشرة

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولَ الْأَلْبَابِ ۗ﴾

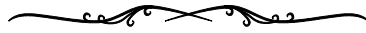
[الرعد: ١٩]

أولاً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

يقول الله تعالى في سياق هذه الآية: "ذاكراً الفرق بين أهل العلم والعمل وبين ضدهم: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ ففهم ذلك وعمل به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ لا يعلم الحق ولا يعمل به، فحقيق بالعبء أن يتذكر ويتفكر أي الفريقين أحسن حالاً فيؤثر طريقها ويسلك خلف فريقها، ولكن ما كل أحد يتذكر ما ينفعه ويضره"^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

خُتِمت الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنائي^(٢) وهذه الآية تنبيه للمؤمنين وتحذير للكافرين^(٣).



(١) تفسير السعدي (٤١٦/١).

(٢) التَّنَائِي عَنِ الْمَكَانِ: الْإِبْتِعَادُ، الْبُعْدُ، التَّبَاعُدُ عَنْهُ. انظر: تهذيب اللغة (١١٧/٢).

(٣) تفسير أبي السعود (١٦/٥) بتصريف.

المسألة الثانية: الدراسة التناسقية في الآية العشرين

﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: ٢٠]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

فإن سألت عن وصفهم، فلا تجد أحسن من وصف الله لهم بقوله: ﴿الَّذِينَ

يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾^(١).

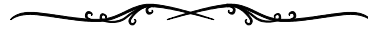
ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

بيّنت الآية التالية وصفا قويا محبباً لمن يشع الإيمان في قلوبهم ويهتدوا بهدى الله ورسوله فيجوز أن يكون قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ ابتداءً كلام فهو استئناف ابتدائي جاء لمناسبة ما أفادت السابقة من إنكار المساواة بين فريقين، وأن نفي التسوية بينهما هو نفي مؤيد بالحجة، وبذلك يصير موقع هذه الآية مفيداً تعليلاً لنفي التسوية المقصود منه تفضيل المؤمنين على المشركين^(٢).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

خُتِمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ فهي جُمْلَةٌ توكيديةٌ لِقَوْلِهِ:

﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾^(٣).



(١) انظر: تفسير السعدي (٤١٦/١).

(٢) التحرير والتنوير (١٢٥/١٣) انظر: التفسير الحديث (٥٣٢/٥).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٣٧٩/٦) بتصرف.

المسألة الثالثة: الدراسة التناسقية في الآية الحادية والعشرين

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

يتحدث السياق عن صفات أخرى لأولي الألباب في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾

ومناسبة عطفه بالآية السابقة أن وصل ما أمر الله تعالى به أن يوصل من علامات الوفاء بعهد الله^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

ما زال السياق يتحدث عن صفات الذين آمنوا في تناسق منتظم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ ظاهره شمول كل ما أمر الله بصلته، ونهى عن قطعه من حقوق الله وحقوق عباده، وقد قصره المفسرون على صلة الرحم، ومن ذهب إلى العموم أدخل الأنبياء ﷺ ووصلهم أن يؤمن بهم جميعاً^(٢).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

ولما كان الدليل يرشد إلى أن الله تعالى مرجو مرهوب ناسق ذلك ختام الآية بقوله تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾^(٣) أي: فيما يأتون وما يتركون من الأعمال فيراقبون الله في جميع أعمالهم فمن أجل هذه الخشية من الله وراقبوا الله في السر والعلن^(٤). ويقول البيضاوي: "﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ وعيده عموماً ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ خصوصاً فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا"^(٥).

(١) التحرير والتنوير (١٢٧/١٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (٤٧٠/٧) بتصرف.

(٢) فتح القدير للشوكاني (٩٤/٣)، انظر: تفسير الألوسي (١٣٤/٧).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٢٩/١٠) بتصرف.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٥٠/٤) تفسير النسفي (١٥٢/٢).

(٥) تفسير البيضاوي (١٨٦/٣).

المسألة الرابعة: الدراسة التناسقية في الآية الثانية والعشرين

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ

بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

ومن صفات أولي الألباب أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ

وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾

[الرعد: ٢٢] (١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

قاله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ قيل: هو كلام مستأنف،

وقيل: معطوف على ما قبله، وحرف العطف يؤكد التناسق الموضوعي ويظهر التناسب فيما بينها والتعبير عنه بلفظ الماضي للتنبيه على أهمية تحققه (٢).

﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أي: بعضه الذي يجب عليهم إنفاقه لأن الإنفاق من

أعظم سبب يوصل إلى المقاصد، فهذا إنفاق من المال، وتلك إنفاق من القوى، وهذا يؤكد بديع النسق في الآية ﴿سِرًّا﴾ لمن لم يُعرف بالمال أو لمن لا يتهم بترك

الزكاة أو عند إنفاقه وإعطائه من تمنعه المروءة من أخذه ظاهراً ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ لمن

لم يكن كما ذكر أو الأول في التطوع والثاني في الفرض وقوله تعالى: ﴿سِرًّا

وَعَلَانِيَةً﴾ إشارة إلى الحث على استواء الحالتين تنبيهاً على الإخلاص ثم عطف

عليه قوله: ﴿وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ (٣).

(١) فتح القدير للشوكاني (٩٤/٣) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٤٧٠/٧).

(٢) التحرير والتنوير (١٢٧/١٣) بتصرف.

(٣) تفسير أبي السعود (١٧/٥) بتصرف.

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

جاء في ختام هذه الآية قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ عُقَبَى الدَّارِ﴾ "عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة، والجملة خبر الموصولات إن رفعت بالابتداء وإن جعلت صفات لأولي الألباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات"^(١).



(١) تفسير البيضاوي (١٨٦/٣).

المسألة الخامسة: الدراسة التناسقية في الآية الثالثة والعشرين

﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾

[الرعد: ٢٣].

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

لما بين الله ﷻ حال السعداء المتصفين بهذه الصفات الحسنة بأن لهم عقبى الدار في الآية السابقة، فسر هذه الآية ذلك بقوله: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

ما زال السياق يذكر مآل المؤمنين في قوله تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا﴾ بدل من "عُقْبَى" ويجوز أن تكون تفسيراً لـ "عُقْبَى الدَّارِ" أي: يمكنهم ﷻ من دخول جنات عدن^(٢).

وقال الإمام الشوكاني ٥: "وجنات عدن: وسط الجنة وقصبتها"^(٣)، وسقفها عرش الرحمن"^(٤).

"ثم استأنف بيان تمكّنهم فيها فقال: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ ولما كانت الدار لا تطيب بدون الحبيب، قال عاطفاً على الضمير المرفوع إشارة إلى أن النسب الخالي غير نافع: ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ والصلاح^(٥): استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع"^(٦)، ومن آمن وأطاع الله تعالى من ﴿آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ

(١) تفسير ابن كثير (٤٥١/٤) بتصرف.

(٢) تفسير القرطبي (٣١١/٩) بتصرف.

(٣) هي: (القَصْرُ، أَوْ جَوْفُهُ) يُقَالُ: كُنْتُ فِي قَصْبَةِ الْبَلَدِ، وَالْقَصْرُ، وَالْجِصْنُ، أَي: فِي جَوْفِهِ. انظر: تهذيب اللغة (٤٦٠/١٥)، تاج العروس (٤٣/٤).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٩٤/٣).

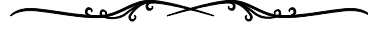
(٥) هو: تَصَالُحُ الْقَوْمِ بَيْنَهُمْ، وَالصَّلَاحُ: نَقِيضُ الْفُسَادِ، وَالْإِصْلَاحُ: نَقِيضُ الْإِفْسَادِ، وَرَجُلٌ صَالِحٌ: مُصْلِحٌ، وَالصَّالِحُ فِي نَفْسِهِ، وَالْمُصْلِحُ فِي أَعْمَالِهِ. انظر: تهذيب اللغة (١٤٢/٤).

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٣١/١٠).

عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿يَدْخُلُونَ جَنَاتٍ عَدْنٍ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ فِي الْعَمَلِ مَبْلَغَهُمْ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾^(١). كرامة لهم وتعظيما لشأنهم^(٢).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

ناسق ختام الآية قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ نعيم الله تعالى للمؤمنين بأن جعلهم مجتمعين مع قراباتهم في الجنة، وإن دخلها كل إنسان برحمة الله تعالى لا بعمله. وهذا حال الذين استجابوا لربهم، والذين يعلمون أن الذي أنزل إليك هو الحق^(٣).



(١) الطور: ٢١

(٢) يراجع: تفسير السمرقندي (٢٢٥/٢)، البحر المديد (٢٢/٣)، الوجيز للواحدى (٥٧١/١).

(٣) تفسير القرطبي (٣١٢/٩) تفسير السمرقندي (٢٢٥/٢) بتصرف.

المسألة السادسة: الدراسة التناسقية في الآية الرابعة والعشرين

قال تعالى: ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

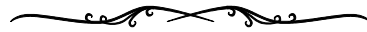
ولما كان إتيانهم من الأماكن المعتادة مع القدرة على غيرها أدل على الأدب والإكرام، في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣] يقولون لهم في هذه الآية زيادة في الإكرام: ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

والتعبير بالواو في بدء الآية تأكيد على استمرار السياق، وإظهار التناسق الموضوعي في هذه الآية حين يتحدث الله تعالى عن نعيم المؤمنين في الجنة بقوله تعالى: ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ أي: حلت عليكم السلامة والتحية من الله وحصلت لكم، بسبب صبركم والإيمان والطاعة وذلك متضمن لزوال كل مكروه، ومستلزم لحصول كل محبوب، فيظهر التناسق واضح بين صبر المؤمنين وجزاء هذا الصبر وهي تحية الملائكة لهم^(٢).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

خُتِمت الآية بقوله "تعالى: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ مخبراً عن اتصف بهذه الصفات الحميدة، وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة"^(٣).



(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٣٢/١٠) بتصريف.

(٢) تفسير السعدي (٤١٧/١) أيسر التفاسير للجزائري (٢٤/٣) بتصريف.

(٣) تفسير ابن كثير (٤٥٠/٤).

المسألة السابعة: الدراسة التناسقية في الآية الخامسة والعشرين

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

لما بين الله تعالى في الآيات السابقة الموفين بعهده، والمواصلين لأمره، وذكر ما لهم ذكر في هذه الآية عكسهم من نقض الميثاق فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

ثم يأتي السياق بعد ذلك في ذكر صفات الذين كفروا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ الذي ألزم عباده به، وأقام عليه الأدلة العقلية على صحته^(٢). ونقض العهد من صفات الذين كفروا فلم يقابلوه ﷺ بالخضوع له والتسليم بل على العكس من هذا قابلوه بالإعراض وعدم القبول^(٣). وقال ابن عاشور في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ "وزيادة من بعد ميثاقه زيادة في تشنيع النقض، أي من بعد توثيق العهد وتأكيدهِ"^(٤). وقال البيضاوي في: "من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول"^(٥).

ثم قال تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ وذلك في مقابلة قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١] فجعل من صفات

(١) تفسير القرطبي (٣١٤/٩) بتصريف.

(٢) تفسير البيضاوي (١٨٦/٣) بتصريف.

(٣) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢٥/٣).

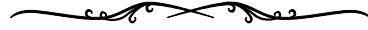
(٤) التحرير والتنوير (١٣٣/١٣).

(٥) تفسير البيضاوي (١٨٧/٣).

هؤلاء القطع بالضد من ذلك الوصل، والمراد به قطع كلما أوجب الله وصله ويدخل فيه وصل الرسول بالموالاة والمعاونة ووصل المؤمنين، ووصلا الأرحام، ووصل سائر من له حق، ثم قال: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ وذلك الفساد هو الدعاء إلى غير دين الله وقد يكون بالظلم في النفوس والأموال وتخريب البلاد^(١).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

ثم إنه تعالى بعد ذكر هذه الصفات ختم الآية بالإشارة إلى عذابهم في الآخرة فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ واللعنة من الله: الإبعاد من خيري الدنيا والآخرة إلى ضدهما من عذاب ونقمة. فيظهر روعة النسق وبديع النظم في هذا الختام في أنه ناسب مقتضى حالهم من كفر وإعراض وفساد^(٢).



(١) تفسير الرازي (٣٨/١٩) بتصرف.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٥٣/٤) بتصرف.

المسألة الثامنة: الدراسة التناسقية في الآية السادسة والعشرين

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ

إِلَّا مَتَاعٌ ﴿الرعد: ٢٦﴾

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

ولما ذكر الله تعالى في الآية السابقة الحث العظيم على الإنفاق، وبين أنه من أوثق الأسباب في الوصلة لجميع أوامر الله، وختم بأن للكافر البعد والطرده عن كل خير والسوء، كان موضع أن يقول الكفار: ما لنا يوسع علينا مع بُعدنا والمؤمن يضيق عليه مع وصله واتصاله، بالله وما له لا يبسط له يوسع له في رزقه ليتمكن من إنفاذ ما أمر به إن كان ذلك حقاً؟ فقيل: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يعطي ﴿بِقَدْرِ الْحَاجَةِ وَالْكَفَايَةِ﴾، والمراد بالرزق الدنيوي لا الآخروي لأنه على ما قيل غير مناسب للسياق^(٢).

فلا يوسع في الرزق الا الله سبحانه جل في علاه فيوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء سبحانه دون غيره^(٣).

وَالْبَسْطُ^(٤): مستعار للكثرة وللدوام. والقدر: كناية عن القلة. ولما كان المقصود الأول من هذا الكلام تعليم المسلمين كان الكلام موجهاً إليهم.

وَجِيءَ في جانب الكافرين بضمير الغيبة إشارة إلى أنهم أقل من أن يفهموا هذه الدقائق فهم فرحوا بما لهم في الحياة الدنيا وغفلوا عن الآخرة، فالفرح

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٣٤/١٠) بتصرف.

(٢) تفسير الألوسي (١٤٠/٧) بتصرف.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٣١٤/٩) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٢٤/٣).

(٤) هو: تَفْيِضُ الْقَبْضِ. وَالْبَسِيطَةُ مِنَ الْأَرْضِ كَالْبَسَاطِ مِنَ النَّيِّابِ، وَالْجَمِيعُ الْبَسْطُ. وَالْبَسْطَةُ: الْفَضِيلَةُ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (البقرة: ٢٤٧). انظر: تهذيب اللغة (٢٤١/١٢).

المذكور فرح بطر وطغيان كما في قوله تعالى في شأن قارون: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(١)، وهذا المعنى أفاده الاقتصار على ذكر الدنيا في حين ذكر الآخرة أيضا بقوله: وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع^(٢).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

وأما قوله: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فهو راجع إلى من وسع الله له رزقه، ولما كانت الحياة الدنيا متلاشية في جنب الدار الآخرة التي ختم بها للمتقين، قال زيادة في الترغيب والترهيب بقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾^(٣).



(١) القصص: ٧٦

(٢) يراجع: التحرير والتنوير (١٣٤/١٣).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٣٤/١٠) التحرير والتنوير (١٣٤/١٣) بتصريف.

المسألة التاسعة: الدراسة التناسقية في الآية السابعة والعشرين

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾ [الرعد: ٢٧]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

يخبر تعالى أن الذين كفروا بآيات الله يتعتنون على رسول الله، ويقترحون ويقولون: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

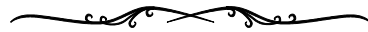
قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ أي أهل مكة وإيثار هذه الطريقة على الإضمار مع ظهور إرادتهم عقيب ذكر فرجهم بالحياة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فإن ذلك في أقصى مراتب المكابرة والعناد كأن ما أنزل عليه من الآيات العظام الباهرة ليس بأية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لأحد بعد ذلك طاقة بعدم القبول^(٢).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

وبزعمهم أنها لو جاءت لآمنوا فأجابهم الله تعالى في ختام الآية بقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴾^(٣).

يذكر الله ﷻ زعم المشركين أن لو جاءت آيات لآمنوا بها. فأمر الله نبيه ﷺ أن يبين لهم أن الله يضل من يشاء عن دينه ومن كان أهلاً لذلك^(٤).

يقول النسفي: " اقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾ ويرشد إلى دينه من رجع إليه بقلبه ويرشد إلى دينه من رجع إليه بقلبه"^(٥).



(١) تفسير السعدي (٤١٧/١) انظر: تفسير المراغي (٩٩/١٣).

(٢) تراجع: تفسير أبي السعود (١٩/٥).

(٣) تفسير الرازي (٣٩/١٩) بتصريف.

(٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٤٩٣/٢) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس (٢٠٨/١).

(٥) تفسير النسفي (١٥٤/٢).

المسألة العاشرة: الدراسة التناسقية في الآية الثامنة والعشرين

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[الرعد: ٢٨]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

ذكر الله تعالى علامة المؤمنين فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١) في مقابلة قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الرعد: ٢٧] وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] وهي اعتراضية تفيد كيف لا تطمئن قلوبهم بذكر الله ولا اطمئنان للقلب بغير ذكر الله ﷻ^(٢).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

والمعنى في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ تطمئن بإحساسها بالصلة بالله، والأمن في جانبه تطمئن من قلق الوحدة، وحيرة الطريق. بإدراك الحكمة في الخلق والمبدأ والمصير، وتطمئن بالحماية من كل اعتداء، ومن كل ضرر إلا بما يشاء مع الرضى والصبر على البلاء، وتطمئن برحمته في الهداية، والستر في الدنيا والآخرة^(٣).

بين الله تعالى في هذه الآية حال المؤمنين حيث يزول كل يكون بهم من مصاعب ومشاكل وتطمئن نفوسهم وقلوبهم بذكر الله^(٤).

ويقول أبو السعود: "وقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مَنْ أَنَابَ﴾

[الرعد: ٢٧] قال ابن عباس: يريد إذا سمعوا القرآن خشعت قلوبهم واطمأنت"^(٥).

(١) تفسير السعدي (٤١٧/١) بتصرف.

(٢) تفسير الألوسي (١٤٣/٧) بتصرف.

(٣) تراجع: في ظلال القرآن (٢٠٦٠/٤).

(٤) ينظر: التفسير الحديث (٥٤٠/٥) التفسير الواضح (٢٣٢/٢).

(٥) تفسير أبي السعود (٢٠/٥).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

وفى قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ توكيد لهذا الخبر الذي

تضمنه قوله تعالى: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾

وإن هناك للحظات في الحياة لا يصمد لها بشر إلا أن يكون مرتكناً إلى الله، مطمئناً إلى حماه، مهما أوتي من القوة والثبات ففي الحياة لحظات تعصف بهذا كله، فلا يصمد لها إلا المطمئنون بالله تعالى^(١).



(١) يراجع: في ظلال القرآن (٤/٢٠٦٠).

✽ المسألة الحادية عشر: الدراسة التناسقية في الآية التاسعة والعشرين

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٢٩]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ استئناف اعتراضى مناسبتة المضادة لحال من أضلهم الله ومن هداهم مع التنبيه على أن مثال الذين ضلوا هو عدم اطمئنان قلوبهم لذكر الله، وهو القرآن^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

فقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بدل من قلوب الذين آمنوا، والذي يظهر في الآية أنها بدل الكل لأن القلوب في الأول قلوب المؤمنين المطمئنين وكذلك لو عمم القلب على معنى أن قلوب هؤلاء المؤمنين هي كل القلوب لأن الكفار أفئدتهم هواء^(٢).

ويقول القرطبي: "يجوز أن يكون موضعه نصبا على تقدير جعل لهم طوبى، ويعطف عليه" وحسن مآب" على الوجهين المذكورين، فترفع أو تنصب"^(٣).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

خُتِمَت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ هؤلاء الذين أنابوا الى الله ورجعوا اليه واطمأنت قلوبهم بذكره، وعملوا الصالحات، يحسن الله مآبهم إليه، ولهم فرحة، وسعادة، وقرّة عين عند ربه من العيش الطيب لهم في الآخرة^(٤).

(١) التحرير والتنوير (١٣٧/١٣) بتصريف يسير.

(٢) تفسير الألوسي (١٤٢/٧) بتصريف.

(٣) تفسير القرطبي (٣١٦/٩).

(٤) تيسير التفسير للقطان (١٧٣٧/١) بتصريف.

☆ المسألة الثانية عشر: الدراسة التناسقية في الآية الثلاثين

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتَلَّوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ وبعد ذكر الله تعالى في الآيات السابقة حال المعرضين عن ذكر الله تعالى وكان إعراض المقترحين قد طال، كان موضع أن يقال من كافر أو مسلم أولست مرسلًا يستجاب لك كما كان يستجاب للرسول فقيل: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

بيان حسن التناسق في هذه الآية يظهر من خلال قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف في ذلك للتشبيه فقيل وجه التشبيه ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾^(٢).

كما أرسلنا الأنبياء قبلك في أمة قد خلت من قبلها أمم، ونبه على الوصف الموجب لإرسال الرسول وهو الرحمة الموجبة لشكر الله على إنعامه عليهم ببعثة الرسول والإيمان به^(٣).

"وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ عطف على قوله: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾"^(٤).

ويقول عبد الكريم يونس الخطيب G: "في قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ تشنيع على المشركين، وتهديد لهم، إذ كانوا كلما تلا النبي ﷺ كلمات ربه ازدادوا كفراً هكذا حالاً بعد حال، وقوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ حال، وصاحب

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٣٧/١٠) تفسير السعدي (٤١٨/١).

(٢) تفسير الرازي (٤١/١٩) بتصرف.

(٣) يراجع: البحر المحيط في التفسير (٣٨٧/٦ - ٣٨٨).

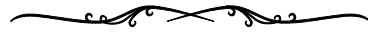
(٤) التحرير والتنوير (١٤٠/١٣).

الحال هو الضمير في «عليهم»^(١).

وقد لقن النبي ﷺ بإبطال كفرهم بالتصريح بالدين والإفصاح بالدعوة بأن يقول: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ فضمير هو عائد إلى الرحمن باعتبار المسمى بهذا الاسم، هو ربي، والربُّ في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً ثم وُصف به مبالغةً كالصوم والعدل وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على أن استحقاق العبادة منوط بالربوبية^(٢).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

وناسق ختام الآية بدايتها بقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ أي: عَلَيْهِ اعتمدت وبه وثقت فأني توفيقاً في الأرض لا يتحقق إلا بالتوكل على الله، فقدّم الجار والمجرور للدلالة على الاختصاص وذلك لأن التوكل لا يكون إلا على الله وحده، وعبر الله تعالى عن التوبة بالرجوع عما هم عليه بأبلغ وجهٍ وأطفه لبيان فضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وأنها صفة الأنبياء^(٣).



(١) التفسير القرآني للقرآن (١٢٠/٧).

(٢) تفسير أبي السعود (٢١/٥) ينظر: تفسير ابن عطية (٣١٢/٣).

(٣) تفسير الزمخشري (٥٢٩/٢) تفسير أبي السعود (٢١/٥) بتصرف.

المسألة الثالثة عشر: الدراسة التناسقية في الآية الحادية والثلاثين

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلَّ اللَّهُ الْأَمْرَ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ قيل: هذا متصل بقوله: ﴿لَوْ لَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ آيَةً مِّن رَّبِّهِ﴾ [الرعد: ٢٧] حيث سألوا جماعة من الكفار رسول الله ﷺ أن يسير لهم جبال مكة لتتسع فأمره الله ﷻ بأن يجيب عليهم بهذا الجواب لما فيه من تعظيم شأن القرآن وفساد رأس الكفار^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾ شرط، وجوابه (لو) محذوف لانسياق الكلام إليه بحيث يتلقفه السامع من التالي والمقصود بيان تعظيم شأن القرآن الكريم وفساد رأي الكفرة^(٢).

ولوا أردننا أن نتبعك فسير لنا جبال مكة بالقرآن حتى تتسع لنا وقرب لنا الشام حتى نتاجر فيها واجعل فيها أنهار وعيون حتى يتيسر لنا الحرث والغرس وأخرج لنا الموتى نكلمهم لكان هذا القرآن^(٣).

وقوله: ﴿بَلَّ اللَّهُ الْأَمْرَ جَمِيعًا﴾ عطف على قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ بحرف الإضراب فأمر الله نبيه بأن يقول هذا الكلام إجراء لكلامهم على خلاف مرادهم على طريقة الأسلوب الحكيم، لأنهم ما أرادوا بما قالوه إلا التهكم، فحمل كلامهم على خلاف مرادهم تنبيهاً على أن الأولى بهم أن ينظروا هل كان في

(١) فتح القدير للشوكاني (١٠٠/٣) بتصريف.

(٢) تفسير البيضاوي (١٨٨/٣) تفسير أبي السعود (٢١/٥) بتصريف.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٣١٩/٩) تفسير العز بن عبد السلام (١٥٤/٢) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس (٢٠٨/١).

الكتب السابقة قرآن يتأتى به مثل ما سألوه^(١).

أي مرجع جميع الأمور ومصيرها إلى الله تعالى فهو صاحب الأمر والإرادة في إنزال الآيات وإذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون^(٢).

"ولما كان هذا كله إقناتاً من حصول الإيمان لأحد بما يقترح، تسبب عنه الإنكار على من لم يفد فيه ذلك فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِسَّ﴾"^(٣) من (بيأس) بمعنى (ألم يتيقن المؤمنون مما رأوه من شدة عناد الكفار من إيمان جميع خلقه أنه لو شاء الله تعالى لهدى الناس جميعاً فهو سبحانه القادر على ذلك وكلمة (بيأس) أقوى تعبيراً في هذا المقام حيث يبين أن ما ظهر من الكفار من عناد من شأنه أن يبيأس المؤمنين من عودتهم^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أن الكفار من أهل مكة لا يزالون كذلك حتى ﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾ أي: بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه إما للقصدي تهويله أو استهجان مهلك من قتل أو أسر أو جذب أو نحو ذلك من العذاب^(٥).

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ﴾ مَعطوفة على قوله: ﴿وَلَوْ أَن قُرْآنًا سُرِرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ وهي إشارة إلى أن هذه القوارع التي تحل بالكافرين لا ترتفع عنهم أبداً، ما داموا في لباس الكفر، وذلك إلى أن يأتي وعد الله الذي وعده النبي ﷺ وعباده المؤمنين به وهو فتح مكة في قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلِقِينَ رِءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً^(٦) وفتح له البلد الحرام، ودخل الناس في دين الله جماعات^(١).

(١) يراجع: التحرير والتنوير (١٤٤/١٣).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٤٦١)، التفسير الوسيط للزحيلي (١١٦٨/٢).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٤٣/١٠).

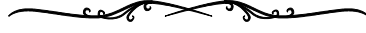
(٤) تفسير السمرقندي (٢ / ٢٢٨)، التفسير الحديث (٥٤٣/٥) بتصريف.

(٥) فتح القدير للشوكاني (١٠١/٣)، تفسير أبي السعود (٢٣/٥) بتصريف.

(٦) الفتح: ٢٧

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعاتها:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ تذييلٌ لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾^(١)
 إيذاناً بأن إتيان الوعد سيتحقق لا محالة، وأن الغاية به غاية بأمر قريب الوقوع،
 والتأكيد مراعاة لإنكار المشركين^(٢).



(١) التحرير والتنوير (١٤٥/١٣-١٤٧) التفسير القرآني للقرآن (١٢٨/٧) بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير (١٤٥/١٣-١٤٧) بتصرف يسير.

❁ المسألة الرابعة عشر: الدراسة التناسقية في الآية الثانية والثلاثين

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا تَمَّ أَخَذْتُمُ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

[الرعد: ٣٢].

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

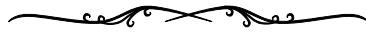
يقول تعالى لرسوله ﷺ مثبتاً له ومسلماً: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

جاء في سياق هذه الآية في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ ما فيه تسليية للرسول O، وأن حالك كحال من تقدمك من الرسل السابقين، وأن المستهزئين يمهلون ثم يؤخذون وفي الآية تنبيه على أن حال من استهزأ بك، وإن أمهل حال أولئك في أخذهم ووعد لهم^(٢).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

جاء في ختام الآية قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ والاستفهام للتقريع و التهديد، أي: فكيف كان عقابي للكفار الذي استهزءوا بالرسول، استفهم الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا تَمَّ أَخَذْتُمُ﴾، ثم استفهم سبحانه استفهماً آخر للتوبيخ فيقول: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾^(٣).



(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٤٥/١٠-٣٤٦) انظر: تفسير السعدي (٤١٨/١).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٣٩١/٦) بتصريف.

(٣) تفسير ابن كثير (٤٦٢/٤)، فتح القدير للشوكاني (١٠١/٣) بتصريف.

المسألة الخامسة عشر: الدراسة التناسقية في الآية الثالثة والثلاثين

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۖ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ قُلْ سَمُّهُمْ أَمْ تُنْتَوِنَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بظَهْرٍ مِنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۗ ﴾ [الرعد: ٣٣]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

وحيثما ذكر الله تعالى في الآية السابقة أنه سينتقم من الكفار كما انتقم من أولئك المتقدمين والإملاء والإمهال، ذكر في هذه الآية إنه تعالى أورد على المشركين ما يجري مجرى الحجاج وما يكون توبيخاً لهم وتعجيباً من عقولهم فقال: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۖ ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۖ ﴾ وكلّ بعمله وهو الله تعالى وحذف الجواب في ذلك فلم يُقُلْ، وقد قيل كذا وكذا، اكتفاءً بعلم السامع بما ذكّر عما ترك ذكره. أي: كمن ليس كذلك إنكاراً لذلك وإدخال الفاء لتوجيه الإنكار إلى توهم المماثلة ومن كون الأمر كله لله تعالى وكون هداية الناس جميعاً منوطاً بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة إلى أن يأتي وعد الله كأنه قيل الأمر كذلك فمن هذا شأنه كما ليس في عداد الأشياء حتى تُشركوه به في قوله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ أنت مستقلة جيء بها للدلالة على الخبر أي أفمن هذه صفاته كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكاً واحداً ووضع المظهر للتنصيص على وحدانيته ذاتاً واسماً وللتنبية على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الإبهام بإيراده موصولاً للدلالة على التفضيم^(٢).

ذكر الله تعالى في هذه الآية أنه هو سبحانه الحافظ المهيم على جميع خلقه والاستفهام للإنكار وكذلك هداية الخلق بيده سبحانه ما يدل على استحقاقه للعبادة وحده دون سواه^(٣).

(١) تراجع: تفسير الرازي (٤٤/١٩).

(٢) تفسير الطبري (٤٦٢/١٦) انظر: تفسير أبي السعود (٢٤/٥).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (٤١٩/١) : التفسير الوسيط لطنطاوي (٤٨٦/٧).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سَمُوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ﴾ استئناف أعيد معها الأمر بالقول لوعي ما سيذكر بعده، وهذه كلمة جامعة، وقد تضمنت الرد عليهم^(١).

في هذه الآية يحقر الله تعالى من شأن الكافرين ومعبوداتهم بأن يصفوهم بأوصافهم الحقيقية إن كانوا أحياء أو يستطيعون دفع الضر عن أنفسهم ولن يستطيعوا ذلك^(٢).

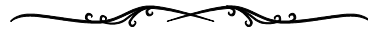
ويقول السعدي: "فإنه إذا كان عالم الغيب والشهادة وهو لا يعلم له شريكا، علم بذلك بطلان دعوى الشريك له، وأنكم بمنزلة الذي يُعَلِّمُ اللهُ أن له شريكا وهو لا يعلمه، وهذا أبطل ما يكون؛ ولهذا قال: ﴿أَمْ يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ﴾ أي: غاية ما يمكن من دعوى الشريك له تعالى أنه بظاهر أقوالكم"^(٣).

ولما كان التقدير: ليس لهم على شيء من ذلك برهان قاطع بنى عليه قوله: ﴿بَلْ زُيِّنَ﴾^(٤).

"وَعَطْفُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾"^(٥) أي: وصرفوا عن السبيل وتاهوا عن طريق الحق والصواب والصراط المستقيم^(٦).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ تذليل لما فيه من العموم ومن تقتضي سنة الله إضلاله بسبب سيره في طريق الضلال فلن يهديه أحد، لأن سنة الله لا تتوقف إذا حقت بأسبابها على العباد^(٧).



(١) التحرير والتنوير (١٥١/١٣) بتصرف.

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣١/٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم (١/٣٦٠).

(٣) تفسير السعدي (٤١٩/١).

(٤) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٤٨/١٠).

(٥) التحرير والتنوير (١٥٤/١٣).

(٦) تيسير التفسير للقطان (٢٨٠/١) التفسير الوسيط (٤٨٨/٧) بتصرف.

(٧) في ظلال القرآن (٢٠٦٣/٤) بتصرف.

المسألة السادسة عشر: الدراسة التناسقية في الآية الرابعة والثلاثين

قال تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾

[الرعد: ٣٤]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

استئناف بياني نشأ عن قوله: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَآلَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣] بين سبحانه

مصير الكافرين فقال: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

قال تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ والعذاب هو القتل والأسر وسائر ما

يصيبهم من المصائب في الدنيا^(٢).

حيث يعرضهم الله تعالى في الدنيا سائر العذاب والمحن في الدنيا من قتل

وأسر وفي الآخرة العذاب الشديد^(٣).

ويقول سيد قطب: "فجفاف القلب من بشاشة الإيمان عذاب، وحيرة

القلب بلا طمأنينة الإيمان عذاب، ومواجهة كل حادث بلا إدراك للحكمة الكبرى

وراء الأحداث عذاب"^(٤).

"وقوله تعالى: ﴿وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ وفيه تكملة للوعيد المتقدم في قوله:

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا

يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١] مع زيادة الوعيد بما بعد ذلك في الدار الآخرة. وتنكير

عذاب للتعظيم، وهو عذاب القتل والخزي والأسر. وإضافة عذاب إلى الآخرة

(١) يراجع: التحرير والتنوير (١٥٤/١٣) التفسير الوسيط (٤٨٩/٧).

(٢) تفسير البيضاوي (١٨٩/٣) بتصرف.

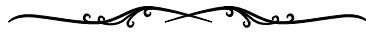
(٣) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢٠٩/١) الموسوعة القرآنية (١٥٩/١٠).

(٤) في ظلال القرآن (٢٠٦٣/٤).

على معنى في و (من) الداخلة على اسم الجلالة لتعدية واق^(١)، و (من) الداخلة على واق لتأكيد النفي للتنصيص على العموم. والواقى: الحائل دون الضرر. والوقاية من الله على حذف مضاف، أي من عذابه بقريظة ما ذكر قبل^(٢).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

وفي ختام الآية قال تعالى: "﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾" من عذابه المذكور من حافظ يعصمهم من ذلك فمن الأولى صلة للوقاية والثانية مزيدة للتأكيد^(٣).



(١) هو: دافع. يقال للصرّد واق؛ لأنه لا ينبسط في مشيه، فشبهه بالواقى من الدوابّ إذا حفي. وقيل سرج واق: إذا لم يكن معقراً. وما أوقاه. ويقال: فرس واق: إذا حفي من غلظ الأرض فوقه حافرُه الموضع الغليظ. انظر: تهذيب اللغة (٢٧٩/٩).

(٢) التحرير والتنوير (١٣/١٥٤-١٥٥).

(٣) تفسير أبي السعود (٢٥/٥).

المسألة السابعة عشر: الدراسة التناسقية في الآية الخامسة والثلاثين

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْثُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

اعلم أنه تعالى لما بين عذاب الكفار في الدنيا والآخرة، في الآية السابقة بين في هذه الآية ثواب المتقين في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ أي: صِفَتُهَا وَنَعْتُهَا، حيث يمثل الله تعالى الغائب بما هو مشاهد معروف عندنا، تقريبا للأفهام وتوجيها للأذهان^(٢)، ولما كان المقصود حصول الوعد الصادق ولا سيما وقد علم أن الوعد هو الله، بنى للمفعول قوله: ﴿وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ الذين يخشون ربهم وعدهم بجنة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ مفسرة لقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤) أو مستأنفة استئنافا بيانيا أو حال من العائد المحذوف من الصلة أي التي وعدّها^(٥).

وقوله: ﴿أَكْثُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾

ويقول سيد قطب: "فهو المتاع والاسترواح ومشهد الظل الدائم والثمر

(١) تفسير الرازي (٤٦/١٩) بتصريف.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٦٤/٤) التفسير الواضح (٢٣٧/٢) بتصريف.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٥٣/١٠)، التفسير الميسر (٢٥٤/١) بتصريف.

(٤) آل عمران: ٥٩

(٥) تفسير الألوسي (١٥٤/٧) بتصريف.

الدائم مشهد تطمئن له النفس وتستريح في مقابل المشقة هنا كذلك العذاب وهذه الجنة هما النهاية الطبيعية لهؤلاء وهؤلاء" (١).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

وقوله: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ مستأنفة بالمضادة وهي

كالبيان لقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

والإشارة إلى الجنة بصفاتنا بحيث صارت كالمشاهدة، والمعنى: تلك هي

التي سمعتم أنها عقبى الدار في قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُونَّ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى

الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢] وقوله: ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] هي الجنة التي

وعد المتقون وأن الذين اتقوا هم المؤمنون الصالحون، وأول مراتب التقوى الإيمان (٢).

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٠٦٣-٢٠٦٤).

(٢) التحرير والتنوير (١٣/١٥٥-١٥٦) بتصرف.

المطلب الثالث: الغرض الذي سيقت له الآيات

إن الغرض العام الذي سيقت له الآيات بيان صفات المؤمنين أولي الألباب مقابل صفات الكفار العميان ومآل كلّ منهما ويظهر ذلك من خلال:

١- بيان الصفات التي يتصف بها المؤمنون هي ما ينبغي أن يكون عليه كمسلم في كل وقته وأن المسلم الذي لا يتّصف بها لا يكون قد أحسن إدراك أهداف الرسالة الإسلامية السامية.

٢- وجوب الوفاء بالعهد ويشمل كل حقوق الله تعالى وحقوق العباد.

٣- بيان أن من الوفاء بالعهد أن يكون المؤمن قد عاهد ربّه على القيام بجميع ما أمر به واجتناب جميع ما نهى عنه.

٤- تحريم قطع ما أمر الله تعالى بوصله من صلة الأرحام والإيمان بجميع الأنبياء ﷺ، ومد يد العون للمؤمنين.

٥- صلة الرحم من الأعمال المبرورة التي يجب أن يتّصف بها كل المسلم بدون ريب.

٦- الصبر من صفات الذين آمنوا على الطاعة، وعن المعصية، وعلى، والمصائب، والحوادث، والنوائب.

٧- إقامة الصلاة في أوقاتها، وأداؤها بفروضها، وخشوعها كصفة صلاة النبي ﷺ من صفات الذين آمنوا.

٨- وجوب انفاق المال سرا وجهرا، بأداء الزكاة المفروضة والتطوع بالصدقات المندوبة في سبيل الله تعالى وذلك إعانة للمحتاجين وتطهيرا للمال^(١).

٩- دفع السيئة بالحسنة، لمحو أثرها لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ

وَزُلْفَاءَ مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ﴾^(٢).

١٠- للمؤمنين الطائعين الجنة التي فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

(١) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢٥/٣) التفسير المنير للزحيلي (١٦٧/١٣).

(٢) هود: ١١٤

١١- بيان دخول المؤمن الصالح الجنة مع أبائه وأزواجه وأبنائه إن صدقوا وصلحت أعمالهم.

١٢- تخصيص الصلاح في قوله تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣] دليل على أن مجرد الأنساب لا تنفع، إذا لم تقرن بالعمل الصالح.

١٣- دخول الملائكة من أبواب الجنة مهنتة المؤمنين، ومبشرة لهم بالسلامة، قائلين لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]

١٤- سلام الملائكة على المؤمنين دليل تكريم لهم وعلو مرتبة وشرف لهم.

١٥- تحريم نقض العهود، والمواثيق فإذا عقد الإنسان عهداً في طاعة الله، أو مع الناس، لم يجز نقضه.

١٦- تحريم قطع ما أمر الله تعالى به أن يوصل، من لإيمان به وبرسله، وقطع الرحم والقرابات، وعدم صلة المؤمنين وسائر أصحاب الحقوق.

١٧- الإفساد في الأرض، يكون بظلمهم أنفسهم وغيرهم، ويدعون إلى غير دين الله تعالى.

١٨- تحريم الإفساد في الأرض بالكفر وارتكاب المعاصي والظلم وإثارة الفتن، وإتلاف الأموال والحقوق واغتصابها والاعتداء عليها.

١٩- المفسدون في الأرض بارتكاب هذه المنكرات والفواحش لهم اللعنة، وسوء المنقلب، وهو جهنم.

٢٠- رزق الله تعالى للعباد قد يكون استدراجاً للكافر، و اختباراً، وابتلاء للمؤمن.

٢١- الله جلّ في علاه مصدر الرزق، يوسع فيه على من يشاء، ويقتره على من يشاء، بحكمته وعدله سبحانه.

٢٢- بيان أنّ الكفار، وأصحاب النزعات المادية يفرحون في الدنيا، ويجهلون ما عند الله تعالى من نعم وخيرات كثيرة.

٢٣- ليس متاع الدنيا في جانب الآخرة إلا قليل زائل.

٢٤- بيان موقف الكفار فيما هم عليه من مكر وكيد لرسالة النبي ﷺ، ودعوته، وللمؤمنين.

٢٥- إنذار من كان أمره كذلك فلا تجدي فيه دعوة ولا هداية، ومثل هؤلاء قد حقّ عليهم عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة الذي هو أشدّ تنكيلاً، في حين أن عاقبة المتقين ما وعدهم الله به من الجنات التي تجري تحتها الأنهار الدائمة.

٢٦- بيان أن هداية البشر بيد الله تعالى، ولو شاء لهدى الناس جميعاً من غير أن يشاهدوا الآيات، ويروا المعجزات.

٢٧- اقتراح الآيات على الرسل ﷺ جهل، وظلال.

٢٨- فيها تثبيت قلب النبي ﷺ وإنذار للكفار، الذين يقفون من النبي ﷺ موقف الاستهزاء والجحود بما كان من عقاب الله تعالى لأمثالهم^(١).

٢٩- بيان حال المؤمن الذي يتفكّر في آيات الله تعالى ويستشعر عظمته يكون خاشع دائماً وتهدياً نفسه ويهون عنده كل ما يكون فيه من مصاعب ومشاكل وتطمئن نفسه وقلبه.

٣٠- بيان مآل المؤمنين الذين يعملون الصالحات في الآخرة.

٣١- إرسال الرسل ﷺ قبل نبينا محمد ﷺ سنة الله في الكون، وقد يؤمن بهم بعض أقوامهم، وقد يكذبهم الأكثرون، ويكفرون بالرحمن.

٣٢- الله تعالى هو الإله بحق ولا معبود سواه، وهو واحد بذاته، وأفعاله عليه يتوكل العبد، وإليه المرجع والمآب.

٣٣- لو وجد كتاب سماوي يقوم بتحريك الجبال من أماكنها، وتفجير الأنهار والعيون، وتكليم الموتى، لكان هذا القرآن.

٣٤- بيان أن الكافرين في كل زمان تصيبهم داهية مهلكة من صاعقة، أو أسر أو جذب أو زلزال أو بركان، كما أصاب صناديد كفار قريش، وقد يصيب ممن هم حولهم فيتأثرون بالعذاب.

٣٥- تسلية النبي ﷺ عما فعله قومه معه من تكذيب وسخرية وإعراض.

٣٦- لا مماثلة إطلاقاً بين الله تعالى النافع والضار، وبين الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، فالله تعالى هو القادر على كل شيء.

٣٧- تنديد بالمشركين الذين يجعلون الله تعالى شركاء وأنداد.

(١) ينظر: التفسير الحديث (٥٢٧/٥) التفسير المنير للزحيلي (١٦٧/١٣).

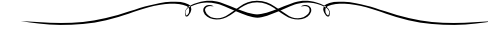
٣٨- أمر للنبي ﷺ بتحديثهم في تسمية هؤلاء الشركاء ووصفهم حتى تتبين حقيقتهم.

٣٩- بيان أن الأصنام لا حقيقة لها، وأن الشيطان زين لهم سوء اعتقادهم، وصددهم عن سبيل الله تعالى ودينه الحق.

٤٠- من يخذله الله تعالى ويعلم أنه لا يهتدي، فماله من هاد يقدر على هدايته وتوفيجه.

٤١- الله تعالى سريع الانتقام من الكافرين في الدنيا والآخرة.

٤٢- وصف لنعيم المؤمنين ومآلهم، ومآل الكافرين في الآخرة^(١).



(١) ينظر: التفسير الحديث (٥٤٥/٥) أيسر التفاسير للجزائري (٣١/٣).

المبحث الخامس

إثبات الوحي والرسالة والوحدانية وذم إنكار الكفار
وبيان قدرة الله المطلقة وتهديد منكري النبوة
ويشمل الآيات (٣٦-٤٣)

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التناسق الموضوعي لما قبلها.
- المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات.
- المطلب الثالث: الغرض الذي سيقت له الآيات.

* * * * *

المطلب الأول: التناسق الموضوعي لما قبلها

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدُ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أُتْبِعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً ۖ وَمَا كَانَ لِرُسُلِكِ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابِتَةٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ مَا نُزِينَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَتُوفِّقُكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۗ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ سَرِيعٌ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۖ وَسِعَعَهُ الْكُفْرُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾ [الرعد ٣٦-٤٣]

لما أتم الله تعالى ذكر صفات الذين آمنوا والذين كفروا وبين مآل كل منهم، ذكر الله ﷻ في هذه الآيات فرح مؤمني أهل الكتاب بتوافق القرآن مع المنزل إليهم من ربهم، وأن المنزل إليهم هو الحق الموجب لكل سعادة، وإنكار فئة أخرى لذلك، ثم أورد الله تعالى شبهات المشركين لإبطال نبوة النبي ﷺ، ثم بين أن إنزال العذاب محدد بأجل معين، وأن الله ينسخ ما شاء من الشرائع، ولو أريناك بعض الذي نعددهم من ثواب أو عقاب، وأن الله يفتح لك الأرض بعد الأرض، وأن الله أبطل مكرهم، وحين يكذبك الكفار ويقولون إنك لست مرسلا يا محمد^(١).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٥٥/١٠)، التفسير المنير (١٨٦-١٨١/١٣) بتصرف.

المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات

✽ المسألة الأولى: الدراسة التناسقية في الآية السادسة والثلاثين

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ۗ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدٌ﴾ [الرعد: ٣٦]

أولاً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

أن الذين أرسل إليهم القرآن انقسموا في التصديق بالقرآن فرقا ففريق آمنوا بالله وهم المؤمنون، وفريق كفروا به وهم مصداق قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ۗ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٠] كما تقدم أنه عائد إلى المشركين^(١).

بين الله تعالى في هذه الآية إن اليهود انقسموا في تقبله وعدم تقبله إلى فريقين فريقاً آمنوا وفريقاً كفروا به^(٢) ومؤمنو أهل الكتاب، يعجبون بذكر الرحمن و ينكرون ذكره، ويقولون: ما نعرف الرحمن في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾^(٣) في هذه الآية يتعجب أهل الكتاب من ذكر الرحمن وينكرون ذكر بعضه لأنه يخالف أهوائهم^(٤).

ثم لما بين ما يحدث من الفرح حين نزول القرآن للبعض و الإنكار للبعض صرح بما عليه رسول الله ﷺ، وأمره أن يقول لهم ذلك، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ﴾

(١) يراجع: التحرير والتنوير (١٥٦/١٣-١٥٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٦٧/٤) بتصرف.

(٣) تفسير السمرقندي (٢٣٠/٢) بتصرف.

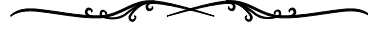
(٤) يراجع: أيسر التفاسير للجزائري (٣٣/٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (٤٩٢/٧).

أمر الله تعالى في هذه الآية نبيه محمداً ﷺ بعبادته وحده دون سواه^(١).

ويقول البيضاوي ٥: في قوله تعالى "﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾" جواب للمنكرين أي قل لهم إني أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله وأوحده، وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم إلى إنكاره"^(٢).

ثانياً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

خُتِمَت الآية بقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابٍ﴾ أي: بما يأتي به من العبادات فيجب عليه الدعوة إلى عبودية الله تعالى فيجازي على الدعوة إلى دينه، وهو إشارة إلى الحشر والنشر والبعث والقيامة^(٣).



- (١) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير (٢٨٥/٢) التفسير الميسر (٢٥٤/١).
 (٢) تفسير البيضاوي (١٨٩/٣).
 (٣) تفسير السعدي (٤١٩/١) اللباب في علوم الكتاب (٣١٧/١١) بتصرف.

المسألة الثانية: الدراسة التناسقية في الآية السابعة والثلاثين

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا

لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

ثم ذكر الله تعالى بعض فضائل القرآن، وأوعد على الإعراض عن اتباعه مع التعرض لرد ما أنكروه من اشتماله على نسخ بعض شرائعهم فقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

ويستمر السياق في هذه الآية في تدعيم الرسالة المحمدية في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ هذه الآية استهدفت أيضاً بالإضافة إلى تدعيم رسالة النبي ﷺ ثبته في موقفه وأنها هي الأخرى متصلة بالسياق والموقف الجدلي: فكما أنزل الله تعالى الكتب على الأنبياء السابقين ﷺ أنزل عليه القرآن. وقد جعله عربياً حتى يتبين السامعون فحوى الدعوة وحكمة الله تعالى وأحكامه. والكاف للتشبيه، واسم الإشارة يعود إلى الإنزال المأخوذ من أنزلناه وضمير الغائب في أنزلناه يعود إلى ما أنزل إليك في قوله في الآية السابقة: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٦]^(٢).

ثم ساق الله تعالى في الآية تحذيراً للأمة كلها في شخص نبيها ﷺ من اتباع أهواء كل كافر أو فاسق فقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾^(٣).

(١) يراجع: فتح القدير للشوكاني (١٠٤/٣).

(٢) انظر: التفسير الحديث (٥٤٩/٥).

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (٤٩٣/٧) بتصرف.

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

جاء في ختام الآية قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولاك فيحصل لك الأمر المحبوب، ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ يقيك من الأمر المكروه^(١).

وكما أنزلنا عليك الكتاب، يا محمد، بلسان عربي مبين والذي يشتمل على جميع أصول الديانات ولئن اتبعت أهواءهم التي يدعونك إليها، فليس لك من الله من ولي ولا واق يمنعك مما يكره^(٢).



(١) تفسير السعدي (٤١٩/١).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٤٧٥/١٦) تفسير البيضاوي (١٩٠/٣).

المسألة الثالثة: الدراسة التناسقية في الآية الثامنة والثلاثين

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِحَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

يقول الله تعالى: وكما أرسلناك، يا محمد، في قومك رسولا بشريا كذلك بعثنا المرسلين قبلك بشرا. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

جاء السياق قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ ليقرر أن هؤلاء الرسل كانوا بشرا، وكان لهم ما للبشر، من أزواج وذرية فلست أنت أيها النبي بدعا من الرسل حتى ينكر منك المشركون ما أنكروا! وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِحَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ هو ردّ على ما كان يقترحه المشركون على النبي ﷺ ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِحَايَةٍ﴾ مما اقترح عليه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ومشيبته على الحكم والمصالح التي عليها يكون أمر الكائنات وخاصة في هذه الأمور العظام^(٢).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

جاء في الختام "تحقيق مضمون الآية بالإيماء إلى العلة في قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ أي لكل مدةٍ ووقت من الممدد والأوقات ﴿كِتَابٌ﴾ حكم معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه الحكمة فإن الشرائع كلها لإصلاح أحوالهم في المبدأ والمعاد ومن قضية ذلك أنه يختلف حسب اختلاف أحوالهم المتغيرة حسب تغير الأوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف أحوال المرضى بحسب الأوقات"^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٦٨) بتصرف.

(٢) تفسير أبي السعود (٥/٢٦-٢٧) التفسير القرآني للقرآن (٧/١٤١) بتصرف.

(٣) تفسير أبي السعود (٥/٢٦-٢٧).

المسألة الرابعة: الدراسة التناسقية في الآية التاسعة والثلاثين

قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم، والشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات، أي: يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ﴾ "فما انقضت حكمته يمحوه، وما هو نافع يثبته. وعنده أصل الكتاب، المتضمن لكل ما يثبته وما يمحوه"^(٢).

ويقول ابن عاشور: "أنه يعدم ما يشاء من الموجودات ويبقي ما يشاء منها، ويعفو عما يشاء من الوعيد ويقرر، وينسخ ما يشاء من التكاليف ويبقي ما يشاء"^(٣).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

خُتِمَت الآية بقوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ "أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ، لأن كل كائن مكتوب فيه. وقرئ: ويثبت"^(٤).



(١) تفسير الزمخشري (٥٣٤/٢) بتصرف.

(٢) في ظلال القرآن (٢٠٦٥/٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٦٥/١٣).

(٤) تفسير الزمخشري (٥٣٤/٢)، تفسير البيضاوي (١٩٠/٣).

المسألة الخامسة: الدراسة التناسقية في الآية الأربعين

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مَا نُزِينَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا

الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

لما ختم الآية السابقة بأنه ﷺ يفعل ما يشاء من تقديم وتأخير ومحو وإثبات، وكانوا يقترحون ويطلبون استعجال السيئة مما توعدوا به، استهزاء منهم وسخرية وكان ﷺ يتمنى وقوع بعض ما توعدوا به ليكون زاجراً، قال ﷺ: ﴿وَإِنْ مَا نُزِينَاكَ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

بيّنت هذه الآية أن النبي ﷺ ليس مأمور بذلك وإنما هو مبلغ عن الله لعباده وجعل التوفي في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ﴾ كناية عن عدم رؤية حلول الوعيد بقريظة مقابلة: ﴿وَإِنْ مَا نُزِينَاكَ﴾.

وَالْمَعْنَى: ما عليك إلا البلاغ سواء رأيت العذاب أو لم تراه. وفي الإتيان بكلمة بعض إيحاء إلى أنه يرى البعض، وأن هذا الوعيد نازل بهم ولو تأخر وتأكيد الشرط بنون التوكيد وما المزيدة بعد إن الشرطية تأكيد الرابط بين الشرط وجوابه هو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ على أن نون التوكيد لا يقترن بها فعل الشرط إلا إذا زيدت ما بعد إن الشرطية فتكون إرادة التوكيد مقتضية لاجتلاب مؤكدين، لغرض تأكيد قوي^(٢).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

خُتِمَت الآية بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ " فالواجب عليك التبليغ أحكام الله تعالى وأداء أمانته ﷺ ورسالته، وعلينا الحساب، والبلاغ: اسم أقيم مقام التبليغ كالسراج والأداء"^(٣).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٦٣/١٠) تفسير المراغي (١١٦/١٣) بتصرف.

(٢) يراجع: التحرير والتنوير (١٦٩/١٣).

(٣) تفسير الرازي (٥٢/١٩).

المسألة السادسة: الدراسة التناسقية في الآية الحادية والأربعين

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۗ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۗ﴾ [الرعد: ٤١]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

لما وعد رسول الله ﷺ أنه تعالى يريه بعض ما وعده أو يتوفاه قبل ذلك، بين في هذه الآية أن آثار وقوع تلك المواعيد وعلاماتها قد ظهرت في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۗ﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا ۗ﴾ استفهام إنكاري والواو للعطف على مقدرٍ يقتضيه المقام أي أنكروا نزول ما وعدناهم ألم ينظروا في ذلك ولم يروا^(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا ۗ﴾ أهل مكة أنا نفتح لنبينا محمد ﷺ أرض الكفرة الأرض بعد الأرض^(٣).

"والمراد بنقص الأرض، ما يطرأ عليها من تغيير وتبديل، وما يصيب الناس في أرزاقهم وأعمارهم وإذا كان الذي يحدث في الأرض من نقص يحدث إزاءه ما يقابله من زيادة"^(٤).

أي: ننقص الأرض من أطرافها بالفتوح الإسلامية وبإهلاك المكذبين وإحلال القوارع بهم^(٥).

ويقول الرازي: "ثم قال تعالى مؤكداً لهذا المعنى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ

(١) تفسير الرازي (٥٣/١٩) الباب في علوم الكتاب (٣٢٢/١١) بتصرف.

(٢) يراجع: تفسير أبي السعود (٢٧/٥-٢٨).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٧٢/٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢١٠/١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣٩/٣).

(٤) التفسير القرآني للقرآن (١٤٣/٧).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٤٩٣/١٦) فتح القدير للشوكاني (١٠٨/٣) تفسير السعدي (٤٢٠/١).

لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿مَعْنَاهُ: لَا رَادَ لِحُكْمِهِ، وَالْمَعْقَبُ هُوَ الَّذِي يَعْقِبُهُ بِالرَّدِّ وَالْإِبْطَالِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَعْقَبٌ لِأَنَّهُ يَعْقِبُ غَرِيمَهُ بِالِاقْتِضَاءِ وَالطَّلَبِ" (١).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

ناسق ختام الآية ما بدأت به حين بيّن الله ﷻ أن جزاءه محيط بكل عمل لا يتصور أن يفوته شيء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته على السرعة (٢).



(١) تفسير الرازي (٥٣/١٩).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٦٥/١٠)، فتح القدير للشوكاني (١٠٨/٣) بتصرف.

المسألة السابعة: الدراسة التناسقية في الآية الثانية والأربعين

قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلْمُهُ الْكُفْرَ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى في الآية السابقة نقص أرض هؤلاء من أطرافها من مكر الله بهم جزاء مكرهم، فلذلك أعقب بهذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

والمكر: صرف الغير عما يريده بحيلة، أو إيصال المكروه للممكور به خفية، والمراد بمكر الله تعالى هنا: علمه ﷻ بما يخفونه ويبيتونه من سوء لرسلمهم، وإحباطه لمكرهم، وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ بمنزلة التعليل لقوله: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾.

أي: لا يستطيع أحد أن يمكر مكرًا إلا بإذن الله تعالى، وتحت قضائه وقدره^(٢).

ثانياً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

ثم أعقب ذلك في ختام الآية بتهديد ووعد للكافرين بقوله: ﴿وَسِعَعِلْمُهُ الْكُفْرَ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ﴾ أي: إنَّه تعالى عالم بجميع ما يسر المرء ويضمر، وسيجزى كلَّ عاملٍ بعمله وسيعلم الكفار عند ما ينزل بهم العذاب لمن تكون العاقبة المحمودة بعد هذه الدنيا أهي لهم أم لأتباع الرسل. ففي الآية تحذير للكافرين من الاستمرار على كفرهم وعنادهم وبشارة للمؤمنين بأن العاقبة الحسنة لهم في الآخرة^(٣).

(١) التحرير والتنوير (١٧٣/١٣) بتصرف.

(٢) تفسير السعدي (٤٢٠/١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٤٩٨/٧) بتصرف.

(٣) تفسير ابن كثير (٤٧٣/٤) التفسير الميسر (٢٥٤/١) بتصرف.

المسألة الثامنة: الدراسة التناسقية في الآية الثالثة والأربعين

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۗ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣]

أولاً: بيان مناسبتها لما قبلها:

ولما تقدم في آية سابقة قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ [الرعد: ٢٧] عطف عليه بعد شرح ما استتبعه قوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١).

ثانياً: بيان التناسق بين المفردات والجمل:

ولما كانت مقالتهم صريحة أمر الرسول ﷺ بجواب لا جدال فيه وهو تحكيم الله تعالى بينهم.

وقد أمر الرسول O بأن يجيبهم جواب الواثق بصدقه المستشهد على ذلك بشهادة الصدق من إشهاد الله تعالى وإشهاد العالمين بالكتب والشرائع.

ولما كانت الشهادة للرسول O بالصدق شهادة على الذين كفروا بأنهم

كاذبون جعلت الشهادة بينه وبينهم في قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي

وَبَيْنَكُمْ﴾ والباء الداخلة على اسم الجلالة الذي هو فاعل كفى في المعنى

للتأكيد وهذا ما يظهر روعة النسق في الآية^(٢).

ثالثاً: بيان التناسق بين خاتمة الآية وموضوعها:

جاء في ختام الآية قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ وهذا شامل لكل

علماء أهل الكتابين، فإنهم يشهدون للرسول من أمن واتباع الحق، صرح بتلك

الشهادة التي عليه، ومن كتم ذلك فأخبار الله عنه أن عنده شهادة أبلغ من خبره،

ولو لم يكن عنده شهادة لرد استشهاده بالبرهان، فسكوته يدل على أن عنده

شهادة مكتومة^(٣).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٦٧/١٠) بتصرف يسير.

(٢) براجع: التحرير والتنوير (١٧٥/١٣-١٧٦).

(٣) تفسير السعدي (٤٢٠/١).

المطلب الثالث: الغرض الذي سيقت له الآيات

إن الغرض العام الذي سيقت له الآيات هو إثبات الوحي والرسالة والوحدانية وتهديد منكري النبوة ويظهر ذلك من خلال.

١- بيان أن بعض اليهود والنصارى يفرح بالقرآن الكريم، لتصديقه كتبهم، ويفرح بذكر الرحمن لكثرة ذكره في التوراة.

٢- بيان أن من الأحزاب يعني مشركي مكّة، من ينكر بعض ما في القرآن الكريم.

٣- دعوة النبي ﷺ الناس مقصورة على الدعوة إلى عبادة الله وحده.

٤- بيان أنه ﷺ كما أنزل الكتب على الرّسل ﷻ بلغاتهم، كذلك أنزل القرآن الكريم إلى النبي ﷺ عربيًا.

٥- القرآن الكريم هو الذي يفصل بين الحقّ والباطل ويحكم.

٦- من اتّبع أهواء المشركين في عبادة ما دون الله تعالى، فليس له ناصر ينصره، ولا واق يمنع من عذابه.

٧- الأنبياء ﷻ كلهم بشر، يقضون ما أحله الله تعالى من شهوات الدنّيا، ولهم زوجات وأولاد، وإنما التّخصيص بالوحي.

٨- التّرجيب في التّكاح والنهي عن التبتل.

٩- ليس للرّسول ﷺ إرادة أن يأتي بمعجزة وإنّما ذلك بإذن الله تعالى ومشيّته.

١٠- لكلّ أمر قضاه الله كتابٌ عند الله تعالى.

١١- إنّ مهمّة الرّسول ﷺ مقصورة على إبلاغ الرّسالة للأمة، وليس عليه هداهم وصلاحهم.

١٢- الله تعالى هو الذي يحقّق الأحداث، فينجز الوعد والوعيد، وينزل العقاب الشّدّيد لمن أعرض متى شاء سبحانه.

١٣- الله تعالى هو الذي بحساب العباد على ما قدّموا من خير أو شرّ.

١٤- إن امتداد رقعة الإسلام وانحسار الكفر وتضييق رقعة بلاد الكافرين بيد الله تعالى وحده.

١٥- بيان إن الأرض ليست تامّة الكروية، وإنما هي مفلطحة بيضاوية ناقصة الأطراف والتّكوير.

١٦- بيان أن لا رادّ لقضاء الله تعالى ولا معقّب لحكمه.

١٧- بيان أن الله تعالى سريع الحساب للكافرين، وحسن الثواب للمؤمنين.

١٨- بيان أن كل مخطط للأعداء ضد الدين فاشل أمام تدبير الله تعالى.^(١)



(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (١١٨/٧) التفسير الوسيط للزحيلي (١١٧٠/٢ - ١١٧٥).

الفصل الثالث

التفسير التحليلي لسورة الرعد
في ضوء تناسقها الموضوعي

* * * * *

تفسير الآية الأولى في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١]

مناسبة الآية:

"هذه السورة تفصيل لمجمل قوله سبحانه في خاتمة سورة يوسف
عليه السلام" (١) لما ختمت بالآية الكريمة: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ
حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

ويقول عبد الكريم يونس الخطيب: "والآية تنفي عن القرآن الكريم أن
يكون قد شابه شيء من الكذب أو الشك، إذ كان مصدقاً لما تقدمه من الكتب
السمائية، شاهداً لها بأنها من عند الله" (٣).

فقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾، مع قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ

وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ [الرعد: ١] فإنه كالدليل على كونه غير مفترى (٤).

الحروف المقطعة في أول السورة الكريمة وأقوال العلماء فيها:

بدأت السورة بالحروف المقطعة وقد اختلف المفسرون في الحروف
المقطعة التي في أوائل السور، فمنهم من قال: هي مما استأثر الله تعالى بعلمه؛
وممن روي عنه هذا القول: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود M،
والشعبي، وسفيان الثوري، واختاره أبو حاتم بن حبان.

وقيل: هي أسماء للسور التي افتتحت بها.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٦٢/١٠)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٥/٣)،
البرهان في تناسب سور القرآن (٢٣١/١).

(٢) يوسف: ١١١

(٣) التفسير القرآني للقرآن (٦٤/٧).

(٤) يراجع: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٥/٣) تفسير السمعاني (٧٥/٣).

وقيل: هي من أسماء الله تعالى. وممن قال بهذا: روي معناه عن ابن عباس I، وعنه أيضاً: أنها أقسام أقسم الله تعالى بها، وهي من أسمائه^(١).
ومع كل هذا التساهل معهم في التحدي، فقد عجزوا ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثله وانقلبوا خاسرين، قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣) فنثبت بذلك أن هذا القرآن من عند الله تعالى^(٤).

ونخلص مما سبق:

إلى إن أقرب الأقوال إلى الصواب: أن الحروف المقطعة التي ذكرت في أوائل السور فيها بيان للتحدي والإعجاز القرآني، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٥) مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها.

تفسير الآية:

أي: يا محمد تلك الآيات هي آيات الكتاب التي أنزلت قبل هذا الكتاب، ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ أعني: بذلك: التوراة والإنجيل^(٦).

ويقول ابن كثير ٥: "ثم عطف على ذلك عطف صفات قوله: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ أي: يا محمد، ﴿مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ خبر تقدم مبتدؤه، وهو قوله: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ

(١) تفسير ابن كثير (١/١٥٦)، فتح القدير للشوكاني (١/٣٤)، تفسير ابن عطية (١/٨٢): بتصرف يسير.

(٢) الطور: ٣٤

(٣) يونس: ٣٨

(٤) تراجع: تفسير القرطبي (١/١٥٥)، التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/٤٣٨).

(٥) هود: ١٣

(٦) تراجع: تفسير الطبري (١٦/٣٢٠) الهداية الى بلوغ النهاية (٥/٣٦٦٠).

إِيَّاكَ ﴿١﴾".

ويقول القرطبي ٥: "يعني وهذا القرآن الذي أنزل إليك من ربك حق لا كما يقول المشركون: إنك تأتي به من تلقاء نفسك، فاعتصم به، واعمل بما فيه" (٢).

وهذا الكتاب الذي أعطاه محمداً بأن ينزله عليه ويجعله باقياً على وجه الدهر فهو الحق والصدق، لأنه أنزله على نبيه محمد ﷺ (٣).

وقال قتادة ٥: في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ قال: التوراة والإنجيل والزبور. وقال مجاهد ٥: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ قال: التوراة والإنجيل.

وقال الطبري ٥ (٤): "في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: تلك التي قصصت عليك خبرها، آيات الكتاب الذي أنزلته قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك إلى من أنزلته إليه من رسلي قبلك. وقيل: عنى بذلك: التوراة والإنجيل وهذا هو القول الراجح" (٥).

ويقول المارودي (٦) ٥ في معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

(١) يراجع: تفسير ابن كثير (٤/٤٢٨).

(٢) تفسير القرطبي (٩/٢٧٨).

(٣) تفسير الرازي (١٨/٥٢٤)، تفسير القشيري (٢/٢١٥) بتصريف يسير.

(٤) هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في أمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. له (أخبار الرسل والملوك الأعلام) و (جامع البيان في تفسير القرآن) و (اختلاف الفقهاء) و (المسترشد) في علوم الدين، و (جزء في الاعتقاد) و (القراءات). وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه، فصيحا توفي ٥ سنة (٣١٠هـ-٩٢٣م). انظر: طبقات المفسرين للسيوطي (١/٩٥) الأعلام للزركلي (٦/٦٩).

(٥) تفسير الطبري (١٦/٣٢١-٣٢٢).

(٦) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي. مفكر إسلامي. من وجوه فقهاء الشافعية وإمام في الفقه والأصول والتفسير، وبصير بالعربية. كان من رجال السياسة البارزين في الدولة العباسية وخصوصاً في مرحلتها المتأخرة. نشأ الماوردي بالبصرة، وتعلم وسمع الحديث من جماعة من العلماء، ومن أشهر كتبه في مجال السياسة قوانين الوزارة وسياسة الملك؛ نصيحة الملوك؛ تسهيل النظر وتعجيل الظفر؛ الأحكام السلطانية الذي يُعد من أشهر كتب الماوردي وأعظمها أثراً. توفي ٥ سنة: (٤٥٠هـ-١٠٥٨م). انظر: طبقات المفسرين للسيوطي (١/٨٣).

الْحَقُّ ﴿يعني بالقرآن أنه منزل بالحق﴾^(١).

وقال مكي بن أبي طالب^(٢) في قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ "أي: لا يؤمنون بعد وضوح الحق بهذه الآيات"^(٣).

نخلص مما سبق:

أن بداية السورة بهذه الحروف المقطعة دليل أنه معجز مع أنه مكون من الحروف التي تتكون منها كلمات العرب، والتي كانت تجذب المشركين، لسماع القرآن. مع أنهم قد تواصلوا فيما بينهم ألا يسمعوا هذا القرآن، فكان المؤمنون إذا ابتدأوا بهذه الحروف الصوتية استرعى ذلك أسماع المشركين فيسمعون. و تلك الآيات العظيمة هي هذا القرآن، العظيم الشأن الذي أنزله عليك - أيها النبي - بالحق والصدق من الله تعالى، ولكن أكثر المشركين كفروا بما جاء به من الحق عناداً منهم وإعراضاً.

ما ترشد إليه الآية:

دلت الآية على أن آيات القرآن بالغة حد الكمال في الإعجاز والبيان، وأن القرآن الكريم حق منزل من عند الله تعالى لا شك فيه ولا ريب، باق على وجه الدهر، ولكن مع الأسف حجب العناد والكفر كثيرا من الناس عن الإيمان بما جاء فيه من حكم بالغة، وأحكام رصينة، وتشريعات محكمة. وهذا ليس إقراراً لهم، وإنما هو على سبيل الزجر والتهديد.

(١) تفسير الماوردي (٩١/٣).

(٢) هو: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَوْش بن محمد بن مختار القيسي نسبة إلى قيس عيلان، إمام وعلامة محقق أستاذ القراء والمجودين. ولد بالقيروان. فسمع بمكة من أحمد بن فراس وأبي القاسم عبد الله السقطي وبالقيروان من أبي محمد بن أبي زيد، وأبي الحسن القادمي وقرأ القراءات بمصر على أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون، ومن تأليفه: التبصرة والكشف عليها، وتفسيره الجليل، ومشكل إعراب القرآن والرعاية في التجويد والموجز في القراءات توفي سنة: (٤٣٧هـ-١٠٤٥م). انظر: الأعلام للزركلي (٢٨٦/٧).

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية (٣٦٦٠/٥).

تفسير الآية الثانية في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

مناسبة الآية:

"اعلم أن الله تعالى لما ذكر في الآية السابقة أن أكثر الناس لا يؤمنون ذكر في هذه الآية"^(١) ما يدل على صحة التوحيد والمعاد وهو هذه الآية^(٢) قال الزجاج: "لما ذكر أنهم لا يؤمنون، وعرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق فقال ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]"^(٣). فنتأمل التناسق بين مطلعها وختامها في أن الدلائل التي ذكرت في هذه الآية كما تدل على وجود الله تعالى فهي تدل على صحة القول بالحق. وفي هذه الآية استدلل الله تعالى بخلق السموات وخلق الشمس والقمر وخلق الأرض وخلق النباتات.

تفسير الآية:

أما الاستدلال بخلق السموات قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ فالمعنى: أن هذه المخلوقات العظيمة رفعت بدون عمد^(٤) نراها فهذا برهان واضح على وجود الإله القادر، في رفع السموات بإذنه وأمره بلا دعامة تمسكها، وتسخيرها رفعها عن الأرض بعدا لا ثقال ولا يدرك مداها^(٥).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٦٢/١٠).

(٢) تفسير الرازي (٥٢٥/١٨) بتصرف.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٣٦/٣).

(٤) عمد: هي جمع عماد. انظر: تهذيب اللغة (١٤٩/٢)، العين (٥٧/٢).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٤٢٨/٤)، زاد المسير (٤٨٠/٢).

ويقول الرازي ٥: "رفع السماء بغير عمد ترونها أي لها عمد في الحقيقة، إلا أن تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيره وإبقاؤه إياها في الجوّ العالي، وأنهم لا يرون ذلك التدبير ولا يعرفون كيفية ذلك الإمساك"^(١) ويقول جمال الدين ابن الجوزي: "ترونها أي ما تشاهدون من هذا الأمر العظيم، يغنيكم عن إقامة الدلائل عليه"^(٢).

وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٣) أي استوى على عرشه من فوق سبع سماوات، استواء يليق بذاته كما ورد في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص السلفية^(٤).

وأما الاستدلال بأحوال الشمس والقمر: فهو قوله ﷺ: ﴿وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾^(٥).

والمعنى أي: ذللها وجعلها طائعين لمنافع خلقه ومصالح عباده، وكل مخلوق مذل للخالق.

﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى أن يحين الأجل الذي حدده الله تعالى لهما، وهو فناء الدنيا، وقيام الساعة التي عندها تكور الشمس، ويخسف القمر، وتتكرر النجوم، وتنتثر الكواكب. وقال ابن عباس I: أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلها التي ينتهيان إليها لا يجاوزها^(٦).

ثم إنه تعالى لما ذكر هذه الدلائل قال: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ يَفْصِلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.

أي: "يقضي الله تعالى الذي رفع السموات بغير عمد ترونها أمور الدنيا والآخرة كلها، وهو تعالى يدبر أمر الخلق والكون، ويسير ما فيه وفق نظام الآيات

(١) تفسير الرازي (٥٢٦/١٨).

(٢) زاد المسير (٤٨٠/٢).

(٣) الرعد: ٢.

(٤) لوامع الأنوار البهية (١ / ١٩٠).

(٥) تفسير الرازي (٥٢٦/١٨).

(٦) تفسير القرطبي (٢٧٩/٩) بتصرف.

بغير شريك ولا ظهير ولا معين سُبْحَانَهُ"^(١).

وقال الزمخشري ٥: "يدبر أمر ملكوته وربوبيته"^(٢). "بالإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والإغناء والإفقار"^(٣).

ثم قال تعالى: ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ إشارة إلى أنه يحدث بعضها عقب بعض على سبيل التمييز والتفصيل. أي: يبين في كتبه المنزلة الآيات الدالة على وحدته وقدرته على أنه لا معبود بحق سواه و من قدر على هذه الأشياء يقدر على الإعادة، ولهذا قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾^(٤).

واعلم أن الدلائل المذكورة كما تدل على وجود الخالق الحكيم فهي أيضا تدل على صحّة القول بالحشر والنشر.

وما في هذه الآية من تناسق بين بدايتها ونهايتها، حيث إنه تعالى كما قدر على إبقاء الأجرام الفلكية والنيرات الكوكبية في الجو العالي وإن كان الخلق عاجزين عنه، ويدبر من فوق العرش إلى ما تحت الثرى بحيث لا يشغله شأن عن شأن فكذلك يحاسب الخلق بحيث لا يشغله شأن عن شأن^(٥).

ونخلص مما سبق:

أن الله تعالى ذكر في هذه الآية أن من أنزل القرآن هو جل في علاه من رفع السموات بغير عمد وسخر كل ما فيها من شمس وقمر ونجوم وسائر الكواكب حتى توقنوا بوحدانية الله ﷻ.

ما ترشد إليه الآية:

من لطف الله بعباده ورحمته بهم وإرشاده لهم أنه أوضح لهم الأدلة، ولفت نظرهم إلى ما يدل على وجوده وكمال قدرته، وعلمه، وإرادته.

(١) تفسير الطبري (٣٢٦/١٦).

(٢) تفسير الزمخشري (٥١٢/٢).

(٣) تفسير البيضاوي (١٨٠/٣) بتصرف يسير.

(٤) يراجع: الرازي (٥٢٧/١٨) تفسير القاسمي (٢٥٥/٦).

(٥) انظر: تفسير الرازي (٥٢٧/١٨).

تفسير الآية الثالثة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣]

بيّن الله تعالى في هذه الآية مظاهر قدرته ﷻ في الأرض.

مناسبة الآية:

لما بين الله تعالى آيات السماوات ناسب ﷻ آيات الأرض في قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾^(١).

تفسير الآية:

أي: جعلها مُتسعةً وممتدة طويلاً وعرضاً^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ

الْأَرْضَ﴾ ومعنى رواسي أي: جبالاً عظيماً، راسية و ثابتة مستقرة، فلا تثبت الأرض ولا تستقر إلا بالجبال الرواسي، التي جعلها الله أوتادا لها كما ترسو السفن على المرافئ الآمنة لنلا تميد بالخلق، فإنه لولا الجبال لمادت بأهلها^(٣). قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾^(٥).

"والاستدلال بخلق الجبال على عظيم القدرة لما في خلقها من العظمة

(١) تفسير القرطبي (٢٨٠/٩) بتصرف يسير.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٣١/٤).

(٣) تراجع: تفسير البيضاوي (١٨١/٣)، تفسير السعدي (٤١٢/١)، التفسير القرآني للقرآن (٦٧/٧).

(٤) النحل: ١٥

(٥) النبأ: ٦_٧

المشاهدة بخلاف خلقة المعادن والتراب وغيرها في الأرض فهي خفية" (١) كما قال تعالى: ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (٢) خلق الله ﷻ في الأرض الجبال الثوابت المستقرة وجعلها أوتادا لها (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْهَرًا﴾ أي: جعل فيها ﷻ أنهارًا وهي معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِي﴾ ومعناها: وأنهارا تجرى فيها المياه العذبة تسقي الادميين وبهائمهم وحرثهم، فأخرج بمائها من الأشجار والزرع والثمار خيرا كثيرا ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ (٤). معطوفة على أنهارا فهو معمول لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِي﴾ والمراد بالثمرات هي أشجارها وإنما ذكرت الثمرات لأنها موقع منة مع العبرة كقوله ﷻ: ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (٥) ويعضده نظيره في قوله تعالى: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ﴾ (٦) فيها أنواع مختلفة من الثمرات (٧).

"والمعروف أن الزوجين هما الذكر والأنثى قال تعالى: ﴿جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (٨) حين تكونها" (٩)، كذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا

(١) التحرير والتنوير (٨٢/١٣-٨٣).

(٢) الغاشية: ١٩

(٣) التحرير والتنوير (٨٢/١٣)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢٠٥/١) بتصرف.

(٤) تفسير السعدي (٤١٣/١) بتصرف.

(٥) الأعراف: ٥٧

(٦) النحل: ١١

(٧) فتح القدير للشوكاني (٧٨/٣) بتصرف.

(٨) القيامة: ٣٩

(٩) التحرير والتنوير (٨٣/١٣).

سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿١﴾ .

﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ قال الشوكاني ٥: "أي جعل كل نوع من أنواع ثمرات الدنيا صنفين، إما في اللونية كالبياض والسواد ونحوهما، أو في الطعمية كالحلو والحامض ونحوهما، أو في القدر كالصغر والكبر، أو في الكيفية كالحر والبرد" (٢)، وقيل: إن قوله "اثنين" تأكيد لقوله: زوجين كما تقدم

في قوله تعالى: ﴿ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ (٣) وزيادة بيان وتوضيح معاني الآية (٤).

والذي أراه -والله أعلم- وهو رأي كثير من العلماء، أن المقصود بقوله تعالى: ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: صنفين اثنين.

وبين الله ﷻ أنه من كمال نعمة الله تعالى على الإنسان تعاقب الليل والنهار.

وقال ابن كثير ٥: "جعل كلاً منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً، فإذا ذهب هذا غشيه هذا، وإذا انقضى هذا جاء الآخر، فيتصرف أيضاً في الزمان كما تصرف في المكان والسكان" (٥).

وقال محمد سيد طنطاوي ٥: "من مظاهر قدرته سبحانه أنه يجعل الليل غاشياً للنهار مغطياً له، فيذهب بنوره وضيائه. فيصير الكون مظلماً بعد أن كان مضيئاً. ويجعل النهار غاشياً لليل، فيصير الكون مضيئاً بعد أن كان مظلماً، وفي ذلك من منافع الناس ما فيه، إذ بذلك يجمع الناس بين العمل والراحة، وبين السعي والسكون" (٦).

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

(١) طه: ٥٣

(٢) فتح القدير للشوكاني (٧٨/٣).

(٣) الأنعام: ١٤٣

(٤) تفسير الزمخشري (١٨٤/٣) بتصرف.

(٥) تفسير ابن كثير (٤٣١/٤).

(٦) التفسير الوسيط لطنطاوي (٤٤٢/٧).

بَصِيرٌ ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنۡ ءَاتَىٰهُم مِّنۡ فَضْلِنَا ۚ إِنَّهُۥ كَذِبٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّمَنۡ تَبَتَّغُوا فَضْلًا مِّنۡ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿٣﴾ ومنه قوله تعالى: ﴿يُعْثَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْبُهُۥ ۚ حَيْثُا ﴿٤﴾ وقوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٥﴾﴾.

وجاء ختام الآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦﴾﴾ [الرعد: ٣].
بأن في هذا الكون وعجائبه لعلامات بينة تثبت قدرة الله جل في علاه ووحدانيته للذين يتفكرون. ﴿٧﴾

ونخلص مما سبق: في ذكر الله ﷻ قدرته وحكمته وأحكامه في الأرض، فهو الذي مد الأرض وجعلها ﷻ سهلة منبسطة ليسهل السير والعمل عليها وثبتها وأرساها بالجبال وأجرى فيها الأنهار والعيون وجعل فيها الثمرات من كل زوجين اثنين من أجل العظة والعبرة لمن أراد أن يتذكر ويعتبر.

الفوائد والأحكام: إن في مخلوقات الله، وعجائب خلقه لدلائل وبراهين لمن يتفكر فيها، ويتأمل في عظمتها، فيستدل بها على وجود الله تعالى، وقدرته، وكمال علمه وإرادته.

(١) الحج: ٦١

(٢) الإسراء: ١٢

(٣) الأعراف: ٥٤

(٤) يس: ٤٠

(٥) تفسير السعدي (٤١٣/١)، التحرير والتنوير (٨٤/١٣)، تيسير التفسير للقطان (٢٧١/٢) بتصرف.

تفسير الآية الرابعة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّزَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقِضَلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ^٤ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

مناسبة الآية:

ولما ذكر الله تعالى كمال قدرته في الآيات السابقة شرع تعالى في تفصيل شيء مما في الأرض من الآيات في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّزَةٌ﴾^(١).

تفسير الآية:

أي: في الأرض بقاع كثيرة مختلفة في الأوصاف فمن طيبة منبثة ومن سبخة لا تنبت ومن رخوة ومن صلبة ومن صالحة للزرع لا للشجر ومن صالحة للشجر لا للزرع إلى غير ذلك متجاورات أي قرى متدانيات، ترابها واحد، ومأؤها واحد ففيها أنواع الأشجار والمقصود الأخبار بتفاوت أجزاء الأرض المتلاصقة على الوجه الذي علمت وهذا هو المأثور عن الأكثرين، وقيل: "أن المعنى وفي الأرض قرى قريب بعضها من بعض، وفسرت بالأهواز^(٢) وفارس^(٣) والكوفة^(٤)، والبصرة^(١) كذلك^(٢).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٧٨/١٠) بتصرف.

(٢) هي: جمع هوز، وهي مدينة نزهة جدا في خوزستان وأصلها حوز، فلما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيرتها حتى أذهبت أصلها وعلى هذا يكون الأهواز اسما عربيا سمي به في الإسلام، وأما البلد الذي يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فإنما هو سوق الأهواز. انظر: معجم البلدان (٢٨٤/١) حدود العالم من المشرق إلى المغرب (١٤٩/١).

(٣) هي: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أركان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران، وهي في هذه الولاية من أمهات المدن المشهورة غير قليل، وقد ذكرت في مواضعها، الآن شيراز، سميت بفارس بن علم بن سام بن نوح عليه السلام، انظر: معجم البلدان (٢٢٦/٤).

(٤) هي: في الإقليم الثالث وبعدها عن خط المغرب والكوفة مدينة العراق الكبرى، وفي خلافة ابن الخطاب وهي أول مدينة اختطها المسلمون بعد البصرة. انظر: معجم البلدان (٢٢٦/٤) أكام

وأرى - والله أعلم- أنها الأرض الطيبة العذبة التي تكون بجوار الأرض السبخة وهذا ما قال به كثير من العلماء.

والمراد من قوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ الجنات: البساتين، وفي الأرض جنات، وذكر سبحانه الزرع بين الأعناب والنخيل كذلك، كما في قوله ﷺ: ﴿وَأَصْرِبٌ لَهُمْ مِّثْلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِّنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾^(٣) لأنه الغالب تكون أشجار النَّخِيلِ، والعنب في الخارج كثير^(٤).

﴿صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ﴾ أي: وفيها نخيل صنوان يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها، وغير صنوان أي متفرقات مختلفة الأصول^(٥).

﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ أي: تسقى القطع، والجنات، والزرع، والنخيل، ذلك كله يسقى بماء واحد لا اختلاف في طبعه، وأكله مختلف حامض وحلو، مع أن الماء والتراب واحد تكون الثمار مختلفة في ألوانها وطعومها، ففي هذا ومع وجود أسباب التشابه نُفِضَ بمحض القدرة بعضا منها على بعض في الثمرات شكلا وقدرًا، ورائحة وطعما، وحلاوة وحموضة ونفعا ولذة؛ فهذه أرض طيبة تنبت الكأ والعشب الكثير والأشجار والزرع، وهذه أرض تلاصقها لا تنبت كأ ولا تمسك ماء، وهذه تمسك الماء ولا تنبت الكأ وهذه تنبت الزرع والأشجار ولا تنبت الكأ وهذه الثمرة حلوة وهذه مرة وهذه بين ذلك.

وفي الحديث: عن أبي موسى^(٦) I، عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله

المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان (٣٨/١).

(١) هي: كانت معدن التجارة وهي مدينة مستطيلة تكون مساحتها على أصل الخطة التي اختطت عليها في وقت افتتاحها في ولاية عمر بن الخطاب في سنة سبع عشرة فرسخين في فرسخ. انظر: البلدان لليعقوبي (١٥٩/١).

(٢) تفسير الألوسي (٩٧/٧). انظر: تفسير القرطبي (٢٨١/٩) بتصرف يسير.

(٣) الكهف: ٣٢

(٤) فتح القدير للشوكاني (٧٨/٣) أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٧١٢) بتصرف.

(٥) تفسير الطبري (٣٣٥/١٦) بتصرف يسير.

(٦) هو: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ابن عامر بن عنز بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر، ولى عمر بن الخطاب أبا موسى البصرة وذلك سنة

به من الهدى والعلم، كمثل الغيث^(١) الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيّة^(٢)، قبلت الماء، فأُنبتت الكلاً^(٣) والعشب الكثير، وكانت منها أجادب^(٤)، أمسكت الماء، فنفع الله تعالى بها الناس، فشرّبوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به^(٥).

ثم بين أن مثل هذا لا يفكر فيه إلا من أوتى العقل الذي يفكر في المقدمات والنتائج، والأسباب والمسببات فجاء في ختام الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: إن في مخالفة الله ﷻ بين هذه القطع من الأرض المتجاورات وثمار جناتها وزروعها وفيما فصل من الآيات السابقة لدليلاً واضحاً وعبرة لقوم يعملون على قضية العقل تهديهم إلى ما ينفعهم، وتقودهم إلى ما يرشدهم عن الله تعالى وصاياه وأوامره ونواهيه، وأما أهل الإعراض، وأهل البلادة فهم في ظلماتهم يعمهون، وفي غيهم يترددون، لا يهتدون إلى ربهم سبيلاً ولا يعون له قِيلاً. فمن ير خروج الثمار المختلفة الأشكال والألوان والطعوم والروائح في تلك البقاع المتلاصقة، مع أنها تسقى بماء واحد وتتشابه

عشرين، فافتتح أبو موسى الأهواز، ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان، ثم لما دفع أهل الكوفة، انتقل أبو موسى إلى مكة ومات بها وقيل: إنه مات بالكوفة في داره بجانب المسجد. وقيل سنة اثنتين وأربعين. وقيل: سنة أربع وأربعين وقيل: سنة خمسين وقيل: سنة اثنتين وخمسين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٧٦٢/٤-١٧٦٤).

(١) هُوَ الْمَطْرُ. يُقَالُ: غَيْبَتِ الْأَرْضُ فَهِيَ مَغْيِبَةٌ، وَغَاثَ الْغَيْثُ الْأَرْضَ إِذَا أَصَابَهَا، وَغَاثَ اللَّهُ الْبِلَادَ يَغْيِثُهَا، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٠٠/٣).

(٢) ظاهره نقيه مبيضه، وقيل أنها نقيّة من الغل والغش. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٩١/٤)، لسان العرب (٦٣٥/٢).

(٣) هو: النبات والعشب سواء رطبه أو يابسه. والمراد أن البئر يكون في صحراء ويكون الكلاً قريباً منها فإذا ورد عليها وورد فغلب على ما بها ومنع من يأتي بعده من الاستسقاء انظر: الدلائل في غريب الحديث (٧١٢/٢)، غريب الحديث لابن الجوزي (٢٩٨/٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر (١٩٤/٤)، غريب الحديث والأثر (٧٦/١)، القاموس المحيط (١٣٣٢/١).

(٤) الأجادب: صلاب الأرض التي تمسك الماء فلا تتشربه سريعاً. وقيل هي الأرض التي لا نبات بها، مأخوذ من الجدب. انظر: غريب الحديث للخطابي (٧٢٣/١)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٤٢/١)، لسان العرب (٢٥٦/١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، برقم (٧٩)، (٢٧/١).

وسائل نموها- يجزم حتماً بأن لذلك خالقاً حكيماً قادراً مدبراً لا يعجزه شيء، وكذلك يعتقد بأن من قدر على إنشاء ذلك، فهو قادر على إعادة ما بدأه أول مرة، بل هو أهون منه لدى النظر والاعتبار^(١).

نخلص مما سبق: إلى بيان هذه الآية عجائب قدرة الله تعالى في الأرض حيث جعل الله جل في علاه قطعاً من الأرض يجاور كل منها الآخر ومع ذلك مختلفة التربة، بعضها قاحل، وبعضها خصب، ومع أنها تسقى بماء واحد لكن يختلف طعمها، وهذه العجائب تدل على قدرة الخالق عز وجل.

ما ترشد إليه الآية:

في هذه الآية أدل دليل على وحدانيته تعالى وعظم صمديته، والإرشاد لمن ضل عن معرفته فإنه سبحانه نبه بقوله: يسقى بماء واحد على أن ذلك كله ليس إلا بمشيئته وإرادته، وأنه مقدور بقدرته جل في علاه.



(١) يراجع: تفسير الطبري (١٦/٣٤٠-٣٤٥)، تفسير المراغي (١٣/٦٨)، تيسير الكريم الرحمن (٤١٣/١).

تفسير الآية الخامسة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَإِن تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَيْ ذَا كُنَّا تُرَابًا أَيْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأَوْلَيْتِكَ الْأَعْمَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأَوْلَيْتِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥]

تعجب النبي ﷺ في هذه الآية من عبادة المشركين لأصنام لا تضر ولا تنفع بعد أن أقام عليهم الحجة والأدلة على وجود الخالق.

مناسبة الآية:

"ولما أقام الدلائل على عظيم قدرته بما أودعه من الغرائب في ملكوته التي لا يقدر عليها سواه، عجب الرسول O من إنكار المشركين وحدانيته، وتوهينهم قدرته لضعف عقولهم فقال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾" (١).

تفسير الآية:

أي: "وإن تعجب من قولهم يا محمد في إنكار البعث، فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه، لأن من قدر على إنشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة، ولم يعي بخلقهن، كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره، فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب" (٢)، وهذه الآية توبيخ للكفرة، أي: إنهم بعد هذا يكذبون خبره في أنه سيعيد العالمين خلقا جديدا، وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به وعجيب وغريب أن تنكر قلوبهم كوننا خلقا جديدا (٣).

وقوله تعالى: ﴿أَيْ ذَا كُنَّا تُرَابًا أَيْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ الاستفهام الإنكاري المفيد لكمال الاستبعاد، وإنكارهم البعث عظيم لا تتناهى درجاته في العظم بعد ما رأوا

(١) البحر المحيط في التفسير (٣٥١/٦).

(٢) تفسير الزمخشري (٥١٣/٢).

(٣) يراجع: تفسير ابن كثير (٤٣٢/٤)، تفسير ابن عطية (٢٩٥/٣).

من الآيات الباهرة والدلالات الناطقة بعظيم القدرة على كل شيء منكرين^(١).
فقالوا: جحودًا وإنكارًا أنذا متنا وكنا ترابا نُبعث من جديد؟ أولئك هم
الجاحدون بربهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ
خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾^(٢) وهو ﷻ الذي أوجدهم من العدم^(٣).

ولما كان هذا إنكار المحسوس من القدرة، استحقوا ما يستحق من يطعن
في مُلك الملك، فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾^(٤) أي الذين جحدوا وحدانيته
ﷻ، وهي التي تكون أظهر الأشياء وأجلاها. فإذا أنكروا معادهم فقد أنكروا
مبدأهم^(٥).

﴿وَأُولَئِكَ الْأَعْلَىٰ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ والمراد أنه تعالى يجعل الأغلال في أعناقهم
يوم القيامة، أي: الحدائد التي تجمع أيدي الأسرى إلى أعناقهم، ويقال لها:
جوامع، وتارة تكون في الأعناق فقط يعذب بها الناس؛ ولما كان طرفا العنق
غليظين، فلا تكون إحاطة الجامعة منها إذا كانت ضيقة إلا بالوسط، جعل
الأعناق ظروفًا باعتبار أنها على بعض منها، وذلك كناية عن ضيقها^(٦)، والدليل
عليه قوله تعالى: ﴿إِذِ الْأَعْلَىٰ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسَلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ
يُسْجَرُونَ﴾^(٧).

وقال القرطبي: "الْأَغْلَالُ أَعْمَالُهُمُ السَّيِّئَةُ الَّتِي هِيَ لَازِمَةٌ لَهُمْ"^(٨). وقوله
تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: "أهل النار مقيمون لا يموتون ولا

(١) تفسير أبي السعود (٦/٥).

(٢) يس: ٧٧.

(٣) التفسير الميسر (٢٤٩/١) بتصرف.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٨٢/١٠).

(٥) تفسير السعدي (ص: ٤١٣) بتصرف.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٨٢/١٠) بتصرف.

(٧) غافر: ٧١-٧٢.

(٨) تفسير القرطبي (٢٨٤/٩).

يخرجون منها أبدا"^(١).

ونخلص مما سبق: إلى أن الله تعالى بين في هذه الآية تكذيب المشركين بيوم الحساب والعقاب، مع وجود دلالات خلق الله ﷻ في الكون للأشياء بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً، ثم ينكرون بعد ذلك أنه سبحانه سيعيد العالم خلقاً جديداً، مع أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، وأنه بدأ الخلق بإعادته ﷻ للخلق أسهل.

ما ترشد إليه الآية:

إنكار البعث والقيامة مدعاة للعجب الشديد، والله تعالى لا يتعجب، ولا يجوز عليه التعجب. ومن أنكر البعث والقيامة، فهو كافر، لإنكاره القدرة الإلهية والعلم والصدق في الخبر، ويساق إلى جهنم بالأغلال والسلاسل، وهو خالد في النار.

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: ٢٠٥).

تفسير الآية السادسة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦].

والذين يكذبون بيوم الحساب والعقاب، يستعجلون العذاب بأن ينزل عليهم العذاب الذي توعدهم الله تعالى به إذا ما استمروا على كفرهم وتكذيبهم، وهذا استهزاء منهم وتكذيب بالعقوبة التي ستحل بهم يوم القيامة.

مناسبة الآية:

"من أدلتها المحسوسة المشاهدة، كان أيضاً من العجب العجيب والنبأ الغريب استهزاؤهم بها، فقال معجباً منهم: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾" (١)، "لأن كلتا الآيتين وصف لغريب أحوالهم في المكابرة والعناد والاستخفاف بالوعد. فابتدأ بذكر تكذيبهم بوعد الآخرة لإنكارهم البعث، ثم عطف عليه تكذيبهم بوعد الدنيا لتكذيبهم الرسول ﷺ، وفي الاستخفاف بوعد نزول العذاب وعدهم إياه مستحيلاً في حال أنهم شاهدوا آثار العذاب النازل بالأمم قبلهم" (٢).

تفسير الآية:

بين الله تعالى في هذه الآية حال مشركي مكة حينما كانوا يسألون الرسول ﷺ العذاب استهزاءً منهم فكان (٣) ﷺ يهددهم تارة بعذاب القيامة وتارة بعذاب الدنيا، والقوم كلما هددهم بعذاب القيامة أنكروا القيامة والبعث والحشر والنشر وهو الذي تقدم ذكره في الآية الأولى وكلما هددهم بعذاب الدنيا قالوا له: فجئنا بهذا العذاب وطلبوا منه إظهاره وإنزاله على سبيل الطعن فيه، وإظهار أن الذي

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٨٤/١٠).

(٢) التحرير والتنوير (٩١/١٣).

(٣) تفسير الزمخشري (٥١٣/٢) بتصرف يسير.

يقوله كلام لا أصل له فلهذا السبب حكى الله تعالى عنهم أنهم يستعجلون الرسول ﷺ بالسيئة قبل الحسنه والمراد بالسيئة هاهنا نزول العذاب عليهم كما قال الله تعالى عنهم في قوله: ﴿فَأَمْطَرَ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ وَأَثْبَتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١)، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾^(٢) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةً مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾^(٣) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾^(٤) وإنما قالوا ذلك طعنا منهم فيما ذكره الرسول ﷺ، وكان ﷺ يعدهم على الإيمان بالثواب في الآخرة وبحصول النصر والظفر في الدنيا فالقوم طلبوا منه نزول العذاب ولم يطلبوا منه حصول النصر والظفر ومنهم من فسر الحسنه هاهنا بالإمهال والتأخير^(٥) حيث يكون إحسانه إليهم في تأخير العقوبة عنهم إلى يوم القيامة^(٦).

أما قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْأَمْثَلُ﴾^(٧) "والمثلات"^(٥) عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم"^(٦).

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾^(٨) والمعنى: "أنه يغفر لهم مع ظلمهم أنفسهم باكتساب الذنوب"^(٧)، وفيها عرض لسعة رحمة الله، ومغفرته لعباده فهو يمهلهم، ويدعوهم إليه، ويفتح لهم باب التوبة والقبول، فإذا استجابوا له، ورجعوا إليه، قبلهم، وتجاوز عن سيئاتهم، ولو شاء لعجل لهم العذاب، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِا مِّنْ دَابَّةٍ وَلَا كُن

(١) الأنفال: ٣٢

(٢) الإسراء: ٩١-٩٢

(٣) تفسير الرازي (١١/١٩).

(٤) الوجيز للواحدى (٥٦٦/١) بتصرف.

(٥) هي: المثلثة، بفتح الميم وضم الثاء، العُقُوبَةُ، وَالْجَمْعُ الْمَثَلَاتُ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلْعُقُوبَةِ مَثَلَةٌ وَمَثَلَةٌ فَمَنْ قَالَ مَثَلَةٌ جَمَعَهَا عَلَى مَثَلَاتٍ، وَمَنْ قَالَ مَثَلَةٌ جَمَعَهَا عَلَى مَثَلَاتٍ. انظر: لسان العرب (٦٥/١١).

(٦) تفسير البيضاوي (١٨١/٣).

(٧) البحر المحيط في التفسير (٣٥٣/٦-٣٥٤).

يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿١﴾ فهذا من رحمة الله بعباده (٢).

ونخلص مما سبق:

إلى بيان الآية شدة ضلال الكافرين حين يستعجلون إنزال العذاب بهم بدل أن يطلبوا من الله تعالى الهداية التي تنقذهم من العذاب، مع أن الله تعالى ذكر عقوبة من كان قبلهم من الأمم أمثالهم، وأن الله تعالى يغفر الظلم لمن يتوب، وينزل العقاب بمن يستمر على ضلاله.

ما ترشد إليه الآية:

طلب المشركين إنزال العقوبة لفرط إنكارهم وتكذيبهم نوع من الطيش، وكفاهم الاعتبار بعقوبات أمثالهم المكذبين، فالمثلات أي العقوبات كثيرة. وقد تبين من هذه الآية: أن عذاب الاستئصال لا ينزل بهم إلا بالإصرار على الكفر والمعاصي.

(١) فاطر: ٤٥

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٧٥/٧) بتصريف.

تفسير الآية السابعة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ

هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧]

بيّنت هذه الآية طلب الذين كفروا من النبي ﷺ أن يأتيهم بمعجزة علامة على نبوته فيبين الله ﷻ: إنما أنت أيها النبي منذر لهم بسوء العاقبة.

مناسبة الآية:

وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ ﴾ عطف على قوله تعالى:

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ [الرعد: ٦]^(١) فيقول تعالى في هذه الآية إخبارًا

عن المشركين حينما طعنوا في نبوة محمد ﷺ^(٢)، "بسبب استبطاء نزول

العذاب، ثم طعنوا في نبوته بسبب عدم الاعتداد بمعجزاته"^(٣) كما فعل الرسل ⊕

من قبله فهم يقولون ذلك كله كُفْرًا وَعِنَادًا^(٤) فقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ

عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ أي: ويقترح الكفار عليك علامة وحجة على النبوة من الآيات

مثل آيات -موسى وعيسى- عليهما الصلاة والسلام- ويقولون: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ

مِنْ رَبِّهِ ﴾ ونظير ذلك في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ

أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾^(٥) وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ

(١) التحرير والتنوير (٩٤/١٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٣٤/٤) بتصرف.

(٣) تفسير النيسابوري (١٤١/٤).

(٤) انظر: تفسير المراغي (٧٢/١٣).

(٥) الأنعام: ٨

كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَءَاثِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا^١ وَمَا رُسُلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا^(١) ويجعلون هذا القول منهم، عذرا لهم في عدم الإجابة إلى الرسول ﷺ، والحال أنه منذر ليس له من الأمر شيء، والله تعالى هو الذي ينزل الآيات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أي: مرسل للإنذار والتحذير من عقاب الله تعالى وقد أيده ﷺ بالأدلة البينات التي لا تخفى على أولي الألباب، وبها يهتدي مَنْ قَصَدَهُ الْحَقُّ، وأما الكافر الذي من ظلمه وجهله يقترح على الله تعالى الآيات فهذا اقتراح منه باطل وكذب واقتراء على الله جل في علاه^(٢).

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ هو الرسول الذي يرسله الله إليهم، ليدعوهم إليه، وينذرهم لعلمهم يهتدون، ويسلك بهم مسالك الخير والهدى، كحال نبينا محمد ﷺ في قومه من الإنذار والتحذير من عقاب الله ﷻ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾^(٣).

والله تعالى هادي كل قوم إن أراد هدايتهم^(٤)، وفي هذه الآية تهديد ووعد لهؤلاء المعاندين، الذين لجّ بهم العناد، واستبدّ بهم الضلال، فركبوا رءوسهم، ولم يعد ثمة وجه لهم إلا أن ترفع في وجوههم راية الإنذار، وأن يساق إليهم ريح من لفتح جهنم^(٥).

ويقول ابن عاشور: "فما كنت بدعا من الرسل وما كان للرسول من قبلك آيات على مقترح أقوامهم بل كانت آياتهم بحسب ما أراد الله أن يظهر على أيديهم. على أن معجزات الرسل تأتي على حسب ما يلائم حال المرسل إليهم"^(٦).

(١) الإسراء: ٥٩

(٢) تفسير السعدي (٤١٤/١) بتصرف.

(٣) البقرة: ١١٩

(٤) تفسير القرطبي (٢٨٥/٩).

(٥) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٧٦/٧)، التحرير والتنوير (٩٥/١٣).

(٦) التحرير والتنوير (٩٥/١٣).

ونخلص مما سبق:

ويقول كفار مكة: لو أنزلت عليه معجزة محسوسة كمعجزة الأنبياء ﷺ من قبل، عصا موسى وناقة صالح، فأخبره الله تعالى: إنما أنت منذر من عذاب الله تعالى.

ما ترشد إليه الآية:

ليست مهمة النبي ﷺ تلبية طلبات المشركين واقتراحاتهم، إنما مهمته الإنذار، أي التعليم، فهو منذر لقومه مبين لهم، ولكل قوم من قبله هاد ومنذر وداع.

تفسير الآية الثامنة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ

شَيْءٍ عِنْدَهُ ﴿﴾ [الرعد: ٨]

يخبر الله ﷻ في هذه الآية بشموليه علم الله ﷻ واطلاعه على خفايا الأمور.

مناسبة الآية:

"أنه لما تقدم إنكارهم البعث وكان من شبههم تفرق الأجزاء واختلاط بعضها ببعض بحيث لا يتهاى الامتياز بينها نبه سبحانه بهذه الآية على إحاطة علمه جل شأنه إزاحة لشبهتهم وقيل: وجهها أنهم لما استعجلوا بالسيدة نبه ﷻ على إحاطة علمه تعالى ليفيد أنه جلت حكمته إنما ينزل العذاب حسبما يعلم من المصلحة والحكمة في قوله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]"^(١).

تفسير الآية:

وإن المؤمن بالله تعالى ليعلم أن علم الله تعالى يشمل كل شيء في هذا الكون المترامي الأطراف، فيشمل كل أنثى في الوبر والمدر في البدو والحضر في البيوت والكهوف والمسارب والغابات. ويتصور علم الله تعالى مطلعاً على كل حمل في أرحام هذه الإناث.^(٢) "من علقه ومضغة وزائد وناقص وذكر وأنثى"^(٣)، وسوي الخلق أو ناقص الخلق، واحد أو اثنين أو أكثر^(٤).

(١) تفسير الألوسي (١٠٤/٧).

(٢) في ظلال القرآن (٢٠٤٨/٤) بتصرف.

(٣) تفسير الوجيز الواحدى (٥٦٦/١).

(٤) يراجع: تفسير البغوي (٨/٣).

وفي هذه الآية ما يدل على قدرة الله ﷻ، في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزِدَادُ﴾ غيض^(١) الأرحام: ما تنقص الأرحام من زمن أو جسم، في حملها في الأشهر التسعة بإرسالها دم الحيض على الحمل^(٢)؛ "فإذا حاضت الحامل كان نقصاناً في الولد، لأن دم الحيض غذاء الولد في الرحم، فإذا أهرقت الدم ينقص الغذاء فينتقص الولد، وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم، فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم، والزيادة تمام خلقة باستمساك الدم. وقيل: إذا حاضت ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر ظاهراً، فإن رأت خمسة أيام دماً وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام، فالنقصان في الغذاء، والزيادة في المدة"^(٣).

وختم الله تعالى الآية بقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ "لا يجاوز شيء من قدره عن تقديره، ولا يقصر أمر أراده فدبره عن تدبيره، كما لا يزداد حمل أنثى على ما قدر له من الحمل، ولا يقصر عما حد له من القدر والمقدار"^(٤).

فحفظ جل في علاه أرزاق خلقه وأجالهم، وجعل لذلك أجلاً معلوماً^(٥).

في الدنيا وكل ما يتصل بشئونه لا يتقدم عليه ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص إلا بما تقتضيه حكمته وعلمه^(٦).

ويقول ابن عاشور^(٧) والمقدار^(٧): هو أنه يعلم كل شيء علماً مفصلاً لا

(١) هو: من غاض الماء يغيض غيضاً ومغيضاً ومغاضاً وأنغاض: نقص أو غار فذهب، وغاضه هو وغيضه وأغاضه: لسان العرب (٢٠١/٧).

(٢) تفسير الطبري (٣٥٨/١٦) بتصرف.

(٣) تفسير البغوي (٢٩٧/٤).

(٤) الطبري (٤٤٤/١٣).

(٥) تفسير ابن كثير (٤٣٦/٤) بتصرف.

(٦) تفسير السعدي (٤١٤/١) بتصرف.

(٧) هو: اسم القدر إذا بلغ العبد المقدار مات. والأشياء مقادير أي لكل شيء مقدار وأجل. وقال صاحب العين: مقدار كل شيء وقدره. انظر: تهذيب اللغة (١٩٢/٤)، العين (١١٢/٥)، المخصص (٤٤١/٣).

شيوع فيه ولا إبهام"^(١).

قال ابن عباس I: "كل شيء من الثواب والعقاب عنده بمقدار أي: بقدر الطاعة والمعصية". وقال الضحاك^(٢): "من الغيظ والازدياد". وقال قتادة: "من الرزق والأجل". وقيل: "صحة الجنين"^(٣) "كل شيء عنده مَقْدَرٌ بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه"^(٤) كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٥).

ونخلص مما سبق:

إلى أن الآية الكريمة بيّنت تمام علمه ﷺ الذي لا يخفى عليه شيء، حتى ما تحمله الحوامل ومما تنقصه الأرحام وما تزداده.

ما ترشد إليه الآية:

- إن الله تعالى عالم بالجزئيات وبالكلييات، وبالماضي والحاضر والمستقبل، وبالباطن والظاهر و السر المخفي والمعلن المجاهر به، وبالغائب عن مسامعنا وأبصارنا والشاهد الحاضر.

(١) التحرير والتنوير (٩٨/١٣).

(٢) هو: الضحاك بن مزاحم إسمه الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، ويقال أبو محمد، الخراساني، (أخو محمد بن مزاحم، ومسلم بن مزاحم) كنيته أبو القاسم، ويقال: أبو محمد وقيل: الهلالي الخراساني يعتبر الضحاك بن مزاحم مفسر ومن الطبقة الخامسة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم صغار التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر صدوق كثير الإرسال، وعند الإمام شمس الدين الذهبي وثقه أحمد وابن معين، توفي سنة: (١٠٥هـ-٧٢٣م). انظر: لأعلام للزركلي (٣/٢١٤).

(٣) البحر المحيط (٣٥٧/٦).

(٤) تفسير الألوسي (١٠٤/١).

(٥) القمر: ٤٩

تفسير الآية التاسعة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]

تبين هذه الآية شمول علم الله تعالى وإحاطته سبحانه بكل شيء.

مناسبة الآية:

" هذه الآية تمدح الله ﷻ بها بأنه تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾ أي: هو عالم بما غاب عن الخلق" (١) يعلم الله تعالى كل شيء مما يشاهده العباد، ومما لا يشاهدونه من عوالم لا نهاية لها، ولا يخفى عليه شيء منه سبحانه (٢) قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعَزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٤).

تفسير الآية:

" أي الذي يتضاءل عنده كل ما فيه صفات تقتضي الكبر، "والكبر: ظهور التفاوت في ظاهر وباهر القدر الذي لا يحتاج إلى فكر، ومن حاول منهم أن يكبر بسطوة أو تسلط وفساد زاد صغارا قدره بما اكتسب في أعين أرباب البصائر في الدنيا، ويبدو ذلك منه لعيون جميع الخلق في الأخرى فلذلك اختصاص معنى أنه لا كبير إلا الله تعالى " قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾ أي الذي لا يدنو من أوج علوه في ذات أو صفة أو فعل، والتعالي: فوت التناول والمنال بحكم أو حجة، وأشعر التفاعل بما يجري من

(١) تفسير القرطبي (٢٨٩/٩).

(٢) تفسير أبي السعود (٨/٥) بتصرف.

(٣) المدثر: ٣١

(٤) يونس: ٦١

توهم المحتجين في أمره بأوهام وحجج داحضة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، مَجْهُومٌ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(١) فهو تعالى يأذن في الاحتجاج والجدال ثم يتعالى بما له من الحجة البالغة قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢) فهو المتعالي علما وحكما وحجة، وحقيقة المتعالي الذي لا يتعالى إلا هو"^(٣).

ويقول الألوسي: المراد به "تنزيهه سبحانه في ذاته وصفاته عن مداناة شيء منه وعلى هذا المراد تنزيهه تعالى عما وصفه الكفرة به فهو رد لهم كقوله جل شأنه: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٤) فهو العظيم الشأن الذي كل شيء دونه يكبر عن صفات المخلوقين ليضم مع العلم العظمة والقدرة"^(٥).

نخلص مما سبق:

أن الله تعالى بين في هذه الآية علمه الشامل بكل شيء مما يشاهده العباد ويغيب عنهم وهو الكبير المتعالي الذي لا يغيب عنه شيء والذي أحاط بكل شيء علما.

ما ترشد إليه الآية:

أنَّ الله عالم الغيب والشهادة، أي هو عالم بما غاب عن الخلق وبما شاهده، وهذا تنبيه على انفراده تعالى بعلم الغيب، والإحاطة بالباطن الذي يخفى على الخلق، فلا يجوز أن يشاركه في ذلك أحد.

(١) الشورى: ١٦

(٢) الأنعام: ١٤٩

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠/٢٨٨-٢٨٩-٢٩٠).

(٤) المؤمنون: ٩١

(٥) تفسير الألوسي (٧/١٠٤-١٠٥) بتصرف.

تفسير الآية العاشرة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]

يخبر الله ﷻ في هذه الآية عن علمه المحيط بكل ما في السموات والأرض.

مناسبة الآية:

عندما ذكر الله ﷻ في الآية السابقة أنه عالم الغيب والشهادة على العموم، ذكر تعالى تعلق علمه بشيء خاص من أحوال المكلفين، فقال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]^(١).

تفسير الآية:

يخبر تعالى عن إحاطة علمه بجميع خلقه، سواء منهم من أسر قوله أو جهر به، فإنه يسمعه لا يخفى عليه شيء كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَهَرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(٢) وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾^(٣).

وقوله: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾ أي: مُخْتَفٍ بالمعاصي في قعر بيته في ظلام الليل^(٤)، ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ أي: ظاهرٌ ماشٍ في بياض النهار وضيائه مُتَصَرِّفٌ فِي حَوَائِجِهِ بِسِرِّ عَةٍ^(٥)، فإن كليهما في علم الله تعالى على السواء، كما

(١) يراجع: نظم الدرر (٢٩٠-٢٩٣).

(٢) طة: ٧

(٣) النمل: ٢٥

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٤٣٧) بتصريف.

(٥) فتح القدير للشوكاني (٣/٨٣) بتصريف.

الْأَبْصَرُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَرَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ فالله سبحانه، في كبريائه، وفي علوه، محيط بكل صغيرة وكبيرة في الوجود يتساوى لديه في ذلك بعيد الأمور وقريبها، خفيها وظاهرها، إذ لا قرب ولا بعد عند من احتوى الوجود كله^(٢).

ونخلص مما سبق:

إلى أن هذه الآية بيّنت أن كل ما أسر الإنسان وأعلن فهو يعلمه سبحانه لا تخفى عليه خافية.



(١) الأنعام: ١٠٣

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٨٠/٧) بتصريف يسير.

تفسير الآية الحادية عشرة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مَن أَمَرَ اللَّهُ ابْنَ اللَّهِ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَّالٍ﴾ [الرعد: ١١].

يبين الله تعالى في هذه الآية أن له ملائكة يتعاقبون على الإنسان من بين يديه ومن خلفه يحفظونه بأمر الله ويحسون ما يصدر عنه من خير أو شر.

مناسبة الآية:

لما ذكر الله تعالى في الآية السابقة علم الله تعالى بكل من هو مستخف أي موجد الخفاء وطالب له أشد طلب بالليل ومن هو سارب أي ذاهب على وجهه الأرض بالنهار ومتجاهر بسروبه فيه في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾^(١).

تفسير الآية:

"أنَّ المراد من المعقبات الملائكة الحفظة وإنما صح وصفهم بالمعقبات"^(٢) لأنها تعقب بعضهم بعض بالليل والنهار، إذا مضى فريق يخلفه بعده فريق^(٣)، "مقدم ومؤخر بأمر الله ويدفعونه إلى المقادير"^(٤) "وإنَّ الله لا يغيِّر ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له"^(٥) وإذا أراد به عذاباً فلا

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٩١/١٠).

(٢) تفسير الرازي (١٧/١٩).

(٣) تفسير السمرقندي (٢١٩/٢) بتصرف.

(٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: ٢٠٦).

(٥) تفسير البيضاوي (١٨٣/٣).

يدفعه شيء من دون الله ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم^(١).

ونخلص مما سبق:

بيّنت هذه الآية أن للعبد ملائكة تحفظه من بين يديه ومن خلفه وفي جميع أحواله، وأن الله تعالى لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. للإنسان بتخصيص الله ملائكة أربعة في الليل، وأربعة في النهار، حافظان وكاتبان، وهي تتعاقب عليه ليلاً ونهاراً، وتتعقب أعماله وتتبعها بالحفظ والكتابة.

ما ترشد إليه الآية:

خصص الله للإنسان ملائكة أربعة في الليل، وأربعة في النهار، حافظان وكاتبان، وهي تتعاقب عليه ليلاً ونهاراً، وتتعقب أعماله وتتبعها بالحفظ والكتابة.

(١) تفسير النسفي (١٤٥/٢) بتصريف يسير.

تفسير الآية الثانية عشرة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾

[الرعد: ١٢]

ذكر الله ﷻ في هذه الآية بعض من مظاهر قدرة الله في الكون.

مناسبة الآية:

أخبر الله تعالى في الآية السابقة ما هو جامع للعلم والقدرة وما هو أطف من ذلك كله، فهو سبحانه معلم بجليل القدرة في أنه سبحانه: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: ١١] ودقيق الحكمة لأنه مظهر واحد ترجى منه النعمة وتخشى منه النعمة، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾^(١).

تفسير الآية:

بين الله تعالى أنه هو الذي يسخر البرق وهو: ما يرى من النور اللامع ساطعاً من خلل السحاب.

وقوله: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ خوفا للمسافر، يخاف أذاه ومشقته، وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته، ويطمع في رزق الله. وقيل يخاف منه الصواعق والهدم وأنواع الضرر، على بعض الثمار ونحوها ويطمع في خيره ونفعه، بالمطر الغزير الذي به نفع العباد والبلاد. وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه^(٢).

﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ أي: ويخلقها منشأة جديدة، مملوءة بالأمتار وهي

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٩٣/١٠) بتصرف يسير.

(٢) تفسير البيضاوي (١٨٣/٣).

لكثرة مائها ثقيلة قريبة إلى الأرض^(١). قال مجاهدٌ ج: "والسحاب الثقال: الذي فيه الماء"^(٢). قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٣).

نخلص مما سبق:

إلى إخبار القرآن الكريم في آيات كثيرة عن وجوه إعجاز القرآن الكريم ومن هذه الوجوه إخباره بالحقائق العلمية في السموات ومنها السحب التي تتكون في السماء وحث البشر على التفكير والتأمل فيها.

ما ترشد إليه الآية:

- بيان كمال قدرة الله تعالى، وأن تأخير العقوبة عن العصاة ليس عن عجز، وكل ما ذكر في الآية من البرق والسحاب والرعد والصواعق دلائل ملموسة على قدرة الله عز وجل، وأنه شديد القوة والأخذ، والمحال أو المماحلة: وهي المماكرة والمغالبة.

(١) يراجع: تفسير ابن كثير (٤/٤٤٠)، تفسير السعدي، (١/٤١٤).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٤٠٥).

(٣) الأعراف: ٥٧

تفسير الآية الثالثة عشرة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَيَسْبِحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]

وما زالت الآيات تتحدث عن مظاهر قدرة الله في الكون وإن هذه المظاهر واضحة، وبارزة، وآثارها ظاهرة.

مناسبة الآية:

لما اقام الله تعالى في الآية السابقة أدلة واضحة قاطعة على قدرته وحكمته، منها نعمة وإحسان أحيانا، ومنها عذاب ونقمة وقهر أحيانا أخرى، والتّردد بين الحالين: حال النعمة وحال النقمة دليل على الشمول والعموم، والتذكير بهذا للتنبيه إلى قدرة الله تعالى، ذكر في هذه الآية ما يدل على كمال هذه القدرة في تسبيح الرعد للدلالة على فضله ونزول رحمته فقال تعالى: ﴿وَيَسْبِحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾^(١).

تفسير الآية:

وقيل: معنى تسبيح الرعد أن هذا الصوت المخصوص لهوله ومهابته يدل على وجود إله قهار كقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٢). أي: يسبح كل من سمعه من العباد الراجين للمطر^(٣)، وصوت الرعد دلالة على خضوعه لله، وتنزيهه إياه عن الشريك وعن العجز، كما يدل صوت المسبح على انقياده لقدرة الله. و يضحون بسبحان الله والحمد لله وإسناده إلى الرعد لحمله لهم على ذلك أو يسبح الرعد نفسه على أن تسبيحه دلالة على خضوعه لله، وتنزيهه إياه عن الشريك وعن العجز، كما يدل صوت المسبح على انقياده لقدرة الله. عبارة عن دلالاته

(١) تفسير البيضاوي (١٨٣/٣) التفسير الوسيط للزحيلي (١١٥٢/٢) بتصرف.

(٢) الإسراء: ٤٤

(٣) تفسير الرازي (٢٢/١٩).

على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده^(١)، عن ابن عباس I، قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله» فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: «زجرة بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر» قالوا: صدقت. فقالوا: فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: «اشتكى عرق النساء فلم يجد شيئاً يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها فلذلك حرمها» قالوا: صدقت^(٢).

يقول الرازي G: "فلما كان حدوث هذا الصوت دليلاً على وجود مُتَعَالٍ عن النَّقْصِ والإمكاني، كان ذلك في الحقيقة تسبيحاً، وهو معنى قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٣) أن من يسمع الرعد فإنه يسبح الله تعالى، فلهذا المعنى أضيف هذا التسبيح إليه"^(٤).

أما قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي: وتسبح الملائكة من خيفته، أي من خوف ربهم و هيئته وجلاله، كما يقول الله ﷻ عنهم: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٥) قال ابن عباس I: إنهم خائفون من الله لا كخوف ابن آدم فإن أحدهم لا يعرف من على يمينه ومن على يساره ولم يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء.

وقوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ التي تحق وتبيد من

(١) تفسير أبي السعود (٩/٥) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٩٤/٥)، أبواب تفسير القرآن، باب: وَمِنْ سُورَةِ الرَّعْدِ، برقم (٣١١٧) حكم عليه الألباني بصحته، السنن الكبرى للنسائي (٢١٨/٨)، كتاب عشرة النساء، باب كَيْفَ تُؤْنِثُ الْمَرْأَةُ، وَكَيْفَ يُذَكَّرُ الرَّجُلُ، برقم (٩٠٢٤) قالوا هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، الدعاء للطبراني (٣٠٥/١)، باب تفسير سورة الرعد، برقم (٩٨٦)، المعجم الكبير للطبراني (٤٥/١٢) سعيد بن جبير، عن ابن عباس، برقم (١٢٤٢٩).

(٣) الإسراء: ٤٤

(٤) تفسير الرازي (٢٣/١٩).

(٥) النحل: ٥٠

يشاء من عباده، وهي نار تتولد من السحاب وتنزل بقوة شديدة فرما غاصت في البحر وأحرقت الحيتان. ووجه الاستدلال بها على الخالق ﷻ أن النار حارة يابسة وطبيعة السحاب يغلب عليها الرطوبة والبرودة للأجزاء المائية فيه، وحصول الضد من الضد.

ولما بين دلائل كمال العلم في قوله: الله يعلم ودلائل كمال القدرة في هذه الآية قال: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾^(١) أي: يجادلون في شأن تعالى، وفيما وصفه به الرسول ﷺ من كمال العلم والقدرة والتفرد بالألوهية وإعادة الناس للجزاء على أعمالهم يوم العرض والحساب^(٢).

قال الشوكاني: "والضمير راجع إلى الكفار المخاطبين في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾ وهؤلاء الكفرة مع هذه الآيات التي أراهم الله يجادلون في شأن الله سبحانه فينكرون البعث تارة ويستعجلون العذاب أخرى. ويكذبون الرسل ويعصون الله"^(٣).

﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ أي: شديد الأخذ، والمماحلة، والعداوة، والمكايدة لأعدائه، يأتيهم ﷻ بالعذاب والهلاك واستدراجهم من حيث لا يعلمون^(٤) هو كناية عن الذي يجادل، ويكون معناه فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله يعني: يصيبهم في حال جدالهم^(٥) قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾^(٦) وقوله تعالى: ﴿وَإَكِيدُ كَيْدًا فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْمَهُمْ رُؤُوسُهُمْ﴾^(٧) وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ

(١) تفسير النيسابوري (٤/١٤٧-١٤٨) بتصرف.

(٢) تفسير القرطبي (٩/٢٩٨) بتصرف يسير.

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/٨٧).

(٤) تفسير البيضاوي (٣/١٨٣) بتصرف.

(٥) تفسير السمرقندي (٢/٢٢٠).

(٦) يونس: ٢١

(٧) الطارق: ١٦-١٧

الْمَكْرِينِ ﴿١﴾ وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿٢﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٣﴾ وهذا كله استدراج من الله تعالى لهم ﴿٤﴾.

ونخلص مما سبق:

أن كل من في الكون يسبح لله تعالى وفي هذه الآية الدلالة على أن صوت الرعد هو خضوعه لله تعالى وتنزيهه عن الشريك والمثيل جل في علاه.

ما ترشد إليه الآية:

بيان كمال قدرة الله تعالى، وأن تأخير العقوبة عن العصاة ليس عن عجز، وكل ما ذكر في الآية من البرق والسحاب والرعد والصواعق دلائل ملموسة على قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنه شديد القوة والأخذ، والمحال أو المماحلة: وهي المماكرة والمغالبة.

(١) الأنفال: ٣٠

(٢) هود: ١٠٢

(٣) النمل: ٥٠

(٤) تفسير ابن عطية (٣/٣٠٤) بتصريف.

تفسير الآية الرابعة عشرة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤]

يبين الله تعالى في هذه الآية أن دعوة الله هي الحق ودعوة ما سواه هي الباطل.

مناسبة الآية:

ولما بين تعالى ما له من الآيات التابعة لصفات الكمال التي منها التنزه عما لا يليق بالجلال وأنه شديد المحال، شرع يبين ضلالهم في اشتراكهم المشار إليه بما هو علة لختم ما قبلها من أنه لا كفؤ له، فقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾^(١).

تفسير الآية:

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾^(٢) الله من خلقه الدعوة الحق، وإنما عنى بالدعوة الحق، توحيد الله وشهادة أن لا إله إلا الله^(٣).

ويقول السمرقندي: "له على العباد دعوة الحق أن يدعوه فيجيبهم"^(٤).

والمشركون المعاندون يجادلون في الله وينسبون إليه شركاء يدعونهم معه، ودعوة الله هي وحدها الحق، وما عداها من الأوثان والأنداد باطلة. وفي هذا وعيد للكفار على مجادلتهم الرسول ﷺ في الله تعالى. هذا مع أن الذين يدعونهم من الآلهة المزيفة من دون الله لا يستجيبون دعاءهم ولا يُنجدونهم بشيء لمن يدعوها ويعبدها بشيء قليل ولا كثير لا من أمور الدنيا ولا من أمور

(١) يراجع: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٠٠/١٠).

(٢) يراجع: تفسير الطبري (٣٩٧/١٦).

(٣) تفسير السمرقندي (٢٢١/٢).

الآخرة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَبَسِطَ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِّغُهُ﴾^(١) ومثلهم في ذلك كمن يبسط كفيه ليأخذ بهما ماءً إلى فمه، وما يستطيع أن يحصل على شيء منه^(١).

ثم أخبر تعالى عن دعاء الكافرين أنه في ضلالٍ لا يفيد فيه شيء ولا يغنيه في قوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(٢) لبطلان ما يدعون من دون الله، فهو في ضياع وخسارة بدون فائدة ولأن عبادتهم باطلة فكذلك دعوتهم باطلة؛ لأن الوسيلة تبطل ببطلان غايتها، ولما كان الله تعالى هو الملك الحق المبين، كانت عبادته حقاً متصلة النفع لصاحبها في الدنيا والآخرة^(٣).

نخلص مما سبق:

إلى ما بيّنت الآية الكريمة أن الدعاء الخالص والتضرع لا يكون إلا لله فله دعوة الحق و ما يدعون إلى غيره هي الباطلة.

ما ترشد إليه الآية:

لا يغير الله ما بقوم حتى يقع منهم تغيير، إما منهم أو من الناظر لهم، أو ممن هو منهم بسبب، كما غير الله بالمنهزمين يوم أحد بسبب تغيير الرماة بأنفسهم.

(١) تفسير السعدي (ص: ٤١٥)، تيسير التفسير للقطان (٢٧٥/٢) بتصرف.

(٢) تفسير ابن عطية (٣٠٥/٣) بتصرف.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير (٢٧٥/٢) تفسير المراغي (٨٤/١٣) بتصرف.

تفسير الآية الخامسة عشرة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلْمُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾

[الرعد: ١٥]

في الآيات السابقة ذكر الله ﷻ بطلان دعوة الذين كفروا لغير الله و بين في هذه الآية خضوع جميع المخلوقات لله تعالى.

مناسبة الآية:

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ فبعد ما ذكر الله في الآيات السابقة أن العبادة والدعوة والخضوع لغير الله باطلة بين في هذه الآيات أن لله وحده يسجد و يخضع وينقاد لا لشيء غيره الذي يدل على عظيم قدرته ﷻ فقال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٥] (١).

تفسير الآية:

أي: "ينقادون لإحداث ما أراده فيهم من أفعاله، شاءوا أو أبوا. لا يقدر أن يمتنعوا عليه" (٢)، وتنقاد له ظلالهم أيضاً فيخضع له الملائكة والمؤمنون من الثقليين قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (٤).

(١) التحرير والتنوير (١٣/١١٠) بتصرف.

(٢) تفسير الزمخشري (٢/٥٢١).

(٣) النحل: ٤٩

(٤) الحج: ١٨

ويخضع وينقاد له سبحانه أيضاً كل ما في السموات والأرض من شمس وقمر ونجوم وجبال وشجر ودوآب وغيرها من المخلوقات ومساق هذه الآية يبين أن العالم كله مقهور لله تعالى^(١).

ثم قال تعالى: ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ "المؤمن يسجد طوعاً، والكافر يسجد كرها"^(٢) فيسجدون طائعين وكارهين فخضوع الكل لعظمة الله ﷻ، طوعاً لأهل السماء فهم يعبدون الله بغير مشقة وكرها لأهل الأرض لأن عبادتهم فيها مشقة ويقال طوعاً لأهل الإخلاص وكرها لأهل النفاق ويقال طوعاً لمن ولد في الإسلام وكرها لمن دخل في الإسلام جبراً نظيره ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٣) فيخضع لإرادته وعظمته سبحانه كل من في السموات والأرض طائعين، أو كارهين لما ينزل بهم^(٤).

كما بين الله جل في علاه هذين الصنفين من الناس في آيات كثير منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾^(٥) وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^(٦) وقوله تعالى: ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٧).

ففي هذه الآيات بين الله ﷻ حال الكفار في الشدة والرخاء فهم في حال

(١) البحر المحيط في التفسير (٣٦٩/٦) بتصرف.

(٢) تفسير القرطبي (٣٠١/٩).

(٣) آل عمران: ٨٣

(٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: ٢٠٦) بتصرف.

(٥) الإسراء: ٦٧

(٦) العنكبوت: ٦٥

(٧) يونس: ٢٢

الشدة يوحدون ويخلصون لله تعالى، وفي حال الرخاء يُشركون بالله تعالى^(١).

ويقول المراغي: في قوله **عَلَّكَ**: "﴿وَمَلَأْنَاهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾" أي: وتسجد أيضا ظلال من له ظل منهما بالغدوات والعشايا تبعا لانقياد الأجسام التي تشرق عليها الشمس، ثم يصرفه الله تعالى بالمد والتقلص، وتخصيص هذين الوقتين بالذكر لظهور الامتداد والتقلص فيهما، أو المراد بهما الدوام كما جاء ذلك كثيرا في استعمالاتهم"^(٢).

ونخلص مما سبق:

إلى خضوع كل شيء لله تعالى فله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها ويسجد له ظلال كل شيء فيهما أيضا في الغدو والأصال^(٣).

ما ترشد إليه الآية:

دل قوله: والله يسجد... على أنه يجب على كل من في السموات والأرض أن يسجد لله إما طوعا أو كرها، فعبر عن الوجوب بالوقوع والحصول، أو أن كل من في السموات والأرض يعترفون بعبودية الله تعالى.

(١) مراجع: تفسير النيسابوري (٤/١٤٩-١٥٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/٨٨-٨٩).

(٢) تفسير المراغي (١٣/٨٤).

(٣) التفسير الحديث (٥/٥٢٧) بتصريف يسير.

تفسير الآية السادسة عشرة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَحِيدُ الْقَهْرُ﴾ [الرعد: ١٦]

يقرر الله تعالى في هذه الآية أنه لا إله إلا هو؛ لأنهم معترفون أنه هو الذي خلق السموات والأرض^(١).

مناسبة الآية:

فبعد أن بين ﷺ في الآيات السابقة خضوع من في السموات والأرض أعاد الكلام ﷺ مع المشركين ليلزمهم الحجة ويقنعهم بالدليل ومع ذلك يدعون آلهة من دون الله وفي هذه الآية يتوجه إليهم بالأسئلة التهامية في قوله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾^(٢).

تفسير الآية:

أمر الله تعالى في هذه الآية رسوله ﷺ أن يجيب المشركين بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾^(٣) فكانه حكي جوابهم وما يعتقدونه، لأنهم ربما تلعثموا في الجواب حذرا مما يلزمهم، ثم أمره بأن يقول لهم: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾^(٤) والاستفهام للإنكار تقدم ذلك في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ لِلَّهِ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٤٦) بتصرف يسير.

(٢) في ظلال القرآن (٤/٢٠٥٢) تفسير المراغي (١٣/٨٥) بتصرف.

(٣) تفسير الطبري (١٦/٤٠٥) بتصرف.

(٤) الأنعام: ١٢

مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ
رَحْمَتَهُ ۗ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١﴾ إِذَا كَانَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ هُوَ
اللَّهُ كَمَا تَقْرُونَ بِذَلِكَ^(٢) فَلِمَ إِذَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ عَاجِزِينَ عَنْ نَفْعِ أَنْفُسِهِمْ
وَبِالتَّالِي نَفْعِ غَيْرِهِمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ إِذْ كَيْفَ لَا يُعْطُونَ
وِلَايَةَ اللَّهِ، وَلَا يُخْلِصُونَ لَهُ عِبَادَتَهُمْ، وَهُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَلَى حِينٍ
يُجْعَلُونَ وِلَايَةَ هُمْ وَعِبَادَاتُهُمْ لِتِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي يُعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿لَا يَمْلِكُونَ
لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ الَّتِي لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، لِأَنَّهَا خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ،
تَدِينُ لَهُ بِالْوِلَايَةِ، كَحَالِ كُلِّ مَخْلُوقٍ وَتَتْرَكُونَ وِلَايَةَ مَنْ هُوَ كَامِلُ الْأَسْمَاءِ
وَالصِّفَاتِ، الْمَالِكِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، الَّذِي بِيَدِهِ الْخَلْقُ وَالتَّدْبِيرُ وَالنَّفْعُ
وَالضَّرُّ^(٣).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ سَتَوَى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ ۗ فَمَا
تَسْتَوِي عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَعِبَادَةُ الْمُشْرِكِينَ بِهِ، كَمَا لَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالتَّبْصِيرُ،
وَكَمَا لَا تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالتَّنُورُ.

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ ۗ فَإِنْ كَانَ
عِنْدَهُمْ شَكٌّ وَاشْتِبَاهٌ، وَجَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ وَفَعَلُوا كَفَعْلِهِ،
﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾^(٤) فَارْزُلْ عَنْهُمْ هَذَا الْاِشْتِبَاهَ وَالتَّبْصِيرَ بِالتَّبْرَهَانِ
الدَّالِّ عَلَى تَوْحِيدِ الْإِلَهِ بِالتَّوْحِيدَانِيَّةِ، فَقُلْ لَهُمْ: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٥)، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ
هُوَ الْخَالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَأَنَّهُ هُوَ سَبْحَانَهُ: ﴿التَّوْحِيدُ الْفَهْرُ﴾ المتَّوْحِدُ بِالتَّوْحِيدِ بِالتَّوْحِيدِ الْمَتَّفِرْدُ
بِالتَّبْوَبِيَّةِ لِكُلِّ مَا سِوَاهُ، وَيَخْضَعُ لِسُلْطَانِهِ كُلِّ مَوْجُودٍ عَظِيمٍ، أَوْ صَغِيرٍ فِي
السَّمَاءِ، أَوْ فِي الْأَرْضِ هُوَ الْمَسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ دُونَ سِوَاهُ، وَتَقْدِمُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ

(١) الزُّمَرُ: ٣٨

(٢) فَتْحُ الْقَدِيرِ لِلشُّوْكَانِيِّ (٨٩/٣) بِتَصْرِفٍ.

(٣) تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ (٣٠٣/٩) بِتَصْرِفٍ.

(٤) النِّسَاءُ: ٧٨

(٥) يَرَاوُجُ: تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ (٤١٥/١)، التَّفْسِيرُ الْقُرْآنِيُّ لِلْقُرْآنِ (٩١/٧).

تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(١) فكيف يُتوهم أن يكون له شريك مخلوق سبحانه جل في علاه^(٢).

نخلص مما سبق:

إلى أنه الواحد الأحد الفرد الصمد، وأن لا معبود بحق إلا الله، فلا يستوي من عبد الله وحده كمن عبد غيره كما لا يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور.

ما ترشد إليه الآية:

تثبيت الحقيقة الأبدية الخالدة وهي أن الله تعالى وحده هو خالق السموات والأرض وجميع مخلوقات الكون. ومن له صفة الخلق والإيجاد هو المستحق للعبادة والتقديس.



(١) الأنعام: ١٨

(٢) تفسير أبي السعود (١٣/٥) بتصرف.

تفسير الآية السابعة عشرة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧]

ما زال سياق الآيات يتحدث عن ضرب الأمثال من باب أخذ العظة والعبرة مناسبة الآية:

" فاعلم أنه تعالى لما شبه المؤمن والكافر والإيمان والكفر بالأعمى والبصير والظلمات والنور ضرب للإيمان والكفر مثلاً آخر فقال: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾

تفسير الآية:

أي أنزل من السحاب مطراً^(١) "ولما كان المقصود التشبيه بالهيئة كلها جيء في حكاية ما ترتب على إنزال الماء بالعطف بفاء التفرع في قوله: ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ﴾^(٢)."

ويقول المراغي ج: "مياه الأودية بحسب مقدارها في الصغر والكبر، فحمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زبداً عالياً مرتفعاً فوقه طافياً عليه وهذا هو المثل الأول الذي ضربه الله للحق والباطل والإيمان والكفر"^(٣).

ولما ذكر تعالى هذا الزبد الذي لا يظهر إلا عند اشتداد جري الماء، ضرب مثلاً آخر للزبد الذي لا يظهر إلا بالنار في قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ

(١) تفسير الرازي (٢٩/١٩) بتصريف يسير.

(٢) التحرير والتنوير (١١٦/١٣) بتصريف يسير.

(٣) تفسير المراغي (٨٨/١٣).

أَبْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ ﴿١﴾ ابْتِغَاءً حِلْيَةً يَعْنِي: التماس حِلْيَةٍ تلبسونها، يخرج منها الخبث، ويبقى الذهب والفضة خالصاً^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ مَعْطُوفَةٌ عَلَى قوله تعالى: ﴿فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ مَفْرَعَةٌ عَلَى التَّمْثِيلِ. وافتتحت ب فأما للتوكيد وصرف ذهن السامع إلى الكلام لما فيه من خفي البشارة والندارة، ولأنه تمام التمثيل، والتقدير: فذهب الزبد جفاء ومكث ما ينفع الناس في الأرض^(٢) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٣).

يقول ابن كثير: "لا ينتفع به، بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي، ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح. وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب، لا يرجع منه شيء، ولا يبقى إلا الماء وكذلك الذهب ونحوه ينتفع به ولهذا قال: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٤).

والإشارة للتنويه بذلك المثل وتنبيه الأفهام إلى حكمته وحكمة التمثيل، وما فيه من المواعظ والعبر، وإلى بلاغة القرآن وإعجازه، وليعلم أن قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ فيها بيان دقائق القدرة الإلهية والخلق البديع بل ولضرب المثل، فيعلم الممثل له بطريق التعريض بالمشركين^(٥).

ويقول ابن عاشور: "شبه ذلك كله بهيئة نزول الماء فانحداره على الجبال والتلال وسيلانه في الأودية على اختلاف مقاديرها، ثم ما يدفع من نفسه زبدا لا ينتفع به ثم لم يلبث الزبد أن ذهب وفني والماء بقي في الأرض

(١) تفسير السمرقندي (٢٢٣/٢) بتصرف.

(٢) تفسير الرازي (٢٩/١٩) بتصرف يسير.

(٣) الأنبياء: ١٠٥

(٤) العنكبوت: ٤٣

(٥) تفسير ابن كثير (٤٤٧/٤).

للنفع" (١).

نخلص مما سبق:

إلى أن الله تعالى ضرب في هذه الآية مثلين للحق والباطل للحق في ثباته، وبقائه، ونصرته، وللباطل في زواله، وفنائه، واندحاره.

ما ترشد إليه الآية:

تشبيه الحق والإيمان بالماء المستقر والمعدن النقي الصافي، وتشبيه الباطل والكفر بالزبد الذي يعلو الماء، فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الأودية، وتنسفه الرياح، أو تشبيهه بالطافي فوق المعدن المذاب فكذلك الكفر وشبهاته وخيالاته تذهب وتضمحل، ويبقى الجوهر الصافي من الماء، والمعدن النقي.

(١) التحرير والتنوير (١٣/١١٨).

تفسير الآية الثامنة عشرة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ أَحْسَنُ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ عَ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِلْهَادِ﴾ [الرعد: ١٨]

الاستجابة لأمر الله ﷻ، واتباع أمره، وطاعته، والتوكل عليه، والإنابة إليه، من كمال الإيمان.

مناسبة الآية:

بعد أن بين سبحانه شأن كل من الحق والباطل في الآيات السابقة ذكر هاهنا أحوال السعداء وأحوال الأشقياء، فقال تعالى ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ أَحْسَنُ﴾^(١).

تفسير الآية:

أي: "آمنوا به حين دعاهم إلى الإيمان به، وأطاعوه فاتبعوا رسوله وصدقوه فيما جاءهم به من عند الله"^(٢)، كما قال تعالى مخبرا عن ذي القرنين أنه قال: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَّكَرًا وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا﴾^(٣).

والآية بمعنى قوله ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(٤).

"وفي هذه الآية مثلا للفريقين: للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الاستجابة

(١) تفسير الرازي (٣١/١٩) بتصرف.

(٢) تفسير الطبري (٤١٦/١٦).

(٣) الكهف: ٨٧-٨٨.

(٤) يونس: ٢٦.

الحسنى، فيكون الحسنى صفة لمصدر محذوف"^(١). "وللكافرين الذين لم يستجيبوا"^(٢)، "وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على أنه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما"^(٣).

فلما ضرب الله مثلا للباطل وهم الذين لم يستجيبوا لدعوته إلى ما دعاهم إليه قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَن لَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: من الأموال من ذهب وفضة وغيرها. ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ﴾ ملك لهم لاقتدوا به من عذاب يوم القيامة ولو ثبت لهم ملك كل ما في الأرض جميعًا ومثله معه، ما استطاعوا أن يمنعوا عن أنفسهم العقاب السيئة،^(٤) " نظيره في آل عمران في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُخَفِّيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرًا فَلَنْ يَبْعَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ﴾^(٦) ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾^(٦).

فلما ذكر الله ﷻ أن هذه الأموال التي هي سبب استغنائهم عن ذلك الحق أو انشغالهم عنه لن تغنيهم من عذاب الله في ذلك اليوم الذي لا ريب فيه بين الله وعباده ما أعده لهم فقال: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ اللَّهُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ضَلُّهُمُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٧) يستجيبوا لهم^(٧).

ويقول السعدي ج: "أي لا يقبل لهم حسنة، ولا يتجاوز لهم عن سيئة"^(٨).

(١) تفسير الزمخشري (٥٢٤/٢).

(٢) تفسير الرازي (٣١/١٩).

(٣) تفسير البيضاوي (١٨٥/٣).

(٤) تفسير السعدي (٤١٦/١) بتصرف.

(٥) آل عمران: ١٠.

(٦) آل عمران: ٩١.

(٧) فتح القدير للشوكاني (٩١/٣) تفسير المنار (١٩١/٣) بتصرف.

(٨) تفسير السعدي (٤١٦/١).

يتبين للإنسان ذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١).

وفي الدار الآخرة، يناقشون على النقيير والقطمير، والجليل والحقير، ومن نوقش الحساب عذب.

ففي الحديث: أن عائشة 9 زوج النبي ﷺ: كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه، إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: «من حوسب عذب» قالت عائشة: فقلت أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾^(٢) قالت: فقال: إنما ذلك العرض، ولكن: من نوقش الحساب يهلك ولهذا قال: ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِمُعْجِزِينَ وَمَا أُولَئِكَ بِمُعْجِزِينَ وَمَا أُولَئِكَ بِمُعْجِزِينَ وَمَا أُولَئِكَ بِمُعْجِزِينَ﴾^(٣) من الجوع الشديد، والعطش الوجيع، والنار الحامية والزقوم والزمهرير، والضريع وجميع ما ذكره الله من أصناف العذاب ثم إنه تعالى وصف هذا المأوى فقال: ﴿وَبِئْسَ الْمَأْوَى الَّذِي كَفَرُوا بِهِمْ وَمَا أُولَئِكَ بِمُعْجِزِينَ وَمَا أُولَئِكَ بِمُعْجِزِينَ وَمَا أُولَئِكَ بِمُعْجِزِينَ وَمَا أُولَئِكَ بِمُعْجِزِينَ﴾^(٤) وبئس الفراش والمصير قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنُ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا﴾^(٥) والمستقر جهنم^(٥).

ونخلص مما سبق:

إلى أن الذين لم يطيعوا الله ولم يمتثلوا أوامره ولم ينتهوا عما نهى عنه لهم ألوان وأنواع من العذاب منها:

(١) إنهم من شدة ما يرون من هول العذاب لو استطاعوا أن يجعلوا ما في الأرض جميعاً ومثله معه فدية لأنفسهم ولو كانوا أقرب الناس من زوج وولد لفعلوا، فإن المحبوب أو لا لكل إنسان هو ذاته، وما سواها فيحب لكونه وسيلة إلى مصالحها، فإذا كان مالكا لهذا العالم كله ولما يساويه جعله فداء لنفسه.

(١) الزلزلة: ٧-٨

(٢) الانشقاق: ٨

(٣) يراجع: تفسير الرازي (٣٢/١٩).

(٤) الكهف: ٨٧، ٨٨

(٥) تفسير السعدي (٤١٦/١) بتصرف.

وفي هذا من التهويل الشديد ومن سوء ما يلقاها في ذلك اليوم، ما لا يخفى على من اعتبر وتذكر.

(٢) سوء الحساب، فيناقشون على الجليل والحقير، ذاك أن كفرهم أحبب أعمالهم، وارتكابهم للشرور والمعاصي والآثام غطى على قلوبهم وجعلها تستمرئ الغواية والضلالة، وحبهم للدنيا جعلهم يعرضون عما يقربهم إلى الله زلفى فباءوا بالخسران والهوان والنكال والهلاك.

(٣) إن مأواهم جهنم وبئس المصير يوم القيامة، إذ أنهم غفلوا عما يقربهم إلى ربهم وينيلهم كرامته ورضوانه، واتبعوا أهواءهم وانغمسوا في لذاتهم فحقت عليهم كلمته^(١).

وفي هذه الآية:

١- بشرى للذين استجابوا إلى دعوة الله فأمنوا به وصدقوا برسالة رسوله، فلهم العاقبة الحسنى.

٢- وتتنيد وإنذار للذين لم يستجيبوا: فإن لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس هي من مضجع ومهاد. وأن مصيرهم من السوء والهول بحيث لو كان لهم ما في الأرض ومثله لهان عليهم أن يفدوا به أنفسهم.

ما ترشد إليه الآية:

للطائعين أهل السعادة الذين أجابوا إلى ما دعا الله من التوحيد والنبوات الجزاء الحسن، وهو النصر في الدنيا، والنعيم المقيم غدا في الآخرة. وللعصاة أهل الشقاوة الذين لم يجيبوا إلى الإيمان بنبوته محمد ﷺ، لا يتمكنون من فداء أنفسهم في الآخرة بملء الأرض ذهباً، ومثله معه، ولهم سوء العذاب، فلا يقبل لهم حسنة، ولا يتجاوز لهم عن سيئة، ومسكنهم ومقامهم النار، وبئس الفراش الذي مهدوا لأنفسهم، فهذه أربعة أنواع من العذاب والعقوبة: عدم قبول الفداء، والتعرض لسوء الحساب، ومأواهم جهنم، وبئس المهاد مهادهم أي بئس المستقر هي.

(١) تفسير المراغي (٩١/١٣) بتصرف.

تفسير الآية التاسعة عشرة في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولَئِذَا الْأَبْصَابُ﴾

[الرعد: ١٩]

بيّن الله تعالى في هذه الآية عدم استواء من كان يعلم أن الذي أنزل من الله هو الحق مع من لا يعلم ذلك.

مناسبة الآية:

بعد ما ضرب الله تعالى المثل في الآيات السابقة بالأعمى والبصير والظلمات والنور وغيرها من الأمور المتضادة ناسب في هذه الآية ذكر آيات الله وأن من تأمل في هذه الآية علم أنها هي الحق من الله ولا حق سواه^(١).

تفسير الآية:

" الهمزة في قوله: أفمن يعلم للإنكار على من يتوهم المماثلة بين من يعلم أنما أنزل الله سبحانه إلى رسوله ﷺ من الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة، وهو القرآن، وبين من هو أعمى لا يعلم ذلك فإن الحال"^(٢). فالكلام لنفي استواء كل من المؤمن والكافر في صورة الاستفهام تنبيها على غفلة الضالين عن عدم الاستواء، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٣) واستعير لمن لا يعلم أن القرآن حق باسم الأعمى لأنه انتفى علمه بشيء ظاهر بيّن فأشبهه الأعمى، فالكاف للتشابه مستعمل في التماثل. والاستواء المراد به التماثل في الفضل بقريئة ذكر العمى. ولهذه الجملة في المعنى اتصال بقوله في أول السورة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

(١) تفسير الرازي (٣٢/١٩) بتصريف.

(٢) فتح القدير للشوكاني (٩٣/٣).

(٣) السجدة: ١٨

(٤) التحرير والتنوير (١٢٣/١٣) بتصريف يسير.

وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

الذين لهم عقول وقلوب مدركة ومتذكرة للحق فتتذكر، وتنبه إلى دلائله فتتفكر هذا تنويه بالمؤمنين الذين اهتمت عقولهم إلى الحق، فعرفوا الله حق المعرفة، وآمنوا به، كما أنه تعريض بالمشركين واتهام لهم بالسّفه، والغفلة، والغبي، والظلال وأنهم ليسوا من أصحاب العقول العاملة المبصرة^(١).

وهذه الآية تعليل للإنكار الذي هو بمعنى الانتفاء بأن سبب عدم علمهم بالحق أنهم ليسوا أهلاً للتذكر، والقصر ب أنما إضافي، أي لا غير أولي الأبواب، فهو تعريض بالمشركين بأنهم لا عقول لهم إذ انتقت عنهم فائدة عقولهم^(٢).

نخلص مما سبق:

إلى ما بيّنته هذه الآية من عدم استواء من اهتدى بمن ضل عن سبيل الله تعالى.

ما ترشد إليه الآية:

انكار على الذين كفروا أنهم ليسوا أهل للتذكرة لعدم علمهم بالحق الذي من عند ربهم.

(١) في ظلال القرآن (٢٠٥٦/٤)، التفسير القرآني للقرآن (١٠٠/٧) بتصرف.

(٢) يراجع: التحرير والتنوير (١٢٣/١٣).

تفسير الآية العشرين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: ٢٠]

ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة مدح وثناء للمؤمنين الذين يتبعون أحسن القول وذم المشركين الذين غفلوا عن آيات الله ولم يتبعوا هديه.

مناسبة الآية:

"فبعدما بيّن ﷻ أهل العقول الصحيحة، وصفهم بهذه الأوصاف المادحة،

فقال: ﴿الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾" (١).

تفسير الآية:

أي: بما عقّدوا على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته تعالى حين قالوا بلى أو ما عهد الله عليهم في كتبه الذي عهده إليهم والذي عاهدهم عليه من القيام بحقوقه كاملة موفرة، فالوفاء بها توفيتها حقها من التتميم لها، والنصح فيها ولا ينقضون ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من الموائيق بينهم وبين الله (٢).

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣)، وَنُظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ

تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٤).

وقد ظهر بهذه الآية تفضيل الذين يعلمون أن ما أنزل حق بما لهم من صفات الكمال الموجبة للفضل في الدنيا وحسن المصير في الآخرة (٥). وأكدوه بالإيمان ونحوها، وهذا تعميم بعد التخصيص، لأنه يدخل تحت الميثاق ويراد

(١) فتح القدير للشوكاني (٩٤/٣).

(٢) يراجع: تفسير السعدي (٤١٦/١)، تفسير أبي السعود (١٦/٥).

(٣) البقرة: ٥

(٤) الفرقان: ٣٤

(٥) التحرير والتنوير (١٣/١٢٤-١٢٥) بتصرف يسير.

بالميثاق ما أخذه الله على عباده حين أخرجهم من صلب آدم في عالم الذر الذين يوفون بوصية الله التي أوصاهم بها وما عقده من العهود فيما بينهم وبين ربهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(١)، أو فيما بينهم وبين العباد فلا يغدرون بذمة، ولا يفجرون ولا يخونون^(٢). "كما جاء عن الرسول ﷺ في قوله: عن أبي هريرة I، عن النبي ﷺ قال: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان"^(٣). وليسوا كالمنافقين الذين إذا عاهد أحدهم غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا حدث كذب، وإذا أؤتمن خان"^(٤).

ونخلص مما سبق:

إلى ما ذكره الله تعالى في هذه الآية من صفات الذين آمنوا (الوفاء بالعهد)، وهم الذين يدركون الحق.

ما ترشد إليه الآية:

وجوب الوفاء بالعهد: وهو يشمل كل حقوق الله وفرائضه وحقوق العباد. تحريم نقض المواثيق الإلهية والبشرية: فإذا عقد الإنسان عهداً في طاعة الله، أو مع الناس، لم يجز نقضه.

(١) الأعراف: ١٧٢

(٢) فتح القدير للشوكاني (٩٤/٣) بتصرف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٣) (١٦/١).

(٤) تفسير ابن كثير (٤٥٠/٤).

تفسير الآية الحادية والعشرين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾

[الرعد: ٢١]

ما زال السياق يتحدث عن صفات الذين آمنوا أولوا العقول السليمة والآراء الراجحة.

مناسبة الآية:

"ولما كان أمر الله جارياً على منهاج العقل وإن كان قاصراً عنه لا يمكن نبيله له من غير مرشد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾" (١).

تفسير الآية:

أي: من الإيمان بالله وغيره من الموائيق بينهم وبين الله وبين العباد، تعميم بعد تخصيص ما أمر الله به أن يوصل (٢).

وهم الذين وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ وهذا عام في كل ما أمر الله بوصله، من الإيمان به وبرسوله، ومحبته ومحبة رسوله، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له، ولطاعة رسوله. ويصلون آباءهم وأمهاتهم ببرهم وعدم عقوقهم، ويصلون الأقارب والأرحام، بالإحسان إليهم ويصلون ما بينهم وبين الأزواج والأصحاب والمماليك، بأداء حقهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أجله فليصل رحمه» (٣).

والسبب الذي يجعل العبد واصلاً ما أمر الله به أن يوصل، خشية الله

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٢٩/١٠).

(٢) تراجع: تفسير الزمخشري (٥٢٥/٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، برقم (٥٦٣)، (٥٩٨٥).

وخوف يوم الحساب، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾^(١).

قال ابن كثير ٥: "فيما يأتون وما يذرون من الأعمال، يراقبون الله في ذلك، ويخافون سوء الحساب في الدار الآخرة"^(٢) من المعاقبة عليها، ورجاء الثواب^(٣).

وتقدم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾^(٤) فيخافون وقوعه عليهم فيتركون العمل السيء^(٥).

ونخلص مما سبق:

إلى بيان صفات الذين آمنوا في أنهم يصلون الأرحام ويحسنون إليهم وإلى الأقباء والفقراء ويخشون الله ويخافون عدم مغفرة ذنوبهم.

ما ترشد إليه الآية: وجوب صلة الأرحام ورعاية جميع حقوق الله وحقوق العباد، وذلك يتناول جميع الطاعات والإيمان بجميع الكتب والرسل كلهم.

(١) يراجع: تفسير السعدي (١/٤١٦ - ٤١٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٤٥٠).

(٣) تفسير الماوردي (٣/١٠٨) بتصرف.

(٤) البقرة: ٢٢٩.

(٥) التحرير والتنوير (١٣/١٢٨) بتصرف.

تفسير الآية الثانية والعشرين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]

ونجد هذه الآية معطوفة على ما سبقها من صفات أولي الألباب.

مناسبة الآية:

ولما كان الوفاء بالعهد في غاية الشدة على النفس، قال مشيراً إلى ذلك مع شموله لغيره: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾^(١).

تفسير الآية:

ومن صفات الذين آمنوا أيضا "أنهم صبروا على الوفاء بعهد الله، وترك نقض الميثاق وصللة الرحم"^(٢) "وجاءت هذه الصلوات في الذين يوفون والذين يصلون وما عطف عليهما بصيغة المضارع في تلك الأفعال الخمسة لإفادة التجدد كناية عن الاستمرار. وجاءت صلة والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وما عطف عليها وهو وأقاموا الصلاة وأنفقوا بصيغة الماضي لإفادة تحقق هذه الأفعال الثلاثة لهم"^(٣)، والصبر على المأمورات بالامتثال، وعن المنهيات بتركها، وعلى أقدار الله المؤلمة بعدم السخط ولكن بشرط أن يكون ذلك الصبر لله تعالى لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة، وهو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان، وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد ومنتهاه الفخر، فهذا يصدر من البر، والفاجر، والمؤمن، والكافر، فليس هو المطلوب والممدوح على الحقيقة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٣٠/١٠).

(٢) تفسير الطبري (٤٢١/١٦).

(٣) التحرير والتنوير (١٢٨/١٣).

﴿تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(١) لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة^(٢).

وفى قوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ معطوفة على ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ إذ كان الصبر جامعا ومطلقا في كل ما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكليف والإنفاق في السر والعلن، فهذه كلها مما لا يقوم بالوفاء بها إلا من رزقه الله الصبر والاحتمال وهذا ما يشير إليه قوله تعالى عن الصلاة: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَنُقِبَةُ لِلنَّقْوَى﴾^(٣).

وأفرد الله تعالى الصلاة، والزكاة، بالذكر تنبيها على كونهما أشرف سائر العبادات، ولا يتمنع دخول النوافل فيه أيضا^(٤).

ومما يشير إليه قوله سبحانه عن درء السيئة بالحسنة، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٥) وقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾^(٦) ويدفعون من رأوا منه مكروها بالتي هي أحسن بأن وصفوا لهم دواءً بأن يدفعوا السيئات بالحسنات^(٧).

بعد ما وصف الله جل في علاه الذين آمنوا بأنهم يدفعون السيئة بالحسنة بين مآلهم في الآخرة في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عِزٌّ فِي الدَّارِ﴾ أي أولئك الذين وصفت صفاتهم الجليلة ومناقبهم الجميلة لهم العقبى^(٨).

(١) العصر: ٢-٣

(٢) تفسير السعدي (٤١٦/١) بتصرف.

(٣) طه: ١٣٢

(٤) ينظر: الباب في علوم الكتاب (٢٩٤/١١) تفسير النسفي (١٥٢/٢).

(٥) فُصِّلَتْ: ٣٤

(٦) المؤمنون: ٩٦

(٧) تفسير ابن عطية (٣٠٩/٣) بتصرف.

(٨) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٥١/٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٣٠/١٠).

ويقول المراغي ^(١): "أولئك الذين وصفناهم بتلك المحاسن والكمالات التي بلغت الغاية في الشرف والكمال هم الذين لهم العقبى الحسنة في الدار الآخرة"^(١).

ثم بين هذه العقبى فقال: إقامة لا يزولون عنها، لأنهم لا يرون فوقها غاية لما فيها من النعيم والسرور، الذي تنتهي إليه المطالب والغايات بالإقامة يوم القيامة بأحسن دار وهي الجنة^(٢).

نخلص مما سبق:

إلى أن الذين صبروا على الأذى والطاعة، والمعصية طلباً لرضا ربهم، وأدّوا الصلاة و زكاة أموالهم، والنفقات المستحبة في الخفاء والعلن، ويدفعون بالحسنة السيئة، لهم العاقبة المحمودة في الآخرة.

ما ترشد إليه هذه الآية: الصبر بإخلاص لله تعالى على الطاعة، وعن المعصية، وعلى الرزايا والمصائب، والحوادث والنوائب.

(١) تفسير المراغي (٩٤/١٣).

(٢) تفسير السعدي (٤١٧/١) بتصريف.

تفسير الآية الثالثة والعشرين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣]

ذكر الله تعالى في الآيات السابقة صفات أولي الألباب و في هذه الآيات بين الله ﷻ مآلهم في الآخرة.

مناسبة الآية:

بين الله تعالى في الآية السابقة مآل العال والرتبة في قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عِزٌّ فِي الدَّارِ﴾ وبينها في هذه بقوله: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾^(١).

تفسير الآية:

أي تلك العقبى هي جنات إقامة، يخلدون فيها لا يخرجون منها أبدا. قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢).

ثم ذكر ما يكون فيها من الأنس باجتماع الأهل والمحبين الصالحين فقال: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ فمن تمام نعيمهم وقرة أعينهم في الجنة^(٣) أن يلحق ذوي الصالحين من آباء وأبناء وأزواج بالصالحين.

وهي لذة أخرى تضاعف لذة الشعور بالجنان، وهذا قيد احترازي كما هو المتبادر لإخراج غير الصالحين من اتباع الصالحين من المؤمنين مهما كانت صلة القرابة بينهم وثيقة، ومثل هذا القيد ورد في سورة غافر قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٣١/١٠) بتصرف.

(٢) التوبة: ٧٢

(٣) تفسير السعدي (٤١٦/١) بتصرف.

وَأَدْخَلَهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴿١﴾ حيث يبدو أن حكمة التنزيل اقتضت توكيد هذا المعنى مرة بعد مرة وهي حكمة جليلة المدى والمغزى بدون ريب على اللحاق بأعمالهم بالصالحين منهم لينالوا درجاتهم عند الله تعالى^(٢).

وفى هذه الآية إيماء إلى أنه في ذلك اليوم لا تنفع الأنساب إذا لم يسعفها العمل الصالح، فالآباء والأزواج والذرية لا يدخلون الجنة إلا بعملهم، وقد أشار إلى ذلك الكتاب الكريم: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٣).

وفى الحديث: عن أبي هريرة I، قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﷻ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٤)، قال: «يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليمان ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً»^(٥)، وهذا ما تشير إليه الآية حيث يكونون في الجنة هم وآباؤهم الذين صلحت عقائدهم وأعمالهم^(٦).

ويقول البقاعي G: "ثم زاد في الترغيب بقوله ﷻ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ لأن الإكثار من ترداد رسل الملك أعظم في الفخر وأكثر في السرور والعز^(٧)"

ويقول ابن كثير G: "أي: وتدخل عليهم الملائكة من هاهنا وهاهنا للتهنئة

(١) غافر: ٨

(٢) في ظلال القرآن (٢٠٥٨/٤)، التفسير الحديث (٥٣٤/٥) بتصرف .

(٣) الشعراء: ٨٨-٨٩

(٤) الشعراء: ٢١٤

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟، برقم (٢٧٥٣)، (٦/٤).

(٦) تفسير المراغي (٩٥/١٣) بتصرف.

(٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٣١/١٠).

بدخول الجنة"^(١).

نخلص مما سبق:

إلى أن العاقبة الحسنة للذين آمنوا ومن صلحت عقائدهم وأعمالهم من ذريتهم في الجنة ودخول الملائكة عليهم تحييتهم من كل باب زيادة في النعيم.

ما ترشد إليه الآية:

للسعداء الطائعين عاقبة الآخرة: وهي الجنة بدل النار، والدار غدا داران: الجنة للمطيع، والنار للعاصي.



(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٥١).

تفسير الآية الرابعة والعشرين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]

مناسبة الآية:

ولما ذكر الله ﷻ أن من نعيم الذين آمنوا أن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب، وزيادة على هذا التكريم تسلم عليهم وتهنئهم بما حصل لهم من الله ومن التقرب والإنعام، فقال: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(١).

تفسير الآية:

فقوله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ على طاعة ربكم في الدنيا مما يصيب غيركم من المكاره^(٢) فحقيق بمن نصح نفسه وكان لها عنده قيمة، أن يجاهدها، لعلها تأخذ من أوصاف أولي الألباب بنصيب، ولعلها تحظى بهذه الدار، التي هي منية النفوس، وسرور الأرواح الجامعة لجميع اللذات والأفراح، فلمثلها فليعمل العاملون وفيها فليتنافس المتنافسون^(٣).

نخلص مما سبق:

إلى أن الموصوفون بهذه الصفات لهم المآل المحمودة في الآخرة.

ما ترشد إليه الآية:

تدخل أفواج الملائكة من مختلف أبواب الجنة مهتئة المؤمنين، ومبشرة لهم بالسلامة، قائلين لهم: سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار أي قد سلمتم من الآفات والمحن، أو هو خبر بمعنى الدعاء، أي ندعو لكم بدوام السلامة، سلمكم الله، وهذا يتضمن الاعتراف بالعبودية.

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٥١) بتصرف.

(٢) تفسير الطبري (١٦/٤٢٤) بتصرف.

(٣) تراجع: تفسير السعدي (١/٤١٦)، أيسر التفاسير للجزائري (٣/٢٤) بتصرف.

تفسير الآية الخامسة والعشرين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]

يخبرنا الحق تبارك وتعالى في هذه الآية عن صفات الذين كفروا ومالوا عن الحق واتبعوا الباطل.

مناسبة الآية:

"فلما ذكر الله ﷻ صفات السعداء وذكر ما ترتب عليها من الأحوال الشريفة العالية أتبعها بذكر حال الأشقياء، وذكر ما يترتب عليها من الأحوال المخزية المكروهة، وأتبع الوعد وبالوعيد والثواب بالعقاب، ليكون البيان كاملاً فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾" (١).

تفسير الآية:

يبين الله تعالى في هذه الآية الذين ينقضون عهد الله، ونقضهم ذلك، خلافهم أمر الله، وعملهم بمعصيته (٢) والميثاق ما يوثق به الشيء وأريد به الاعتراف بقول: بلى وقد يسمى العهد من الطرفين ميثاقاً لتوثيقه بين المتعاهدين (٣).

ثم قال تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ "يعني الأرحام ويقال: الإيمان

بالنبيين" (٤) وذلك في مقابلة قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾

(١) تفسير الرازي (٣٨/١٩).

(٢) تفسير الطبري (٤٢٨/١٦) بتصرف.

(٣) يراجع: تفسير الألوسي (١٣٩/٧).

(٤) تفسير السمرقندي (٢٢٥/٢).

ثم قال تعالى ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^١ أي: بالكفر وارتكاب المعاصي^(١) "والإضرار بالأنفس والأموال"^(٢) ثم إنه تعالى بعد ذكر هذه الصفات ذكر الله ﷻ بأن لهم اللعنة في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾، وهذه الآية مقابل قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ عُقَبُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢] والبعد عن رحمة الله تعالى، وإضافة سوء الدار التي ختمت بها هذه الآية كإضافة عقبي الدار التي ختمت بها الآية السابقة والسوء ضد العقبي كما تقدم^(٣).

ونخلص مما سبق:

إلى أن الله تعالى بين في هذه الآية صفات الذين كفروا الذميمة من نقض العهد والميثاق وقطع صلاتهم مع الناس والإفساد في الأرض مقابلة بصفات الذين آمنوا الطيبة في الآيات السابقة.

ما ترشد إليه الآية:

تحريم نقض العهد الإلهي بالإيمان وإيتاء الحقوق، الذي أقام عليه تعالى لأدلة العقلية والسمعية، وأوجب الوفاء به في قرآنه وكتبه المنزلة على أنبيائه.

(١) تفسير القرطبي (٣١٤/٩) بتصرف.
 (٢) فتح القدير للشوكاني (٩٥/٣).
 (٣) التحرير والتنوير (١٣٣/١٣) بتصرف.

تفسير الآية السادسة والعشرين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦].

دلّت هذه الآية على انفراده تعالى بالرزق والتذكير بأنه سبحانه و تعالى الرازق لعباده على حسب مشيئته سبحانه.

مناسبة الآية:

"اعلم أنه تعالى لما حكم على من نقض عهد الله في قبول التوحيد والنبوة بأنهم ملعونون في الدنيا ومعذبون في الآخرة فكأنه قيل: لو كانوا أعداء الله لما فتح الله عليهم أبواب النعم واللذات في الدنيا، فأجاب الله تعالى عنه بهذه الآية وهو أنه يبسط الرزق على البعض ويضيقه على البعض في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾" (١).

تفسير الآية:

بين الله تعالى في هذه الآية أن بسط الرزق بما آتاهم في الحياة الدنيا استدراجاً وإمهالاً لهم (٢).

ويقول الشوكاني (٣): "يبسط الرزق لمن كان كافراً، ويقتره على من كان مؤمناً ابتلاءً وامتحاناً، ولا يدل البسط على الكرامة ولا القبض على الإهانة" (٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ (٤) وقوله تعالى:

(١) تفسير الرازي (٣٨/١٩).

(٢) تفسير القرطبي (٣١٤/٩) بتصرف.

(٣) فتح القدير للشوكاني (٩٦/٣).

(٤) الطلاق: ٧.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ سَاعٍ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ وهو معطوف على قوله تعالى: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ٢٥] ويقول الزمخشري في معنى هذه الآية: "أهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم، ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة، وخفى عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً نزرأ يتمتع به كعجالة الراكب، وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك"^(٢).

ويقول ابن كثير في: "ثم حقر الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما ادخره تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة فقال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]"^(٣) "أي: وما في الحياة من النعيم والسرور عند نعيم الآخرة في البقاء إلا شيء قليل كمتاع البيت مثل السكرجة"^(٤) والقدح والقدر"^(٥) قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^(٦) وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٧).

وفي حديث أبي أسامة^(٨) عن الرسول ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه وأشار يحيى بالسبابة في اليم، فلينظر بم ترجع؟»^(٩).

(١) المؤمنون: ٥٥

(٢) تفسير الزمخشري (٢/٥٢٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٤٥٤).

(٤) السُّكْرَجَةُ: إناءٌ صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم. انظر: المعجم الوسيط (١/٤٣٩).

(٥) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١/٢٠٨).

(٦) النساء: ٧٧

(٧) الأعلى: ١٥-١٦

(٨) هو: الحارث بن محمد بن أبي أسامة داهر التميمي: من حفاظ الحديث له (مسند) لم يرتبه توفي رضي الله عنه سنة: (٢٨٢هـ-٨٩٦م). انظر: أسد الغابة ط العلمية (٢/٣٥٠)، الأعلام للزركلي (٢/١٥٧).

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم

نخلص مما سبق:

إلى ما بيّنته الآية السابقة أن الله تعالى بيده الرزق وتكفل به لعباده.

ما ترشد إليه الآية:

الله تعالى مصدر الرزق، يوسع فيه على من يشاء، ويقتره على من يشاء،
على وفق حكمته وعدله.



تفسير الآية السابعة والعشرين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾ [الرعد: ٢٧]

تبيّن هذه الآية سبب أعراض الكافرين عن ذكر الله.

مناسبة الآية:

" لما ذكر الله سبحانه عاقبة المشركين بقوله: ولهم سوء الدار كان لقائل أن يقول: قد نرى كثيرا منهم قد وفر الله له الرزق وبسط له فيه، فأجاب عن ذلك بقوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾^(١)."

تفسير الآية:

يخبر تعالى أن الذين كفروا بآيات الله من أهل مكة بطروا واغتروا بالدنيا يتعننون على رسول الله ﷺ، ويفترحون ويقولون هلاً أنزل على محمد آية من ربه في قوله: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ وبزعمهم أنها لو جاءت لأمنوا في وهذه الآية تكون^(٢) معجزة قاهرة ظاهرة مثل معجزات موسى، وعيسى عليهما السلام^(٣).

ثم أمر الله ﷻ رسوله ﷺ في ختام هذه الآية أن يبين لهم أن إنزال الآيات لا دخل له في هداية ولا ضلال فالأمر كله بيده ﷻ حين أجاب عن هذا السؤال بقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾ أي: "كما أضلكم بعد ما أنزل من الآيات وحرمكم الاستدلال بها يضلكم عند نزول غيره^(٤)"، قال تعالى: ﴿ قُلْ

(١) فتح القدير للشوكاني (٩٦/٣).

(٢) تفسير السعدي (٤١٧/١) بتصرف.

(٣) انظر: تفسير الرازي (٣٩/١٩).

(٤) تفسير القرطبي (٣١٥/٩).

أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وقوله تعالى:
﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢﴾ وقوله ﴿لَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ
حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٣﴾ قال ﴿لَوْ جَاءَتْهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ ﴿٤﴾ وقوله
تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿٥﴾ يهدي من أقبل إلى
الحق بأدنى ما جنبت به من الآيات ﴿٦﴾. "فليست الهداية والضلال بأيديهم حتى
يجعلوا ذلك متوقفا على الآيات، ومع ذلك فهم كاذبون" ﴿٧﴾.

ونخلص مما سبق:

إلى ما بين الله تعالى في الآية السابقة إن الكافرين الذين يقولون لو أنزلت
على محمد آية يقترحونها مثل ما أنزل الله على الأنبياء السابقين ⊕ من قبله فرد
الله تعالى عليه إن هذه الآيات أمرها إلى الله ليس عليك إلا البلاغ والإنذار
والتخويف من عقاب الله.

ما ترشد إليه الآيات:

اقترح الآيات على الرسل جهل، بعد أن رأوا آية واحدة تغني عن كل آية،
هي القرآن، تدل على الصدق، وصحة النبوة والوحي، وكونه كلام الله.

(١) يونس: ١٠١

(٢) يونس: ٩٦

(٣) يونس: ٩٧

(٤) محمد: ١٧

(٥) مريم: ٧٧

(٦) تفسير الرازي (٣٩/١٩)، تفسير البيضاوي (١٨٧/٣)، تفسير المراغي (٩٩/١٣) بتصرف

(٧) تفسير السعدي (ص: ٤١٧).

تفسير الآية الثامنة والعشرين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[الرعد: ٢٨]

ذكر الله تعالى في هذه الآيات أن الذين أقبلوا على الحق اتجهوا إلى الله هم من تسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله تعالى.

مناسبة الآية:

ففي هذه الآية استئناف اعتراض مناسبه المضادة لحال الذين أضلهم الله، والبيان لحال الذين هداهم الله لأن قولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾ يتضمن أنهم لم يعدوا القرآن آية من الله، ثم التصريح بجنس عاقبة هؤلاء، والتعريض بضد ذلك لأولئك، فذكرها عقب الآية السابقة يفيد الغرضين ويشير إلى السببين، ولذلك لم يجعل الذين آمنوا بدلا من من أناب في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لأنه لو كان كذلك لم تعطف على الصلة قوله: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾ ولا عطف ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ على الصلة الثانية فالذين آمنوا الأول مبتدأ، وقوله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ معترضة والذين آمنوا الثاني بدل مطابق من الذين آمنوا الأول، وقوله: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا أَجَبْتَ﴾ [الرعد: ٢٩] خبر المبتدأ^(١).

تفسير الآية:

يبين الله ﷻ في هذه الآية أن النفوس تسكن وتستأنس بتوحيد الله^(٢)، وهم من أشار إليهم بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ بذكر الله وذكر رحمته

(١) التحرير والتنوير (١٣٧/١٣) بتصرف.

(٢) تفسير القرطبي (٣١٥/٩) بتصرف.

ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته، كقوله أو تطمئن بذكر دلالة الدالة على وحدانيته، أو تطمئن بالقرآن لأنه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها^(١). وفي ختام الآية قال تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: ألا بذكر الله كتابه الذي أنزله ﷻ وحده حين تعرف معانيه وأحكامه فيزول به القلق والاضطراب من خشيته، بما يفيضه عليها من نور الإيمان الذي يذهب الهلع والوحشة.

كما قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٢)، وفي الآية إيماء إلى أن الكفار غير مستجيبين لما يأتيهم من الآيات^(٣)، قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾^(٤) فالذي يذكر الله يجده قريباً منه، سامعاً دعاءه مستجيباً له، قال جل شأنه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾^(٦) وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٧)، أي: للذين في قلوبهم قسوة من ذكر الله، وقوله تعالى في آخرها: ﴿ثُمَّ تَلِيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٨) وقوله تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/٥٢٨).

(٢) الأنفال: ٢

(٣) يراجع: تفسير السعدي (١/٤١٨)، تفسير أبي السعود (٥/٢٠)، تفسير المراغي (١٣/١٠٠-١٠١).

(٤) آل عمران: ١٠١

(٥) البقرة: ١٨٦

(٦) الرُّخُوف: ٤٤

(٧) الزُّمَر: ٢٢

(٨) الزُّمَر: ٢٣

عَمَلُونَ ﴿١﴾ ولهذا قَدَّمَ اللهُ وَعَلَى الْإِيمَانِ عَلَى الذِّكْرِ لِيَكُونَ لِلذِّكْرِ أَصْلٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ،
وَمَنْطِقٌ يَنْطِقُ مِنْهُ، وَهُوَ الْإِيمَانُ (٢).

ويقول ابن عاشور ٥: "والذكر من أسماء القرآن، ويجوز أن يراد ذكر الله باللسان فإن إجراءه على اللسان ينبه القلوب إلى مراقبته" (٣).

ونخلص مما سبق:

إلى ما يرشدنا الله في الآية السابقة أن من صفات أهل الإيمان، أنهم إذا ذكروا الله، أو ذُكِّروا به، سكنت قلوبهم، واطمأنت به، وغشيتهم الأمن والسلام.

ما ترشد إليه الآية:

الإضلال والهداية من الله، وللإنسان دور فيهما، فالكافر هو الذي عاند وعارض ولم يؤمن، فلم يهده الله، والمؤمن هو الذي آمن وعمل الصالحات، فزاده الله هدى.

(١) الْمُؤْمِنُونَ: ٦٣

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١١٠/٧)، التفسير الحديث (٥٣٨/٥) بتصرف.

(٣) التحرير والتنوير (١٣٨/١٣).

تفسير الآية التاسعة والعشرين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٢٩].

ذكر تعالى في هذه الآية مدح وثناء للمؤمنين لاطمئنان قلوبهم، و سلامة دينهم من كل نقص.

مناسبة الآية:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بدلٌ من القلوب على حذف المضافِ بدلَ الكلِّ حسبما رُمز إليه أي قلوبُ الذين آمنوا وفيه إيحاءٌ إلى أن الإنسان إنما هو القلبُ أو مبتدأٌ خبرُهُ الجملةُ الدعائيةُ على التأويل في قوله: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾^(١).

تفسير الآية:

أي: الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أعمال القلوب، وأعمال الجوارح كالصلاة^(٢)، وفيه إشارة إلى أن ذكر الله تعالى أفضل الأعمال الصالحة^(٣) ثم قال

تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ أي: لهم حالة طيبة ومرجع حسن، وذلك بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا والآخرة، ومن جملة ذلك شجرة طوبى التي في الجنة، التي يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، كما وردت بها الأحاديث الصحيحة: عن أنس بن مالك I، عن النبي ﷺ، قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجْرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا»^(٤).

وفى هذا من الترغيب في طاعته، والتحذير من معصيته، ومن شديد

(١) تفسير أبي السعود (٢٠/٥) بتصريف يسير.

(٢) تفسير الطبري (٤٣٣/١٦) بتصريف.

(٣) تفسير الألوسي (١٤٣/٧) بتصريف يسير.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم (٣٢٥١) (١١٩/٤).

عقابه، ما لا خفاء فيه^(١).

كما جاء في الحديث: عن سهل بن سعد الساعدي^(٢)، يقول: شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال ﷺ في آخر حديثه: «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ»^(٣).

نخلص مما سبق:

إلى ما بين الله تعالى في الآية الكريمة من مآل الذين آمنوا واتبعوا الحق بأن لهم العقابة الحسنة في الآخرة.

ما ترشد إليه الآية:

للمؤمنين الذين يعملون الصالحات الجنة والخير والنعمة والفرح وحسن المرجع، وفي هذا ترغيب في الطاعة، وتحذير من المعصية، ومن سوء العقاب والمصير.

(١) ينظر: تفسير المراغي (١٠١/١٣)، تفسير السعدي (٤١٨/١) بتصرف.

(٢) هو: سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن الحارث بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الساعدي الأنصاري، من بني ساعدة: صحابي، من مشاهيرهم. من أهل المدينة. عاش نحو مئة سنة. له في كتب الحديث ١٨٨ حديثاً، توفي I (٩١هـ-٧١٠م). انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٦٦٤/٢)، الأعلام للزركلي (١٤٣/٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، برقم (٢٨٢٥) (٢١٧٥/٤).

تفسير الآية الثلاثين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتَلَّوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]

ذكر الله ﷻ في هذه الآية إنه ﷺ كما أرسل إلى الأمم السابقة من قبل رسلاً كذلك أرسلناك إلى هذه الأمة، وأنزلنا إليك القرآن لتقرأه عليهم، وتوضح معانيه، وتنذرهم به، وهم يكفرون بالله، ويجحدون آياته.

مناسبة الآية:

بعد أن ذكر الله تعالى لرسوله محمد ﷺ في الآيات السابقة حال أولئك الذين يطلبون آية فلم يستشعروا طمأنينة الإيمان فهم في قلق دائم يطلبون الخوارق. ولست يا محمد أول رسول جاء لقومه بمثل ما جئت به حتى يكون الأمر عليهم غريباً، فقد خلت من قبلهم الأمم والرسول. فإذا كفروا هم فلتتمض على نهجك ولتتوكل على الله قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾^(١).

تفسير الآية:

أي: "مثل ذلك الإرسال أرسلناك يعني أرسلناك إرسالا له شأن وفضل على سائر الإرسالات. ثم فسر كيف أرسله فقال: ﴿فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ فهي آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء. ثم ذكر مقصود الإرسال فقال تعالى: ﴿لِيَتَلَّوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك"^(٢)، ومن رحمته لهم إرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم كما قال سبحانه: ﴿وَمَا

(١) في ظلال القرآن (٢٠٦١/٤) بتصرف يسير.

(٢) تفسير النيسابوري (١٦٠/٤).

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١﴾ فلك أسوة بالأنبياء السابقين من قبلك^(٢) وقال تعالى:
﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنِّي أَنبِئُكُمْ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴾^(٣) "وَأَنَّ قَوْمَهُ سَبَقَهُمْ أَقْوَامٌ كَثِيرُونَ، وَطَلَبُوا الْآيَاتِ مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ، وَأَجَابُوهُمْ
إِلَىٰ مَا طَلَبُوا، وَلَمْ تَغْنَهُمُ الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ"^(٤)، وقد تقدّم نظيره في قوله تعالى:
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾^(٥).
وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي
الْأَسْوَاقِ ﴾^(٦).

وحال قومك في قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ فلم يقابلوا رحمته
وإحسانه التي من أعظمها أن أرسلناك إليهم رسولا وأنزلنا عليك كتابا بالقبول
والشكر، بل قابلوها بالإنكار والرد، ولم يعتبروا بمن سبقهم من قبلهم من
القرون المكذبة كيف أخذهم الله بذنوبهم^(٧) ثم قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ ﴾ أي هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء^(٨).

"وقوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ هي نتيجة لكونه ربا واحدا ولما
اتصف بالرحمانية كان المتاب إليه، لأن رحمانيته مظنة لقبوله توبة عبده، ولما
كان المتاب متضمنا معنى الرجوع إلى ما يأمر الله به عدي المتاب بحرف
إلى"^(٩).

(١) الأنبياء: ١٠٧

(٢) فتح القدير للشوكاني (٩٨/٣) بتصريف يسير.

(٣) الأحقاف: ٩

(٤) تفسير المراغي (١٠٢/١٣).

(٥) البقرة: ١٤٣

(٦) الفرقان: ٢٠

(٧) تفسير الرازي (٤١/١٩) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٣٩/١٠) بتصريف.

(٨) تفسير النسفي (١٥٤/٢) بتصريف يسير.

(٩) التحرير والتنوير (١٤٢/١٣).

ويقول السعدي: "والإيه أرجع في جميع عباداتي وفي حاجاتي"^(١).

نخلص مما سبق:

إلى ما بين الله تعالى في الآية السابقة من إرسال الرسل إلى الأمم السابقة رسلاً بينوا لهم الحق، فمنهم من ضلّ ومنهم من اهتدى، فقل لهم يا محمد الله جل في علاه الذي خلقتني وأسبغني بنعمه المتعددة فعليه توكلني، واعتمادي.

ما ترشد إليه الآية:

إرسال الرسل قبل إرسال محمد ﷺ كان ظاهرة عامّة، قد يؤمن بهم بعض أقوامهم، وقد يكذبهم الأكثرون، ويكفرون بالرحمن.

(١) تفسير السعدي (٤١٨/١).

تفسير الآية الحادية والثلاثين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١].

يخبر سبحانه و تعالى في هذه الآية عن أفضلية القرآن على سائر الكتب المنزلة قبله

مناسبة الآية:

" ولما ذكر تعالى علة إرساله وهي تلاوة ما أوحاه إليه، ذكر تعظيم هذا الموحى وأنه لو كان قرآنا تسير به الجبال عن مقارها، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾" (١).

تفسير الآية:

والمعنى: ولو أن قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها، وزعزعت عن مضاجعها أو قطعت به الأرض حتى تتصدع وتتنازل قطعاً أو كلم به الموتى فتسمع وتجبب، لكان هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وما ورد فيه من الآيات الدالة على قدرة الله تعالى في الكون، ولما فيه من الإعجاز والحكم، ولكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف، كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢). هذا يعضد ما فسرت به قوله: ﴿لِتَتْلَوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٠] من إرادة تعظيم ما أوحى إلى رسول الله ﷺ من القرآن قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَابٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (٣).

(١) البحر المحيط في التفسير (٣٨٨/٦).

(٢) الحشر: ٢١

(٣) الأنعام: ٧

وقوله تعالى: ﴿بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ فلو شاء أن يؤمنوا لآمنوا وإذا لم يشأ أن يؤمنوا لم ينفع تسيير الجبال، فالإضراب متوجه إلى ما يؤدي إليه كون الأمر لله سبحانه^(١) فيأتي بالآيات التي تقتضيها حكمته، فما بال المكذبين يقترحون من الآيات ما يقترحون؟ فهل لهم أو لغيرهم من الأمر شيء؟ فكل ذلك من تسيير الجبال وغيره بيد الله جميعاً^(٢).

ويدل على أن هذا هو المعنى المراد من ذلك قوله: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِسَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَوْ يَشَاءَ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي: أفلم يعلم الذين آمنوا أن الله تعالى لو شاء هداية الناس لهداهم أجمعين، لعلمهم أن الله تعالى لو أراد هدايتهم لهداهم حتى يميز الخبيث من الطيب فإنه ليس ثمة حجة ولا معجزة أنجع في العقول من هذا القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، لكنه لم يشأ ذلك^(٣).

وهذا التمني من المسلمين ليس الأول، فقد وقع قبل، وذكرته آيات سورة الأنعام بعبارة مقاربة في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّمُؤْمِنٍ بِهَا قُلٌّ لِّإِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ وَنَقَلِبُ أَعْيُنَهُمْ وَابْصُرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾^(٤)، وهذه الآيات تتضمن الإشارة إلى شدة عناد الكفار وإصرارهم وترهص باليأس منهم ولو على سبيل تسليية المؤمنين^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ تهديد للكافرين بأن يأتيهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني (١٠٠/٣).

(٢) تفسير السعدي (٤١٨/١) بتصرف يسير.

(٣) فتح القدير للشوكاني (١٠١/٣)، تفسير المراغي (١٠٥/١٣)، الموسوعة القرآنية (١٥٨/١٠) بتصرف يسير.

(٤) الأنعام: ١٠٩-١١٠-١١١.

(٥) التفسير الحديث (٥٤٢/٥-٥٤٣).

والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم أو تحل قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطأير إليهم شرارها، ويتعدى إليهم شرورها^(١)، بسبب فعلهم وهو كفرهم وسوء معاملتهم نبيهم. وأتى في ذلك بالموصول لأنه أشمل لأعمالهم. ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ بيوم بدر أو فتح مكة. وقد أشار المولى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليها بقوله تعالى:

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٢) في مدة إصابتهم بالسنين السبع^(٣).

ختم الله تعالى الآية "بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِعَادَ﴾ وهذا تهديد لهم وتخويف من نزول ما وعدهم الله به على كفرهم وعنادهم وظلمهم"^(٤).

نخلص مما سبق:

إلى ما تشير الآية السابقة إلى شدة عناد الكافرين وتعنتهم في طلبهم معجزة غير القرآن ولا يزال الكافرين كذلك حتى تنزل بهم مصيبة بسبب كفرهم وعنادهم ليتعضوا ويعتبروا ولكنهم يصرون على ذلك حتى يأتي يوم القيامة الذي وعده الله بهم وهو أت لا محالة والله تعالى لا يخلف ميعاده.

ما ترشد إليه الآية:

لو كان هناك كتاب سماوي يقوم بنقل الجبال من أماكنها، وتفجير الأنهار والعيون وشق الأرض، وتكليم الموتى لإحيائها، لكان هذا القرآن، ولو فعل هذا قرآن قبل قرآنكم لفعله قرآنكم.

(١) تفسير الزمخشري (٥٣١/٢) بتصرف يسير.

(٢) البقرة: ١٥٥

(٣) التحرير والتنوير (١٤٥/١٣) بتصرف يسير.

(٤) تفسير السعدي (ص: ٤١٨).

تفسير الآية الثانية والثلاثين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ

عِقَابٍ﴾ [الرعد: ٣٢]

بيّن الله تعالى في هذه الآية أهمية رسالة نبينا محمد ﷺ وما أرسل به.

مناسبة الآية:

فاعلم أن القوم لما طلبوا سائر المعجزات من الرسول ﷺ على سبيل الاستهزاء وكان هذا يشق على رسول الله ﷺ أنزل الله تعالى هذه الآية تصبيرا له على سفاهة قومه فقال: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾^(١).

تفسير الآية:

"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد إن يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ويطلبوا منك الآيات تكذيباً منهم ما جئتهم به، فاصبر على أذاهم لك وامض لأمر ربك في إنذارهم"^(٢)، وهذه الآية تأنيس للنبي ﷺ، أي لا يضيق صدرك يا محمد بما ترى من قومك وتلقى منهم، فليس ذلك ببدع ولا نكير، قد تقدم هذا في الأمم السابقة.

ثم بين سبحانه شأنه مع المكذبين فقال: ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ

كَانَ عِقَابٍ﴾ أي أنظرتهم وأجلتهم وتركتهم ملاوة أي مدة من الزمان في خفض وأمن ودعه، والإملاء: الإمهال على جهة الاستدراج، ومنه: تمليت حسن العيش. وقوله: فكيف كان عقاب قومه تقرير وتعجيب، في ضمنه وعيد للكفار المعاصرين لمحمد ﷺ^(٣) كما قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ

(١) تفسير الرازي (٤٤/١٩).

(٢) تفسير الطبري (٤٦٠/١٦).

(٣) يراجع: تفسير ابن كثير (٤٦٢/٤) تفسير ابن عطية (٣١٣/٣-٣١٤)، تفسير النسفي (١٥٦/٢) بتصرف.

ثُمَّ أَخَذَتْهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿١﴾.

ففي ختام الآية جاء قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذَتْهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: انظر كيف كان عقابي إياهم وتعبيري عليهم بالعذاب الشديد الذي لا يمكن وصفه ولا تُعرف حاله^(٢).

ويقول البقاعي: "واعلم أنني سأنتقم من هؤلاء الكفار كما انتقمت من أولئك المتقدمين والإملاء والإمهال وأن يتركوا مدة من الزمان في خفض وأمن كالبهيمة يملأ لها في المرعى، وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله ﷺ على سبيل الاستهزاء"^(٣).

نخلص مما سبق:

إلى ما في هذه الآيات من تسلية للنبي ﷺ فيما وجده من قومه من سخرية واستهزاء وتهديد ووعد للذين كفروا بأن الله تعالى ينزل عليهم عقابه الشديد، ولم يفلت أحد منهم من عقابه.

ما ترشد إليه الآية:

دلت آية ولقد استهزئ على تسلية النبي ﷺ والتبصير له على سفاهة قومه، فإن أقوام سائر الأنبياء استهزءوا بهم، كما أن قومك يستهزئون بك.

(١) الحج: ٤٨

(٢) تفسير البيضاوي (١٨٨/٣)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢٠٩/١) بتصرف.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٤٧/١٠).

تفسير الآية الثالثة والثلاثين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۖ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا قَلَّ سَمْعُهُمْ ۖ أَمْ تَنْتَوْنَهُ ۚ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بظَهْرِ أُمَّ الْقَوْلِ مِنَ الْقَوْلِ ۚ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣]

في هذه الآية توبيخ للذين أشركوا مع الله الحق المعبود الذي لا يعبد سواه إلهاً آخرًا.

مناسبة الآية:

"ولما تقرر بما مضى من قدرته تعالى على الثواب والعقاب وخفضه الأرضين ورفع السماوات ونصبه الدلالات بباهر الآيات البيّنات أن ليس لأحد غيره أمر ما، وتحرر أن كل أحد في قبضته، تسبب عن ذلك أن يقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾" (١).

تفسير الآية:

أي: حفيظ عليم رقيب على كل نفس بما كسبت من خير أو شر لا يخفي عليه شيء من أعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم، فلا يخفى عليه خافية سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا

(١) تفسير الرازي (٤٤/١٩).

(٢) يونس: ٦١.

فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢﴾ وقوله: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ﴿٣﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤﴾ أفمن هو هكذا كالأصنام التي يعبدونها لا تملك نفعا لأنفسها ولا لعابديها، ولا كشف ضرر ومع علمهم بهذا الا أنهم عبدوها وجعلوها لله شركاء قال تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ﴿٥﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ عطف على كسبت للتنبيه على أنه المستحق للعبادة وقوله: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ ﴿٦﴾ أي: أعلمونا بهم، واكشفوا عنهم حتى يعرفوا، فإنهم لا حقيقة لهم؛ ولهذا قال: ﴿أَمْ تَتَّبِعُونَهُم بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظِهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ﴿٧﴾ أي: لا وجود له؛ لو كان له وجود في الأرض لعلمها؛ ﴿٦﴾ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ ﴿٧﴾ ثم قال: ﴿بَلْ زَيْنَ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ ﴿٨﴾ ولكن زين للذين كفروا من أهل مكة كفرهم ﴿٨﴾.

وما زادهم ذلك إلا اعراضاً عن الحق في قوله تعالى: ﴿وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ ﴿٩﴾ أي: صرفوا عن الدين ﴿٩﴾ وحالت بينهم وبين الهدى، ومالت بهم عن الطريق

(١) الأنعام: ٥٩

(٢) هود: ٦

(٣) طه: ٧

(٤) الحديد: ٤

(٥) النجم: ٢٣

(٦) يراجع: تفسير الرازي (٤٥/١٩).

(٧) التوبة: ٣٠

(٨) تفسير السمرقندي (٢٢٩/٢) بتصرف.

(٩) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: ٢٠٩) بتصرف يسير.

المستقيمة الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته" (١)، "وتلك القوة وإن كانت خارجة عنهم إلا أنهم قد استدعوها بضلالهم وعنادهم" (٢) والله ﷻ يقول: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (٣).

ثم ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ أي: ومن يخذله الله لسوء اعتقاده وفساد أعماله فلا هادي له يوفقه إلى النجاة ويوصله إلى طرق السعادة.

ونحو الآية قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ (٤) وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٥) لأنه ليس لأحد من الأمر شيء (٦).

نخلص مما سبق:

إلى أن المشركين ضلوا وجحدوا، فجعلوا الله شركاء في العبادة، لا تملك لهم نفع ولا ضرر وكانوا يعتقدون أنهم على صواب، فصدتهم ذلك عن طريق الحق، ومنعهم من الاهتداء إلى الحق، ومن أضله الله فلا هادي له.

ما ترشد إليه الآية:

دلت أيضا على تهديدهم، فإنه تعالى يمهلهم مدة ليؤمن من علم الله أنه يؤمن منهم، ثم لما حق القضاء أخذهم بالعقوبة، وكما صنع بمن قبلهم يصنع بمشركي مكة، وبكل الكفار في كل زمان.

(١) تفسير السعدي (٤١٩/١).

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٣٢/٧).

(٣) الصف: ٥

(٤) المائدة: ٤١

(٥) النحل: ٣٧

(٦) تفسير المراغي (١٠٩/١٣) بتصريف يسير.

تفسير الآية الرابعة والثلاثين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابٌ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾

[الرعد: ٣٤]

يبين الله ﷻ في هذه الآية جزاء المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة.

مناسبة الآية:

"فكأنه قيل: فماذا لهم على ما فعلوا من ذلك؟ فقيل: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا﴾" (١).

تفسير الآية:

"فاعلم أنه تعالى لما أخبر عنهم بتلك الأمور المذكورة بين أنه جمع لهم بين عذاب الدنيا، وبين عذاب الآخرة الذي هو أشق، وأنه لا دافع لهم عنه لا في الدنيا ولا في الآخرة. أما عذاب الدنيا فبالقتل، والقتال، واللعن، والذم، والإهانة، وهل يدخل المصائب والأمراض في ذلك أم لا؟ اختلفوا فيه، قال بعضهم: إنها تدخل فيه، وقال بعضهم: إنها لا تكون عقاباً، لأن كل أحد نزلت به مصيبة فإنه مأمور بالصبر عليها، ولو كان عقاباً لم يجب ذلك، فالمراد على هذا القول من الآية القتل، والسبي، واغتنام الأموال، واللعن" (٢).

ثم أخبر عنهم أنهم سيقعون في عقاب الآخرة في قوله تعالى: ﴿وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أي ولتعذيب الله إياهم في الدار الآخرة أشد من تعذيبه إياهم في الدنيا وأشق لشدته ودوامه.

ثم يأسهم من صرف العذاب عنهم فقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ أي: وما لهم حافظ يعصمهم من عذاب الله، إذا لا أحد يقيهم ما نزل بهم

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٥٢/١٠).

(٢) تفسير الرازي (٤٥/١٩).

من عذاب إذ لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ولا يأذن لأحد في الشفاعة لمن كفر به ومات على كفره^(١).

نخلص مما سبق:

إلى ما بين الله تعالى في الآية السابقة مآل المشركين في الحياة الدنيا، والآخرة من العذاب الشديد، وليس لهم في ذلك اليوم مانع يمنعهم من عذاب الله ﷻ.

ما ترشد إليه الآية:

للمشركين الصادين عن الحق ودين التوحيد العذاب في الدنيا بالقتل والسبي والأسر والذم والإهانة، وغير ذلك من الأسقام والأمراض والمصائب، والعذاب الأشد في الآخرة، وليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله، ولا دافع يدفعه عنهم.

(١) تراجع: تفسير المراغي (١٠٩/١٣)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢٠٩/١). يتصرف يسير

تفسير الآية الخامسة والثلاثين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]

بيّن الله ﷻ في هذه الآية مآل الذين آمنوا في الآخرة.

مناسبة الآية:

"ولما توعدهم على تفريطهم في جانب الله، تشوقت النفس إلى ما لأضدادهم، فكان كأنه قيل: فما لمن عاداهم في الله؟ فقيل: الجنة، فكأنه قيل: وما هي؟ فقيل: إنها في الجلال، وعلو الجمال، وكرم الخلال، مما تعالى عن المنال، إلا بضرب الأمثال، فقيل: ما مثلها؟ فقيل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾" (١).

تفسير الآية:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: الذين تركوا ما نهاهم الله عنه، ولم يقصروا فيما أمرهم به، أي: صفتها وحقيقتها وحينما وعد الله المتقين بالجنة ذكر الله ﷻ في هذه الآيات وصف بعض نعيم الجنة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أنهار العسل، وأنهار الخمر، وأنهار اللبن، وأنهار الماء التي تجري في غير أخدود، فتسقى تلك البساتين والأشجار فتحمل من جميع أنواع الثمار.

﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ أي أكلها دائم، وعاقبتهم ومآلهم التي إليها يصيرون، فكم بين الفريقين من الفرق المبين الذين تركوا ما نهاهم الله عنه، ولم يقصروا فيما أمرهم به، أي: صفتها وحقيقتها

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠/٣٥٣).

مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾^(١). فهذه الجنة التي تشبه جنة الآخرة موصوفة بصفاتين تجرى من تحتها الأنهار وأكلها دائم وظلها أي ثمارها دائمة لا تنقطع أبداً، كما تنقطع ثمار الدنيا، وظلها دائم، أي مورقة مخضرة دائماً، لا تتغير كما تتغير أشجار الدنيا على مدار الفصول^(٢). قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿وَفَكَهْمٌ كَثِيرٌ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾^(٤) وقوله ﴿وَعَلَىٰ﴾^(٥).

وفي الحديث: ما رواه عبد الله بن جابر I، قال: «قال رسول الله ﷺ: يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطنون ولا يبولون طعامهم ذلك جشاء كريح المسك ويلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس»^(٦).

وبعد أن وصف الجنة بهذه الصفات الثلاث بين مآل المتقين ومنتهى أمرهم فقال تعالى: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي هذه الجنة عاقبة من اتقوا ربهم فأقلعوا عن الكفر والمعاصي واجتراح السيئات، وعنت وجوههم للحى القيوم، وخافوا يوماً تشيب من هوله الولدان، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

ثم بين عاقبة الكافرين بعد ما بين عاقبة المتقين فقال: ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ أي وعاقبة الكافرين بالله ومآلهم في الآخرة النار، بسبب كفرهم وما اقترفوا من الذنوب ودنسوا به أنفسهم من الآثام^(٧).

(١) مريم: ٦٣

(٢) تفسير السعدي (٤١٩/١)، التفسير القرآني للقرآن (١٣٥/٧) بتصرف.

(٣) الرُحْرُف: ٧١

(٤) الواقعة: ٣٢-٣٣

(٥) الإنسان: ١٤

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا، برقم (٢٨٣٥)، (٢١٨١/٤).

(٧) تفسير المراغي (١١١/١٣) تفسير السعدي (٤١٩/١)، بتصرف يسير.

نخلص مما سبق:

إلى ما ذكر الله تعالى في هذه الآية وصف للجنة ونعيمها الدائم الذي لا ينقطع فهو ليس كنعيم الدنيا الذي يزول وينقضي، وهذا مآل المؤمنين في الآخرة، أما مآل الكافرين ومصيرهم في الآخرة فهو النار بسبب ما اقترفوا من الذنوب والمعاصي في الحياة الدنيا.

ما ترشد إليه الآية:

- الجنة مخلوقة أعدها الله للمتقين، وقال تعالى: وجنة عرضها السماوات والأرض، أعدت للمتقين
- ثمر الجنة لا ينقطع، وظلها لا يزول، وهذا رد على الجهمية في زعمهم أن نعيم الجنة يزول ويفنى.
- النار أيضا مخلوقة أعدها الله للكافرين المكذبين، قال تعالى: فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة، أعدت للكافرين

تفسير الآية السادسة والثلاثين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدُ﴾ [الرعد: ٣٦]

بيّنت هذه الآية حال أهل الكتاب من التمسك بدينهم وبما وجد في القرآن من قواعد عقيدة التوحيد ومنهم من ينكر بعض ما أنزل إلى الرسول ﷺ عداوة وعصبية.

مناسبة الآية:

"الواو للاستئناف. وهذا استئناف ابتدائي انتقل به إلى فضل لبعض أهل الكتاب في حسن تلقيهم للقرآن بعد الفراغ من ذكر أحوال المشركين من قوله: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ [الرعد: ٣٠] فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ [الرعد: ٣٦]"^(١).

تفسير الآية:

أي: "مننا عليهم به وبمعرفة، فيؤمنون به ويصدقونه، ويفرحون بموافقة الكتب بعضها لبعض، وتصديق بعضها بعضا وهذه حال من آمن من أهل الكتابين، وطوائف من الكفار المنحرفين عن الحق، من ينكر بعض هذا القرآن ولا يصدقه"^(٢).

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ أي: قل إنما أمرت فيما أنزل إلى بأن أعبد الله ولا أشرك به فإنكارهم له إنكار لعبادة الله وتوحيده كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ

(١) التحرير والتنوير (١٣/١٥٦).

(٢) تفسير السعدي (١/٤١٩).

بِهِ ﴿١﴾ فَانظُرُوا مَاذَا تَنكُرُونَ مَعَ ادْعَائِكُمْ وَجُوب عِبَادَةِ اللَّهِ وَأَنْ لَا يُشْرَكَ بِهِ ﴿٢﴾.

ختم الله تعالى الآية بقوله: ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابٍ﴾ إلى ما أمرت به وهو عبادة الله وحده أدعوا الناس إلى عبادته وطاعته وإخلاص العبادة له وحده دون سواه ﴿٣﴾.

"وإلى الله تعالى وحده مرجعي للجزاء وحيث كانت هذه الحجّة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصاً أمرٌ O بأن يخاطبهم بذلك إلزاماً وتبكيئاً لهم" ﴿٤﴾.

"وهذه الآية جامعة لشئون النشأة الأولى والآخرة، فقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ توحى إلى ما جاء به التكليف، وقوله: ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابٍ﴾ تشير إلى مهام الرسالة، والبعث والجزاء للحساب يوم القيامة" ﴿٥﴾.

نخلص مما سبق:

إلى ما بيّنته الآية السابقة من حال الذين أهتموا بالكتب السابقة وأعلوا منزلتها هم الذين من حقهم أن يفرحوا بالكتاب الذي أنزل عليك، فأخبرهم يا محمد إنني أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به أحد إليه أدعوا، وإليه وحده المرجع والمآب.

ما ترشد إليه الآية:

بعض اليهود والنصارى كابن سلام وسلمان الفارسي، والذين جاؤوا من الحبشة يفرح بالقرآن الكريم، لتصديقه كتبهم. ويفرح بذكر الرحمن لكثرة ذكره في التوراة.

(١) آل عمران: ٦٤

(٢) تفسير النسفي (١٥٧/٢) بتصريف يسير.

(٣) فتح القدير للشوكاني (١٠٤/٣) بتصريف.

(٤) تفسير أبي السعود (٢٦/٥).

(٥) تفسير المراغي (١١٢/١٣).

تفسير الآية السابعة والثلاثين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧]

تبيّن هذه الآية ما تميز به القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية السابقة.

مناسبة الآية:

لما ذكر الله تعالى في هذه الآيات من مراتب الإعجاز ما ذكر^(١)، "شرع في هذه الآيات برد إنكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداءً أو بدلاً من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾"^(٢).

تفسير الآية:

وكما أنزلنا عليك الكتاب، يا محمد، فمن الأحزاب من أنكر بعضه، كذلك أنزلنا الحكم والدين حُكْمًا عَرَبِيًّا^(٣).

يقول الشوكاني: "وكما أنزلنا الكتب على الرُّسُلِ بِلُغَاتِهِمْ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ"^(٤).

ثم أتبع ذلك الله بقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ فالذي جاءك هو العلم اليقين، وما يقوله الأحزاب إنما هو أهواء لا تستند إلى علم أو يقين. وهذه الآية الموجهة إلى الرسول ﷺ أبلغ في تقرير هذه الحقيقة التي لا تسامح في الانحراف عنها، حتى ولو كان من

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٥٧/١٠) بتصرف.

(٢) تفسير أبي السعود (٢٦/٥).

(٣) تفسير الطبري (٤٧٥/١٦) بتصرف يسير.

(٤) فتح القدير للشوكاني (١٠٥/٣).

الرسول، وحاشاه O^(١).

"إذا كان هناك اعتراض على بشريّة الرسول الكريم، وأنه تزوّج النساء، وله أولادٌ وذرية، فقد كان الرسل الذين أرسلناهم من قبله بشرًا وكانوا يتزوّجون ولهم نساءٌ وذرية.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] إذا كان يعترض بعضهم من المتعنين ويطلب من الرسول أن يأتي بخارقة ماديّة، فذلك ليس من شأنه، إنّما هو من شأن الله، وهو الذي يقدر ذلك يدبره بحكمته ومشينته، ولكل أمر كتبه الله أجلّ معين ووقت معلوم^(٢).

نخلص مما سبق:

إلى ما بينته الآية السابقة أن ما أرسل الله تعالى قبلك من الرسل وما أنزل عليهم من الكتب كذلك أرسلناك وأنزلنا عليك القرآن، بلسان عربي مبين، ليسهل عليهم حفظه وفهم معانيه، وإذا اتبعت أهواء المشركين بعد أن جاءك العلم من ربك والهدى، فلا ناصر لك ولا وافي يقيك من عذاب الله.

ما ترشد إليه الآية:

كما أنزل الله تعالى الكتب على الرسل بلغاتهم، كذلك أنزل القرآن الكريم إلى النبي ﷺ عربيًا، أي بلسان العرب. والمراد بالحكم: ما فيه من الأحكام.

(١) في ظلال القرآن (٢٠٦٤/٤) بتصريف يسير.

(٢) تيسير التفسير للقطان (٢٨١/٢).

تفسير الآية الثامنة والثلاثين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

تبين هذه الآية تعجب المشركين بأن يكون للرسول ﷺ أزواج وذرية فيبين الله تعالى أنه قد أرسل من قبل رُسُلًا لهم أزواج وأولاد.

مناسبة الآية:

"ولما حسمت الأطماع عن إجابتهم رجاء الاتباع أو خشية الامتناع، وكان بعضهم قد قال: لو كان نبياً شغلته نبوته عن كثرة التزوج، كان موضع توقع الخبر عما كان للرسول في نحو ذلك، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]"^(١).

تفسير الآية:

في هذه الآية رد على المشركين فيما يزعمون في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ وما كان لرسول ولم يكن في وسعه أن يأتي بآية تقترح عليه وحكم يلتمس منه إلا بإذن الله^(٢) والمشركون، ينكرون على النبي ﷺ أن يكون إنسانا مثلهم، يأكل كما يأكلون، ويعيش كما يعيشون كما يقول الله ﷻ على لسانهم: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾^(٣) فجاء قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ ليقرر أن هؤلاء الرسل ه بشر.

وفي الحديث: عن أنس بن مالك I، يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والصور (٣٥٩/١٠).

(٢) تفسير البيضاوي (١٩٠/٣) بتصرف.

(٣) الفرقان: ٧-٨.

أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأُرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(١)

وفى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ هو ردّ على ما كان يفترحه المشركون على النبي ﷺ، كقولهم الذي حكاه القرآن عنهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾^(٢) وقوله تعالى أيضا: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُرْفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٣) والآيات تبين أن كل معجزة تأتي مع الأنبياء هي من عند الله^(٤).

"وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ﴾ هي المقصود وهي معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ وتركيب ما كان يدل على المبالغة في النفي، كما تقدم عند قوله: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾^(٥) والمعنى: أن شأنك شأن من سبق من الرسل لا يأتون من الآيات إلا بما آتاهم الله"^(٦).

فالرسول ﷺ لا يملك من أمر نفسه إلا ما يملك سائر الناس من أمر أنفسهم إنما ذلك بتدبير الله جل في علاه وحكمته ومشيبته سبحانه، وهم جميعا في قبضة الله، وتحت سلطانه وليس لرسول أن يأتي بآية إلا بما يأذن الله له به من آياته.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، برقم (٥٠٦٣)، (٢/٧).

(٢) الإسراء: ٩٠.

(٣) الإسراء: ٩٣.

(٤) التفسير القرآني للقرآن (١٤٠/٧) بتصرف.

(٥) المائدة: ١١٦.

(٦) التحرير والتنوير (١٦٣/١٣).

قال الله ﷻ في ذلك: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾^(١).

﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ لكل أمر أرادَه اللهُ ﷻ في هذه الحياة إنما هو بقدر معلوم فكل آية مرهونة بوقتها، شأنها في هذا شأن المواليد التي تولد، والأحياء التي تموت فلا يولد مولود إلا بإذن الله، وفي الوقت الذي قدره الله له، ولا تموت نفس إلا بإذنه، وفي الوقت الموقوت لموتها^(٢).

نخلص مما سبق:

إلى ما بين الله تعالى في الآية أن الرسول ﷺ كحال غيره من الأنبياء ﷺ له أزواج، وذرية فهو ﷺ من البشر، وليس لنبي أن يأتي بمعجزة على ما يريدَه قومه، بل كل معجزة تأتي مع نبي هي من عند الله، وبأمره ﷻ.

ما ترشد إليه الآية:

الأنبياء قاطبة بشر، يقضون ما أحل الله من شهوات الدنيا، ولهم زوجات وأولاد، وإنما التخصيص بالوحي.

(١) العنكبوت: ٥٠

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٧/١٤٠-١٤١-١٤٢) بتصرف.

تفسير الآية التاسعة والثلاثين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ^ط وَعِنْدَهُ^ط أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]

تبيّن هذه الآية أن الله جل في علاه المشيئة الكاملة في محو ما يشاء من الشرائع والمعجزات وحل محلها ما يشاء.

مناسبة الآية:

بعد ما ذكر الله حال المشركين في الآيات السابقة مع النبي ﷺ حينما كانوا يعيبونه ﷺ بالزواج والأولاد، كما كانوا يقولون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام، وكانوا يقترحون عليه الآيات، فقيل: كان الرسل قبله بشرًا مثله ذوى أزواج وذرية. وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم، والشرائع مصالِح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات بين الله في هذه الآيات أنه ينسخ ما يشاء ويثبت ما يشاء من الأحكام في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ

وَيُثَبِّتُ^ط وَعِنْدَهُ^ط أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١).

تفسير الآية:

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ^ط﴾

أي: "من أعمال بني آدم، وما كتبت الحفظة ما ليس فيه جزاء خير ولا شر وَيُثَبِّتُ ما فيه جزاء خير أو شر"^(٢).

فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب، كأعمال اليوم والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسبابا ولمحوها أسبابا، لا تتعدى تلك الأسباب، ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سببا لمحقة بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سببا للسلامة، وجعل التعرض لذلك سببا للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما

(١) تفسير الزمخشري (٥٣٤/٢) بتصرف.

(٢) تفسير السمرقندي (٢٣١/٢).

يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ. والقائلون به يتضرعون إلى الله تعالى إِنَّ يجعلهم سعداء، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(١).

وختم الله تعالى: الآية بقوله: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي أصله وهو اللوح المحفوظ وجميع ما يكتب فيه إذ ما من شيء من الذاهب والثابت إلا وهو مكتوب فيه كما هو^(٢).

نخلص مما سبق:

إلى ما بين الله تعالى في الآيات السابقة قدرته عَزَّ وَجَلَّ في محو ما يشاء من الشرائع و الأحكام وغيرها، ويُبقي منها ما يشاء لحكمة لا يعلمها إلا هو سُبْحَانَهُ في اللوح المحفوظ.

ما ترشد إليه الآية:

محو الله من ذلك الكتاب ما يشاء أن يوقعه بأهله ويأتي به، ويثبت ما يشاء، أي يؤخره إلى وقته. وعنده أصل الكتاب الذي لا يتغير منه شيء، فنزول العذاب على الكفار، ونصر المؤمنين لهما وقت معين مخصوص.

(١) إبراهيم: ٢٧

(٢) تفسير أبي السعود (٢٧/٥)، تفسير السعدي (٤٢٠/١) بتصرف يسير.

تفسير الآية الأربعين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتَوْفَيْنَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا

الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]

يبين الله ﷻ في هذه الآية مهمة الرسول ﷺ في تبليغ منهج الله تعالى.

مناسبة الآية:

"وقوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتَوْفَيْنَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا

الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] عُطِفَ على قوله: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ [الرعد: ٣٩] باعتبار ما تفيد من إبهام مراد الله في آجال الوعيد ومواقيت إنزال الآيات، فبينت هذه الجملة أن النبي ﷺ ليس مأمورا بالاشتغال بذلك ولا بترقبه وإنما هو مبلغ عن الله لعباده والله يعلم ما يحاسب به عباده سواء شهد النبي ﷺ ذلك أم لم يشهده" (١).

تفسير الآية:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ في هذه الآيات: لا تعجل عليهم بإصابة ما يوعدون به من العذاب، فهم إن استمروا على طغيانهم وكفرهم فلا بد أن يصيبهم ما وعدوا به، ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ﴾ إياه في الدنيا فتقر بذلك عينك، وهذا وعيد لهؤلاء المشركين والكافرين جميعا، وأنهم في معرض النعمة والبلاء، من الله تعالى، وسواء أوقع عليهم البلاء وحلت بهم النعمة والنبي ﷺ حي يرى بعض هذا ويشهده، أو يموت النبي ﷺ قبل أن يرى ما توعدهم الله به، فإن ذلك ليس من هم النبي ﷺ، ولا مما يشغل نفسه به، وإنما مهمته هنا تبليغ الرسالة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ فما عليك الا التبيين للخلق، وتبليغ الرسالة فحسب، وعلينا لا عليك حسابهم، فلا تستعجل بعذابهم.

(١) التحرير والتنوير (١٦٩/١٣).

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ عطف على قوله: ﴿عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ فنحاسب الخلق على ما قاموا به، مما عليهم، وضيعوه، ونثيبهم أو نعاقبهم^(١).

نخلص مما سبق:

إلى ما بين الله تعالى في الآية أن ما أريناك، يا محمد، بعض ما وعدنا به أعداءك من العذاب في الدنيا، أو توفيناك قبل ذلك، فإنما عليك التبليغ وعلينا الحساب.

ما ترشد إليه الآية:

- إن مهمة الرسول مقصورة على إبلاغ الرسالة للأمة، وليس عليه هداهم وصلاحهم.

- الله تعالى هو الذي يحقق الأحداث والوقائع، فينجز الوعد والوعيد، وينزل العقاب الشديد متى شاء، وقد يكون ذلك في حال حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته.

- الله تعالى هو المتكفل القائم بحساب العباد على ما قدموا من خير أو شر.

(١) تفسير السعدي (٤٢٠/١)، التحرير والتنوير (١٧٠/١٣)، الموسوعة القرآنية (١٦٠/١٠) بتصرف يسير.

تفسير الآية الحادية والأربعين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا^١ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ^٢

وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١]

مناسبة الآية:

"ولما أرشد السياق إلى أن التقدير في تحقيق أنه سبحانه قادر على الجزاء لمن أراد: ألم يروا أنا أهلكننا من قبلهم وكانوا أقوى منهم شوكة وأكثر عدة؟ عطف عليه قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾" (١).

تفسير الآية:

"قيل بإهلاك الكاذبين واستئصال الظالمين، وقيل: بفتح بلدان المشركين، ونقصهم في أموالهم وأبدانهم، وقيل غير ذلك من الأقوال. والظاهر والله أعلم أن المراد بذلك أن أراضي هؤلاء الكاذبين جعل الله يفتحها ويجتاحها، ويحل القوارع بأطرافها، تنبيها لهم قبل أن يجتاحهم النقص، ويوقع الله بهم من القوارع ما لا يرده أحد كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^٣ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاتَارًا فِي الْأَرْضِ﴾" (٢) وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^٣﴾" (٣) وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^٣ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾" (٤) ولهذا قال جل في علاه: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ^٢﴾" (٥) فالله تعالى يحكم بما يريد [الرعد: ٤١]" (٥) وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ^٢﴾

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠/٣٦٤).

(٢) غافر: ٨٢

(٣) محمد: ١٠

(٤) يوسف: ١٠٩

(٥) تفسير السعدي (١/٤٢٠).

﴿ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أَنَا مُؤَكَّدَةٌ لِلْمَقْصُودِ مِنْهَا، وَهُوَ الْاسْتِدْلَالُ عَلَى أَنَّ تَأْخِيرَ الْوَعِيدِ لَا يَدُلُّ عَلَى بَطْلَانِهِ، فَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَإِنْ مَا نُزِيتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ [الرعد: ٤٠] ثُمَّ يَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ ثُمَّ يَقُولُهُ: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾، لِأَنَّ الْمَعْنَى: أَنَّ مَا حَكَمَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعِقَابِ لَا يَبْطُلُهُ أَحَدٌ وَأَنَّهُ وَقَعَ وَلَوْ تَأَخَّرَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَوْمَ سُوءٍ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ وَاللَّهُ يَحْكُمُ فَتَكُونُ دَلِيلًا رَابِعًا عَلَى أَنَّ وَعْدَهُ وَقَعَ وَأَنَّ تَأْخِيرَهُ وَإِنْ طَالَ فَمَا هُوَ إِلَّا سَرِيعٌ بِاعْتِبَارِ تَحَقُّقِ وَقُوعِهِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَطْفًا عَلَى جُمْلَةِ الْحَالِ. وَالْمَعْنَى: يَحْكُمُ غَيْرَ مَنْقُوصٍ حُكْمَهُ وَسَرِيعًا حِسَابَهُ. وَمَالَ التَّقْدِيرِينَ وَاحِدًا^(١).

فَنَحَاسِبُ الْخَلْقَ عَلَى مَا قَامُوا بِهِ، مِمَّا عَلَيْهِمْ، وَضِيعُوهُ، وَنُثِيبُهُمْ أَوْ نَعَاقِبُهُمْ^(٢).

نخلص مما سبق:

إلى ما بين الله تعالى في هذه الآية من حال المشركين من أهل مكة مع الرسول ﷺ من التشكيك بصدق دعوة الرسول ﷺ وإنذاره لقومه وهم يرون فتح الله له مشارق الأرض ومغاربها ولا يستطيع أحدًا رد حكمه وهو سبحانه سريع الحساب.

ما ترشد إليه الآية:

إن امتداد رقعة الإسلام واتساع الفتوحات الإسلامية، وانحسار الكفر وتضييق رقعة بلاد الكافرين بيد الله تعالى وحده.

(١) التحرير والتنوير (١٣/١٧٣) بتصرف يسير.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٢٠).

تفسير الآية الثانية والأربعين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلْمُهُ الْكُفْرَ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢]

بيّنت هذه الآية الكريمة مكر الذين كفروا برسولهم، فمكر الله بهم وأبطل مكرهم.

مناسبة الآية:

لما كان قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١] تهديداً وإنذاراً مثل قوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنْتُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُنَهُمْ﴾^(١) وهو إنذار بوعيد على تظاهرهم بطلب الآيات وهم يضمرون التصميم على التكذيب والاستمرار عليه. شبه عملهم بالمكر في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلْمُهُ الْكُفْرَ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢] وشبه بعمل المكذبين السابقين كقوله: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، وهذا المكر هو شأن الأمم السابقة مع انبيائهم^(٣).

تفسير الآية:

مكر من سبق المشركين من قريش من الأمم السابقة بأنبيائهم^(٤) فلله المكر جميعاً إذ لا يؤبه بمكر دون مكره فإنه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره^(٥).

(١) مُحَمَّد: ١٨

(٢) الأنبياء: ٦

(٣) التحرير والتنوير (١٧٣/١٣) بتصريف يسير.

(٤) تفسير الطبري (٤٩٩/١٦) بتصريف.

(٥) تفسير البيضاوي (١٩٠/٣).

ويقول السعدي ٥: "والمكر لا بد أن يكون من كسبها فلا يخفى على الله مكرهم، فيمتنع أن يمكروا مكرًا يضر الحق وأهله ويفيدهم شيئاً، لهم أو لرسله ومن المعلوم أن العاقبة للمتقين لا للكفر وأعماله"^(١).

وفي هذا التشبيه رمز إلى أن عاقبتهم كعاقبة الأمم التي عرفوها. فنقص أرض هؤلاء من أطرافها من مكر الله بهم جزاء مكرهم، فلذلك أعقب بقوله: وقد مكر الذين من قبلهم أي كما مكر هؤلاء. فجملة وقد مكر الذين من قبلهم حال أو معترضة.

وقوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ تَفْرِيعٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ لا يقدر أحد أن يمكر مكرًا إلا بإذنه، وتحت قضائه وقدره كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْنَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾^(٣) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِن جُنَدَانَاهُمْ لَغَالِبُونَ﴾^(٤) ١٧٣. فإذا كانوا يمكرون بدينه فإن مكرهم سيعود عليهم بالخيبة والندم^(٥).

"وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ بِمَنْزِلَةِ الْعِلَّةِ لِقَوْلِهِ: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ لأنه لما كان يعلم ما تكسب كل نفس من ظاهر الكسب وباطنه كان مكره أشد من مكر كل نفس لأنه لا يفوته شيء مما تضره النفوس من المكر.

وقوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ "لأن من علم ما تكسب كل نفس، وأعد لها جزاءها فهو المكر كله، لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون"^(٥).

(١) تفسير السعدي (٤٢٠/١).

(٢) المجادلة: ٢١

(٣) الصافات: ١٧١-١٧٣

(٤) التحرير والتنوير (١٧٣/١٣) بتصرف يسير.

(٥) تفسير الزمخشري (٥٣٥/٢).

نخلص مما سبق:

إلى ما بيّنته هذه الآية الكريمة من مكر الكافرين برسولهم ﷺ وأن الله أشد منهم مكرًا حيث أبطل مكرهم، وجعل العاقبة الحسنة للمتقين الذين اتبعوا الحق واجتنبوا الباطل والله تعالى العالم بجميع الأمور وسيجزى كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

ما ترشد إليه الآية:

تخيب أو تفشل كل مخططات الأعداء الكافرين ومكائدهم أمام تدبير الله تعالى، ولا يضر مكرهم إلا بإذنه تعالى، وفي هذا تسلية للنبي ﷺ، وشد من عزمته، وبيان أن النصر في النهاية له، وأن الدائرة ستدور على الكفار.

تفسير الآية الثالثة والأربعين في ضوء تناسقها الموضوعي

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣]

يبين الله ﷻ في هذه الآية انكار المشركين لدعوة الرسول ﷺ.

مناسبة الآية:

لما ذكر الله تعالى في الآية السابقة أن القوم أنكروا كونه رسولا من عند الله، احتج الله تعالى عليهم بقوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(١).

تفسير الآية:

"ضرب من المكر بإظهارهم أنهم يتطلبون الآيات الدالة على صدق الرسول ﷺ، مظهرين أنهم في شك من صدقه وهم يبتغون التصميم على التكذيب. فذكرت هذه الآية أنهم قد أفصحوا تارات بما أبطنوه فنطقوا بصريح التكذيب وخرجوا من طور المكر إلى طور المجاهرة بالكفر فقالوا: لست مرسلا.

وقد ذكر قولهم بصيغة المضارع للدلالة على تكرر ذلك منهم ولاستحضر حالهم العجيبة من الاستمرار على التكذيب بعد أن رأوا دلائل الصدق، كما عبر بالمضارع في قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾^(٢) وقوله: ﴿بُجِدْنَا فِي قَوْرُلُوْطٍ﴾^(٣).

ولما كانت مقاتلهم المحكية هنا صريحة لا موارد فيها أمر الرسول ﷺ

(١) تفسير الرازي (٥٤/١٩) بتصرف.

(٢) هود: ٣٨

(٣) هود: ٧٤

بجواب لا جدال فيه وهو تحكيم الله بينه وبينهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ وقد أمر الرسول O بأن يجيبهم جواب الواثق بصدقه المستشهد على ذلك بشهادة الصدق من إشهاد الله تعالى وإشهاد العالمين بالكتب والشرائع. ولما كانت الشهادة للرسول O بالصدق شهادة على الذين كفروا بأنهم كاذبون جعلت الشهادة بينه وبينهم في قوله تعالى: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ وإشهاد الله تعالى في معنى الحلف على الصدق كقول هود عليه السلام: ﴿إِن تَقُولُ إِلَّا أَعْتَرَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(١).

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ عطف على لفظ الجلالة وأن المراد به أهل العلم بالتوراة والإنجيل، ويدل له قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَابِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) والأدلة على فضل ومنزلة أهل العلم^(٥).

ويقول السعدي: "وهذا شامل لكل علماء أهل الكتابين، فإنهم يشهدون للرسول من آمن واتبع الحق، صرح بتلك الشهادة التي عليه، ومن كتم ذلك فأخبار الله عنه أن عنده شهادة أبلغ من خبره، ولو لم يكن عنده شهادة لرد استشهاده بالبرهان، فسكوته يدل على أن عنده شهادة مكتومة"^(٦).

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أنهم عبد الله بن سلام^(٧)

(١) هود: ٥٤

(٢) آل عمران: ١٨

(٣) يونس: ٩٤

(٤) الأنبياء: ٧

(٥) التحرير والتنوير (١٣/١٧٥)، الموسوعة القرآنية (١٠/١٦٠) بتصريف يسير.

(٦) تفسير السعدي (١/٤٢٠).

(٧) هو: عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي: أبو يوسف: صحابي، قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب. أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان اسمه "الحصين" فسماه رسول الله ﷺ عبد الله.

وأصحابه، قاله قتادة. الثاني: أنه جبريل، قاله سعيد بن جبير. الثالث: هو الله تعالى، قاله الحسن ومجاهد والضحاك. وكانوا يقرأون ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ أي: من عند الله علم الكتاب، وينكرون على من قال هو عبد الله بن سلام وسلمان لأنهم يرون السورة مكية، وهؤلاء أسلموا بالمدينة، والله تعالى أعلم بالصواب^(١).

نخلص مما سبق:

إلى بيان إنكار المشركين لرسالة النبي ﷺ بقولهم لست مرسلًا من عند الله فأمر الله تعالى النبي محمدًا ﷺ أن يقول لهم حسبي الله الذي يحكم بيني وبينكم، وهو سبحانه يعلم حقيقة الكتاب المنزل وما فيه من إعجاز.

ما ترشد إليه الآية:

إن إنكار مشركي العرب واليهود رسالة النبي ﷺ وقولهم له: لست بنبي ولا رسول، وإنما أنت متقول، لما لم يأتيهم بما اقترحوا من الآيات، إن إنكارهم لا يغض من الحقيقة شيئاً، ولا يغير من الواقع، وكفى بالله شهيدا على صدقه، وحسبه شهادة مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري، والنجاشي وأصحابه.

شهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية، اتخذ سيفاً من خشب، واعتزلها. وأقام بالمدينة إلى أن مات. له ٢٥ حديثاً توفي I سنة (٤٣ هـ - ٦٦٣ م). انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣ / ٩٢١)، لأعلام للزركلي (٤ / ٩٠).
(١) انظر: تفسير السمرقندي (٢/٢٣٢)، تفسير الماوردي (٣/١١٩).

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله أولاً وأخيراً، وظاهرًا وباطنًا كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، اللهم لك الحمد كما أنعمت به عليّ من حسن تمام هذا البحث، وأسألك المزيد من فضلك، ودوام توفيقك يا أكرم مسؤل وخير مأمول، وبعد.

فقد توصلت في هذا البحث - بتوفيق الله- إلى ثمرات ونتائج وأوصيت بوصايا أجملها فيما يلي:

أولاً: أهم نتائج البحث:

- أن دراسة التناسق الموضوعي في السورة القرآنية هو الطريق لمعرفة الوحدة الموضوعية في السورة، واستجلاء المحور الرئيس والموضوع الكلي في السورة.

أن سورة الرعد بجميع آياتها مدنيّة، وأن القول بمكيّة بعض الآيات فيها قول يفتقر إلى الدليل الصحيح والصريح.

- أن المناسبة بين اسم سورة الرعد وبين موضوعاتها، وبين فاتحة السورة وموضوعاتها وثيقة؛ وذلك أن اسم سورة الرعد يتضمن معاني تقرر وحدانية الله والرسالة والبعث والجزاء. وتدور حول محور مهم هو أن الحق واضح بيّن راسخ وثابت والباطل ضعيف زائف خادع مهما ظهر وعلا.

- توصلت الباحثة بعد النظر والتأمل الطويل في السورة: إلى أن موضوع سورة الرعد الرئيس هو: أن الحق واضح بيّن راسخ وثابت، والباطل ضعيف زائف، وأن أبرز الموضوعات التي عالجتها السورة تمثلت في خمسة مواضيع رئيسة هي:

أ- مظاهر القدرة الربانية.

ب - خضوع المخلوقات لله وإثبات الوحدانية وذم كفر الكافرين.

ج - ضرب الأمثال للحق والباطل واختلاف مصير المؤمنين عن مصير الكافرين.

د - صفات المؤمنين أولي الألباب مقابل صفات الكفار العميان، صورة الكفار العميان وصورة أخرى لأصحاب القلوب المطمئنة ونقض الشرك بالله وعذاب الكافرين مقابل نعيم المؤمنين.

هـ - إثبات الوحي والرسالة والوحدانية وذم إنكار الكفار لقدرة الله المطلقة وتهديد منكري النبوة.

- لم يرد في فضل سورة الرعد حديث صحيح، لكن ورد فيها أحاديث كلها ضعيفة.
- نجد في السورة تناسقاً موضوعياً واضحاً فهي كلها تمضي في سياق متآلف وأسلوب متناسق مترابط، فكأنها بنيان متصل.
- عرضت السورة المتقابلات الموجودة في الكون في آيات عدة منها الرعد؛ لذا ورد ذكره في السورة وسميت السورة به.

✪ ثانياً: التوصيات :

فبعد أن أينعت أزهار هذا البحث وحان قطافها أود أن أسجل أهم التوصيات والمقترحات الآتية:

١- أمل من قسم الكتاب والسنة في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى أن يشكل لجنة للاهتمام بهذا المشروع القيم أعني مشروع "التناسق الموضوعي في سور القرآن" لإخراجه للناس للانتفاع به.

٢- الدعوة إلى التدبر والتأمل في كتاب الله ﷻ لدى جيل الشباب المسلم، بأسلوب ميسر وسهل، من خلال القنوات الفضائية المرئية منها والمسموعة، و قنوات التواصل الاجتماعي، ومن خلال الشبكة العنكبوتية.

٣- التعاون مع أهل البر والإحسان في تأسيس ودعم الكراسي البحثية حول إظهار وجوه إعجاز النظم القرآني، مما يساعد على حسن التدبر والتأمل في كتاب الله.

وختاماً: نسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، والحمد لله رب العالمين .

* وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم *

الفهارس

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣- فهرس الآثار.
- ٤- فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.
- ٥- فهرس الشواهد الشعرية.
- ٦- فهرس الأعلام.
- ٧- فهرس البلدان والأماكن.
- ٨- فهرس المصادر والمراجع.
- ٩- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٩	١	الفاتحة: ٢	﴿أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
٢٦٨	٢	البقرة: ٥	﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
٢٣٣	٢	البقرة: ١١٩	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾
٢٩٢	٢	البقرة: ١٤٣	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾
٢٩٦	٢	البقرة: ١٥٥	﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾
٢٨٧	٢	البقرة: ١٨٦	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾
١٠١	٢	البقرة: ١٩٥	﴿وَاحْسِنُوا إِنَّا لِلَّهِ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
٢٧١	٢	البقرة: ٢٢٩	﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾
٤٥	٢	البقرة: ٢٤٨	﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾
٣٧	٢	البقرة: ٢٥٥	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٨	٤	النساء: ٨٢	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾
٣٠١	٥	المائدة: ٤١	﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ﴾
٩	٥	المائدة: ٤٨	﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾
٧٢	٥	المائدة: ٦٧	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾
٣١٢	٥	المائدة: ١١٦	﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ﴾
٢٩٤	٦	الأنعام: ٧	﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾
٢٣٢	٦	الأنعام: ٨	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾
٢٥٦	٦	الأنعام: ١٢	﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ ﴾
٢٥٨	٦	الأنعام: ١٨	﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾
٦٧	٦	الأنعام: ٣٨	﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾
٢٩٢	٦	الأنعام: ٥٩	﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتٍ أَلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾
٢٤٢	٦	الأنعام: ١٠٣	﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٩٥	٦	الأنعام: ١٠٩- ١١١	﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنَقَلِبُ أَفْئِدَتِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَٰئِكَ مَرَّةً وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴿١١١﴾ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِن كَثُرَهُمْ بِجَاهِلُونَ ﴿١١١﴾﴾
٢٢٠	٦	الأنعام: ١٤٣	﴿ثُمَّ نَبِّئِةَ زَوْجٍ مِّنَ الضَّالِّينَ وَمِنَ الْمَعْرِضِينَ قُلْ الَّذِينَ حَرَّمَ أَمْرَ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ﴾
١٢٥	٦	الأنعام: ١٤٧	﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾
٢٣٩	٦	الأنعام: ١٤٩	﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾
٢٢١	٧	الأعراف: ٥٤	﴿يُعْشَىٰ آلِيلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ مَا﴾
٢٤٢، ٢١٩	٧	الأعراف: ٥٧	﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾
١٢٥	٧	الأعراف: ١٦٧	﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٦٩	٧	الأعراف: ١٧٢	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿﴾
٢٨٧	٨	الأنفال: ٢٠	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿﴾
٣٩	٨	الأنفال: ٢٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿﴾
١٣٥	٨	الأنفال: ٢٥	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿﴾
٢٥٠	٨	الأنفال: ٣٠	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿﴾
٢٣٠	٨	الأنفال: ٣٢	﴿فَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنزِلْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿﴾
٣٠٠	٩	التوبة: ٣٠	﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴿﴾
٢٧٥	٩	التوبة: ٧٢	﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿﴾
١٤٤	٩	التوبة: ١٢٥	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١١٣	١٠	يونس: ٣	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾
٢٤٩	١٠	يونس: ٢١	﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمَكُرُونَ﴾
٢٥٤	١٠	يونس: ٢٢	﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾
٢٦٢	١٠	يونس: ٢٦	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾
٢١٢	١٠	يونس: ٣٨	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَبَهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
٢٣٨، ٢٩٩، ٢٤١	١٠	يونس: ٦١	﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالٍ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾
٣٢٤	١٠	يونس: ٩٤	﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾
٢٨٥	١٠	يونس: ٩٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
٢٨٥	١٠	يونس: ٩٧	﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾
٢٨٥	١٠	يونس: ١٠١	﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطَى الْأَيْتُ وَالنُّجُومُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١١٥	١١	هود: ١	﴿الرَّكَنُ أَهْكَمَتْ أَيْنَهُ، ثُمَّ فَصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾
٢٤١	١١	هود: ٥	﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾
٣٠٠	١١	هود: ٦	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾
١١٣	١١	هود: ٧	﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾
٢١٢	١١	هود: ١٣	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَآتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
٢٢٧	١١	هود: ١٧	﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
٣٢٣	١١	هود: ٣٨	﴿وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ﴾
٣٢٤	١١	هود: ٥٤	﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ بَعْضَ الْهَيْبَتِنَا بِسُوءٍ قُلْ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾
٣٢٣	١١	هود: ٧٤	﴿يَجِدَلْنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾
٢٥٠	١١	هود: ١٠٢	﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَيْكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾
١٩١	١١	هود: ١١٤	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ آيَلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٦٢	١٢	يوسف: ٣٩	﴿يَصْحَجِي السَّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ حَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾
٦٣ ، ٦٢	١٢	يوسف: ١٠٥	﴿وَكَايْنٍ مِّنْ ءآيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾
٩٦ ، ٦٢	١٢	يوسف: ١٠٨-١١١	﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾
٣١٨	١٢	يوسف: ١٠٩	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
٢١١ ، ٦٣	١٢	يوسف: ١١١	﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
٦٣ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ٢١١ ، ١٠٨	٣	الرعد: ١	﴿الْمَرْءُ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
٦٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٤٠ ، ١٣٩ ، ٢١٥	٣	الرعد: ٢	﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۗ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ لِّجَرَىٰ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٦٦ ، ٦٢ ، ٧٥ ، ، ١٠٦ ، ١١٦ ٢١٨ ، ١٤٠	٣	الرعد: ٣	﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
، ٧٦ ، ١٠٦ ، ١١٨ ٢٢٢ ، ١٤٠	٣	الرعد: ٤	﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَةٌ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنُونًا وَعَيْرٌ صِنُونًا يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لُبَّهَا عَلَى بَعْضِ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾
٤٦ ، ١٠٦ ، ٢٢٦ ، ١٢١	٣	الرعد: ٥	﴿ وَإِن تَعَجَبَ فَعَجِبْ قَوْلُهُمْ آءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لِنَافِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
، ٧٦ ، ١٠٦ ، ١٢٤ ٢٢٩ ، ١٢٧	٣	الرعد: ٦	﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾
، ٩٥ ، ١٠٦ ، ١٢٧ ٢٣٢ ، ١٤٤	٣	الرعد: ٧	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾
، ٧٠ ، ١٠٦ ، ٧٦ ، ١٢٩ ٢٣٥ ، ١٤٠	٣	الرعد: ٨	﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾
، ٧٦ ، ١٠٦ ٢٣٨ ، ١٣١	٣	الرعد: ٩	﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٧٠ ١٠٦، ٧٦ ١٣٢ ١٣٤ ١٣٩ ٣٠٠، ٢٤٠	٣	الرعد: ١٠	﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأَيْلِيلٍ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ﴾
٧٠ ١٠٦، ٧٦ ١٣٤ ١٣٩ ١٤٠ ٣١٩، ٢٤٣	٣	الرعد: ١١	﴿لَهُ، مَعْقِبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾
٦٩ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ٢٤٥	٣	الرعد: ١٢	﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾
٣٤ ٧٥، ٣٥ ٨٤، ٨٣ ١٣٩ ٢٣٧، ١٤٣	٣	الرعد: ١٣	﴿وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾
١٣٩ ٢٥١، ١٤٦	٣	الرعد: ١٤	﴿لَهُ، دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ، وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾
٦٩ ١٤٨، ٧٦ ٢٥٣، ١٥١	٣	الرعد: ١٥	﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٤٦ ٧٧ ١٥٤، ١٤٩ ١٦٢ ، ٢٥٩	٣	الرعد: ١٦	﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۗ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۗ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۗ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۗ ﴾
٦٥ ١٥٤، ٧٧ ١٥٥ ٢٥٩، ١٦٢	٣	الرعد: ١٧	﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ ۗ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ۗ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ ۗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۗ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ ۗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۗ ﴾
٤٦ ١٥٤ ٢٦٢، ١٥٧	٣	الرعد: ١٨	﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۗ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمُهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾
٦٧ ١٠٠، ٧٧ ١٦١ ٢٦٦، ١٦٣	٣	الرعد: ١٩	﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۗ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمُ الْوَلُؤُا الْأَلْبَابِ ۗ ﴾
٧٧ ١٠٠، ٩٥ ١٦١ ٢٦٨، ١٦٤	٣	الرعد: ٢٠	﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۗ ﴾
٧٧ ١٠٠ ١٦١ ١٦٥ ٢٧٠، ١٧١	٣	الرعد: ٢١	﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۗ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٦٦، ١٠١، ٧٧، ١٦١، ١٦٦، ١٩٠، ٢٧٢، ٢٨٠	٣	الرعد: ٢٢	﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَٰئِكَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عِزِّي الدَّارِ﴾
٤٦، ١٠١، ١٦١، ١٦٨، ١٩٢، ٢٧٥	٣	الرعد: ٢٣	﴿جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِن ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾
١٠١، ١٦١، ١٧٠، ١٩٠، ١٩٢، ٢٧٨	٣	الرعد: ٢٤	﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾
٧٠، ١٠١، ٧٧، ١٦١، ١٧١، ١٩٠، ٢٧٩، ٢٨٢	٣	الرعد: ٢٥	﴿وَالَّذِينَ يَنفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾
١٦١، ١٧٣، ٢٨١	٣	الرعد: ٢٦	﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾
١٦١، ١٧٥، ١٧٦، ١٨١، ٢٠٧، ٢٨٤	٣	الرعد: ٢٧	﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ مِنَ نِشَاءِ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أَنَابَ﴾
١٦١، ١٧٦، ٢٨٦	٣	الرعد: ٢٨	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٦١، ٢٨٩، ١٧٨	٣	الرعد: ٢٩	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَتَابِ﴾
٤٦، ١٦١ ٦٥، ١٧٠، ١٧٩، ٢٩١، ٣٠٧، ٢٩٤	٣	الرعد: ٣٠	﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾
١٦١، ٢٩٤، ١٨١	٣	الرعد: ٣١	﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَتْ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾
١٦١، ٢٩٧، ١٨٤	٣	الرعد: ٣٢	﴿وَلَقَدْ أَسْمَعْنِي بُرْسِلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾
٦٦، ١٦١، ٢٩٩، ١٨٥	٣	الرعد: ٣٣	﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّهُمْ ءَمٌّ تَذِيعُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَظَاهِرُونَ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾
١٦١، ٣٠٢، ١٨٧	٣	الرعد: ٣٤	﴿هُمَّ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٧٧، ١٦١، ٣٠٤، ١٨٩	٣	الرعد: ٣٥	﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُمَاتُهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾
٧٠، ٦٩، ١٩٦، ١٩٧، ٣٠٧، ١٩٩	٣	الرعد: ٣٦	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾
٦٤، ١٩٦، ٣٠٩، ١٩٩	٣	الرعد: ٣٧	﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾
٦٥، ١٩٦، ٢٠١، ٣١١	٣	الرعد: ٣٨	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِشَايئةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾
٧٧، ٢٠٢، ١٩٦، ٣١٤، ٣١٦	٣	الرعد: ٣٩	﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يُرِيدُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾
٧٧، ١٩٦، ٩٥، ٢٠٣، ٣١٩، ٣١٦	٣	الرعد: ٤٠	﴿وَإِنْ مَا نُزِّلَتْكَ بِعِضِ الَّذِينَ نَعَدْتَهُمْ أَوْ تَوَقَّيْتَهُمْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾
١٩٦، ٢٠٤، ٣٢٠، ٣١٨	٣	الرعد: ٤١	﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾
١٩٦، ٣٢٠، ٢٠٦	٣	الرعد: ٤٢	﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلْمُ الْكَافِرِينَ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٦٤، ٨٩، ٧٥ ١٠٠، ٩٥ ١٩٦، ٣٢٣، ٢٠٧	٣	الرعد: ٤٣	﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۖ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾
٦٥، ٦٤	٤	إبراهيم: ١٠	﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾
٦٥	١٤	إبراهيم: ١١	﴿وَمَا كَانُوا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾
٦٥	١٤	إبراهيم: ١٢	﴿وَمَا لَنَا إِلَّا أَنْ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۗ وَلَنْصَبِرَ عَلَىٰ مَا أَدْبَتُنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾
٦٥	١٤	إبراهيم: ١٨	﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾
٦٦	١٤	إبراهيم: ١٩	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾
٣١٥	١٤	إبراهيم: ٢٧	﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۖ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾
٦٧	١٤	إبراهيم: ٣١	﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٦٦	١٤	إبراهيم: ٣٢	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾
٦٦	١٤	إبراهيم: ٤٦	﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾
٦٧	١٤	إبراهيم: ٥٢	﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾
١٢٥	١٥	الحجر: ٤٩-٥٠	﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾
٣٩	١٥	الحجر: ٨٧	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾
٨٦	١٦	النحل: ٩	﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾
٢١٩ ، ٢١١	١٦	النحل: ١١	﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَفْكُرُونَ ﴾
٢٢٠	١٦	النحل: ١٣	﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾
٢١٨	١٦	النحل: ١٥	﴿ وَاللَّيْلِ فِي الْأَرْضِ رَوْسٍ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾
٣٠١	١٦	النحل: ٣٧	﴿ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٥٣	١٦	النحل: ٤٩	﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُشْتَكِرُونَ﴾
٢٤٨	١٦	النحل: ٥٠	﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾
٤٤	١٦	النحل: ١٠١	﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾
٢٢١	١٧	الإسراء: ١٢	﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِمَنْ حِوَّنَا آيَةً اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَذَكَّرُوا فُضُلًا مِنْ رَبِّكَمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾
٢٤٧، ١٤٣ ٢٤٨٤	١٧	الإسراء: ٤٤	﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾
٢٣٣	١٧	الإسراء: ٥٩	﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَعَاقِبَتُنَا تُمُودُ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾
٢٥٤	١٧	الإسراء: ٦٧	﴿وَإِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾
٣١٢	١٧	الإسراء: ٩٠	﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾
٢٣٠	١٧	الإسراء: ٩١-٩٢	﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحْتِهَا عِوَابٌ مُّغْتَابٌ فَأَنْبَجِرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقَطُ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِلِهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣١٢	١٧	الإسراء: ٩٣	﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾
٢٢٣	١٨	الكهف: ٣٢	﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِّنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾
٢٦٤ ، ٢٦٢	١٨	الكهف: ٨٧-٨٨	﴿قَالَ أَمَا مِنْ ظُلْمٍ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَا مِنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾
٣٠٥	١٩	مريم: ٦٣	﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾
٢٨٥	١٩	مريم: ٧٧	﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾
١١٣	٢٠	طه: ٥-٦	﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾
٣٠٠ ، ٢٤٠	٢٠	طه: ٧	﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ﴾
٢٢٠	٢٠	طه: ٥٣	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾
٦١	٢٠	طه: ١١٣	﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾
٢٧٣	٢٠	طه: ١٣٢	﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٢٠	٢١	الأنبياء: ٦	﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾
٣٢٤	٢١	الأنبياء: ٧	﴿ فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾
٢٦٠	٢١	الأنبياء: ١٠٥	﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾
٢٩٢	٢١	الأنبياء: ١٠٧	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾
٢٥٣	٢٢	الحج: ١٨	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُّكْرِمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾
٢٩٨	٢٢	الحج: ٤٨	﴿ وَكَأَن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴾
٢٢١	٢٢	الحج: ٦١	﴿ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾
١١٣	٢٢	الحج: ٦٥	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾
١٢٩	٢٣	المؤمنون: ١٤	﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۗ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٤٤	٢٣	المؤمنون: ٥٠	﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾
٢٨٢	٢٣	المؤمنون: ٥٥	﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾
٢٨٨	٢٣	المؤمنون: ٦٣	﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾
٢٣٩	٢٣	المؤمنون: ٩١	﴿سَبَّحَنَّا اللَّهَ عَمَّا يَصِفُونَ﴾
٢٧٣	٢٣	المؤمنون: ٩٦	﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾
٢٧	٢٤	النور: ٦٠	﴿فَلَيْسَ عَلَيْهَا جُنَاحٌ أَنْ يَضَعَنَّ أَيُّهَاً عَيْرُ مَتَّبِعَتْ بَرِيئَةً﴾
٣١١	٢٥	الفرقان: ٧-٨	﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾
٢٩٢	٢٥	الفرقان: ٢٠	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾
٥٤	٢٥	الفرقان: ٣٢	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾
٢٦٨	٢٥	الفرقان: ٣٤	﴿الَّذِينَ يَحْشُرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾
٢٧٦	٢٦	الشعراء: ٨٨-٨٩	﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٤٤	٢٦	الشعراء: ١٢٨	﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً ﴾
٢٧٦	٢٦	الشعراء: ٢١٤	﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾
٥	٢٧	النمل: ١٩	﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾
٢٤٠	٢٧	النمل: ٢٥	﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾
٧٥	٢٧	النمل: ٤٠	﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾
٢٥٠	٢٧	النمل: ٥٠	﴿ وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَاقْتُلْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾
١٧٤	٢٨	القصص: ٧٦	﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾
٢٦٠	٢٩	العنكبوت: ٤٣	﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۗ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾
٧٢	٢٩	العنكبوت: ٤٥	﴿ أَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْرَبَ الصَّكَاةِ ۗ وَإِن الصَّكَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾
٣١٣	٢٩	العنكبوت: ٥٠	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾
٢٥٤	٢٩	العنكبوت: ٦٥	﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٧٤, ٧٢	٢٩	العنكبوت: ٦٩	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
١٢٠	٣٠	الروم: ٢١	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
١٢٠	٣٠	الروم: ٢٤	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾
٨٦	٣١	لقمان: ١٩	﴿ وَأَقِصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾
١١٣	٣٢	السجدة: ٤	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ط ﴾
٢٦٦	٣٢	السجدة: ١٨	﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾
٧٢	٣٣	الأحزاب: ٣٩	﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ط وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾
١١٩	٣٥	فاطر: ٢٧	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٣١	٣٥	فاطر: ٤٥	﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَاتَّخَذَ اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾
١١٤	٣٦	يس: ٣٩	﴿وَالْقَمَرَ فَدَّرَنَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾
٢٢١	٣٦	يس: ٤٠	﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾
٢٢٧	٣٦	يس: ٧٧	﴿أَوْلَيْرَ الْإِنْسَانِ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فِإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾
٣٢١	٣٧	الصفافات: ١٧١- ١٧٣	﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَأْمُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِن جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾
٢٨٧	٣٩	الزُّمَر: ٢٢	﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾
٢٨٧	٣٩	الزُّمَر: ٢٣	﴿ثُمَّ تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾
٢٦	٣٩	الزُّمَر: ٢٨	﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾
٢٥٧	٣٩	الزُّمَر: ٣٨	﴿وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾
٢٧٦	٤٠	غافر: ٨	﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٢٧	٤٠	غافر: ٧١-٧٢	﴿ إِذِ الْأَغْلَلُ فِيَّ اعْتَقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾
١٢٢	٤٠	غافر: ٧١	﴿ إِذِ الْأَغْلَلُ فِيَّ اعْتَقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾
٣١٨	٤٠	غافر: ٨٢	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ ﴾
٢٧٣	٤١	فصلت: ٣٤	﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾
٢٣٩	٤٢	الشورى: ١٦	﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾
١٤١	٤٢	الشورى: ٢٨	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾
٢٨٧	٤٣	الزُخْرُفُ: ٤٤	﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾
٣٠٥	٤٣	الزُخْرُفُ: ٧١	﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
٢٩٢	٤٦	الأحقاف: ٩	﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكْفُرُ إِنِ أُنِيعَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾
٣١٨	٤٧	محمد: ١٠	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٨٥	٤٧	محمد: ١٧	﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ وَقَوْهُمْ﴾
٣٢٠	٤٧	محمد: ١٨	﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾
١٨٢	٤٨	الفجر: ٢٧	﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلِقِينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾
١١٢	٥٠	ق: ٦	﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾
١٢١	٥٠	ق: ١٥	﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾
١١٢	٥١	الذاريات: ١٧	﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾
١٦٩	٥٢	الطور: ٢١	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا لَنْتَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾
٢١٢	٥٢	الطور: ٣٤	﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾
٣٠٠	٥٣	النجم: ٢٣	﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾
٢٣٧	٥٤	القمر: ٤٩	﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾
٣٠٥	٥٦	الواقعة: ٣٢-٣٣	﴿وَفِكَهَةٌ كَثِيرَةٌ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ ﴿٣٣﴾﴾
١٣٣	٥٧	الحديد: ٣	﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
٣٠٠	٥٧	الحديد: ٤	﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٢١	٥٨	المجادلة: ٢١	﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾
٢٨٦	٥٩	الحشر: ٢١	﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
٣٠١	٦١	الصف: ٥	﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾
٢٨١	٦٥	الطلاق: ٧	﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾
١٣٣	٦٧	المُلِك: ١٣-١٤	﴿ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ وَأَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾
١١٣	٦٩	الحاقة: ١٧	﴿ وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴾
٢٣٨	٧٤	المدثر: ٣١	﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴾
٢١٩	٧٥	القيامة: ٣٩	﴿ جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾
٧٢	٧٦	الإنسان: ٣	﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾
٣٠٥	٧٦	الإنسان: ١٤	﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا ﴾
٢١٨	٧٨	النبأ: ٦-٧	﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا وَأَوَّلَ الْجِبَالِ أَوْتَادًا ﴾
٢٦٤	٨٤	الانشقاق: ٨	﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾
١٢١	٨٦	الطارق: ٨	﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾
٢٤٩	٨٦	الطارق: ١٦-١٧	﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رَوْبًا ﴿١٧﴾ ﴾
٢٨٢	٨٧	الأعلى: ١٥-١٦	﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢١٩	٨٨	الغاشية: ١٩	﴿وإلى الجبال كيف نُصِبَتْ﴾
٧٢	٩٠	البلد: ١٠	﴿وهديته التجلين﴾
٢٦٤	٩٩	الزلزلة: ٧، ٨	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨)
٢٧٢	١٠٣	العصر: ٢-٣	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ (٢) ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ (٣)
٣٨	١١٢	الإخلاص	﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾

فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الراوي	الصفحة
١	أن قوماً سمعوا الرعد.....	عبدالله بن أبي جعفر	٣٤
٢	عطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين....	واثلة بن الأسقع	٤١
٣	أقبلت يهود إلى النبي، فقالوا: يا أبا القاسم....	ابن عباس	٢٤٨
٤	إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً....	ابن مسعود	١٣٠
٥	إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا	أنس بن مالك	٢٨٩
٦	أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه،	عائشة بنت أبي بكر	٢٦٤٢ ٦٤
٧	آية المنافق ثلاث	أبو هريرة	٢٦٩
٨	بعث النبي مرةً رجلاً إلى رجل من فراعنة العرب....	أنس بن مالك	٨٣
٩	جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي....	أنس بن مالك	٣١١
١٠	خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ	عثمان بن عفان	١٠
١١	شهدت من رسول الله مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى....	سهل بن سعد الساعدي	٢٩٠
١٢	فيقول الملك: أيا رب! أذكر أم أنتى؟....	أنس بن مالك	١٣٠
١٣	قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﷻ....	أبو هريرة	٢٧٦
١٤	كنت أصلي في المسجد....	سعيد بن المعلى	٣٩

م	طرف الحديث	الراوي	الصفحة
١٥	لن ينجي أحدا منكم عمله....	أبو هريرة	٨٦
١٦	مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم....	أبو موسى	٢٢٤
١٧	من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال	أبو الدرداء	٤٠
١٨	من سره أن يبسط له في رزقه....	أبو هريرة	٢٧٠
١٩	والذي لا إله إلا هو.....	ابن مسعود	٥٥
٢٠	والله ما الدنيا في الآخرة.....	أبي أسامة	٢٨٢
٢١	يا أبا المُنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟....	أبي بن كعب	٣٧
٢٢	يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يتمخّطون....	عبدالله بن جابر	٣٠٥

فهرس الأثار

الصفحة	الراوي	طرف الأثر	م
٥٥	ابن مسعود	وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى....	١

فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة

الصفحة	الكلمة	م
٢٢٤	الأجانب	١
١٢٢	الأغلال	٢
٤٥	الآية في الاصطلاح	٣
١٧٣	التبسط	٤
١٦٣	التنائي	٥
٢٦	التناسق اصطلاحاً	٦
٢٩	التناسق الموضوعي في اصطلاح المفسرين	٧
٢٤	التناسق لغة	٨
٨١	سبب النزول في الاصطلاح	٩
٨١	السبب في اللغة	١٠
٢٨٢	السكرجة	١١
٢٨	السورة في الاصطلاح	١٢
٢٨	السورة لغة	١٣
١٦٨	الصلاح	١٤
٢٧٤	العقبى	١٥
٢١٥	عمد	١٦
٢٢٤	الغيث	١٧
٢٣٦	غيض	١٨
٢٣٦	القدر	١٩
١٦٨	قصبته	٢٠
٨٣	قحف	٢١

الصفحة	الكلمة	م
٢٢٤	الكلأ	٢٢
١٥٤	المتنفج	٢٣
٢٣٠	المثلات	٢٤
٤٦	المدنيين	٢٥
٢٤٣	معقبات	٢٦
٦٩	المقابلة	٢٧
٨٧	المقاصد في الاصطلاح	٢٨
٨٦	المقاصد لغة	٢٩
٢٣٦	المقدار	٣٠
٦٠	المناسبة في الاصطلاح	٣١
٦٠	المناسبة لغة	٣٢
٢٧	الموضوع في الاصطلاح	٣٣
٢٧	الموضوع في اللغة	٣٤
٢٢٤	نقية	٣٥
١٨٨	واق	٣٦

فهرس الشواهد الشعرية

الصفحة	البيت	م
١٢٢	أَوْ حُرَّةٍ كَمَهَاةِ الرَّمْلِ قَدْ كُتِبَتْ * فَوْقَ الْمَعَاصِمِ مِنْهَا وَالْعَرَاقِيبِ تَدْعُو قُعَيْبًا وَقَدْ عَضَّ الْحَدِيدُ بِهَا * عَضَّ الثَّقَافِ عَلَى صَمِّ الْأَنْبِيبِ	١

فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلم	م
١٢	إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي	١
٤٨	ابن جعفر بن كلاب	٢
١٢	أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي	٣
٨٠	أحمد بن علي بن محمد الكناي العسقلاني	٤
٢٥	أحمد بن محمد بن علي الفيومي	٥
٤٧	أحمد بن مصطفى المراغي	٦
١٤	إسماعيل بن عمر بن كثير	٧
٨٣	أنس بن مالك بن النضر الأنصاري	٨
٢٨٢	الحارث بن محمد بن أبي أسامة داهر التميمي	٩
٣٩	الحارث بن نفيح بن المعلى الأنصاري	١٠
٤٤	الحسين بن محمد بن المفضل (الرَّأغب الأصفهاني)	١١
٢٤	الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي	١٢
١٢٢	زياد بن معاوية الغطفاني (النابغة الذبياني)	١٣
١٤	سعيد محمد أديب محمود حوى	١٤
٢٩٠	سهل بن سعد الساعدي	١٥
١٣	سيد قطب	١٦
٢٣٧	الضحاك بن مزاحم الهلالي	١٧
١٤	عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي	١٨
٣٢٤	عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي	١٩
١٢	عبدالرحمن بن أبو بكر بن محمد السيوطي	٢٠
٥٧	عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي	٢١

م	اسم العالم	الصفحة
٢٢	عبدالله بن عمر بن علي الشيرازي البيضاوي	٥٧
٢٣	عبدالله بن قيس بن سليم بن حزار	٢١٣
٢٤	عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي	٢٧
٢٥	عثمان بن عفان بن أبي العاص	١٠
٢٦	العز بن عبد السلام السلمي الدمشقي	٥٧
٢٧	علي بن أحمد بن محمد الواحدي	٨٢
٢٨	علي بن جعفر بن علب السعدي	٢٥
٢٩	علي بن إسماعيل المرسي (ابن سيده)	٢٤
٣٠	علي بن محمد بن حبيب المارودي	٢١٣
٣١	عويمر بن عبدالله بن زيد (أبو الدرداء)	٤٠
٣٢	قتادة بن دعامة السدوسي	٥٧
٣٣	محمد الطاهر بن عاشور	١٣
٣٤	محمد بن أحمد بن جزي الكلبلي	٤٧
٣٥	محمد بن أحمد بن جزي المراغي	٤٧
٣٦	محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ذبالبقلاني	٥٨
٣٧	محمد بن المستنير بن أحمد النحوي (قُطْرُب)	٢٤١
٣٨	محمد بن جرير بن يزيد الطبري	٢١٣
٣٩	محمد بن عبدالله المعافري (ابن العربي)	٣٨
٤٠	محمد بن عمر بن الحسين الرازي	١١
٤١	محمد عبد الله دراز	١٣
٤٢	محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي	١٤
٤٣	محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري	٢٥
٤٤	مصطفى مسلم محمد	١٥
٤٥	مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي	٥٧
٤٦	مكي بن أبي طالب حموش القيسي	٢١٣

الصفحة	اسم العلم	م
٨٢	مناخ خليل القطان	٤٧
٢٤١	هارون بن موسى الأخفش	٤٨
٤١	واثلة بن الأسقع بن عبدالعزى الكناني	٤٩

فهرس البلدان والأماكن

الصفحة	اسم المكان	م
٢٢٢	الأهواز	١
٢٢٢	البصرة	٢
٢٢٢	الكوفة	٣
٢٢٣	فارس	٤

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم (جل منزله وعلا).

- (١) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (٢) أرشيف ملتقى أهل الحديث، تم تحميله: في ٧ رمضان ١٤٢٩هـ-٧ سبتمبر ٢٠٠٨م
- (٣) أساس البلاغة، لأبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله(ت:٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- (٤) الأساس في التفسير، لسعيد حوى، الناشر: دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- (٥) أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي (ت:٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- (٦) أسماء سور القرآن وفضائلها، للدكتورة منيرة الدوسري، صدر عن دار ابن الجوزي، بالدمام، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ)
- (٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت:٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- (٨) أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري(ت:٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

- (٩) أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
- (١٠) الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٤١٥هـ.
- (١١) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢ م.
- (١٢) أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، محمد بن إبراهيم الحمد، الناشر: موقع دعوة الإسلام.
- (١٣) الأفعال، علي بن جعفر بن علي السعدي أبو القاسم المعروف بابن القطّاع الصقلي (ت: ٥١٥هـ)، الناشر: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م.
- (١٤) الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت: ٤٠٣هـ) تحقيق: د. محمد عصام القضاة، الناشر: دار الفتح، عمّان.
- (١٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
- (١٦) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د. عبد الله محمود شحاته رحمه الله، دار النشر.
- (١٧) إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم نجم الدين (ت: نحو ٥٥٠هـ) تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- (١٨) أيسر التفاسير، لأسعد حومد، المكتبة الشاملة.
- (١٩) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ط ١٥، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣ م.
- (٢٠) الإيمان، تقي الدين عبد الحلیم عبدالسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد ناصر الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، ط ٥، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م.

- (٢١) لباب النقول في أسباب النزول، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.
- (٢٢) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ).
- (٢٣) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أنير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- (٢٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، بيروت، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- (٢٥) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع، تحقيق: حفني شرف، الناشر: مطبعة نهضة مصر ط ٢.
- (٢٦) البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفى الغرناطي أبو جعفر (ت: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- (٢٧) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، طبعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (٢٨) البلدان، أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب اليعقوبي (ت: بعد ٢٩٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- (٢٩) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- (٣٠) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ) الناشر: دار الكتاب العربي، ط ١.
- (٣١) التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.

- (٣٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: ١٤٢٦ هـ)، الناشر: دار المعارف.
- (٣٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤ هـ.
- (٣٤) التخلي عن التقليد والتخلي بالأصل المفيد، عمر العريباوي الحملاوي (ت: ١٤٠٥ هـ)، الناشر: مطبعة الوراقة العصرية، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤ م.
- (٣٥) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبى الغرناطى (ت: ٧٤١ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ.
- (٣٦) التصور الفني في القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥ هـ)، الناشر: دار الشروق.
- (٣٧) التعريف بالقرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، نشرها (موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف).
- (٣٨) تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (٣٩) التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣ هـ.
- (٤٠) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨ هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، مصر.
- (٤١) تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت: ٤٨٩ هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، الناشر: دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م.
- (٤٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩ هـ.

- (٤٣) تفسير القرآن وهو اختصار لتفسير الماوردي، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء (ت: ٦٦٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- (٤٤) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة.
- (٤٥) تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣.
- (٤٦) تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- (٤٧) التفسير المنير، وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر، دمشق.
- (٤٨) التفسير الميسر، لعبدالله بن عبد المحسن التركي ونخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- (٤٩) تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (٥٠) التفسير الواضح، الحجازي محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ.
- (٥١) التفسير الوسيط، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.
- (٥٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١.
- (٥٣) تفسير جزء عم، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- (٥٤) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تحقيق: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- (٥٥) تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- (٥٦) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ.
- (٥٧) تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار الثقافة العربية.
- (٥٨) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، لعبد الله بن عباس A (ت: ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان.
- (٥٩) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- (٦٠) تيسير التفسير، إبراهيم القطان (ت: ١٤٠٤هـ)، راجعه وأشرف على ضبطه: عمران أحمد أبو حجلة، ١٩٨٢م، بمطبعة الجمعية العلمية الملكية.
- (٦١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- (٦٢) جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- (٦٣) الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

- (٦٤) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، رسالة دكتوارة، عبدالعظيم إبراهيم المطعني، الناشر: مكتبة وهبة، ط١٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- (٦٥) الخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح، ابن أبي الإصبع تحقيق: الدكتور حفني شرف، وطبع بمصر سنة ١٩٦٠.
- (٦٦) دراسات في علوم القرآن: محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ، الناشر: دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- (٦٧) دراسات في علوم القرآن الكريم، لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط١٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- (٦٨) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني(ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد/ الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- (٦٩) الدرر المنتور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- (٧٠) الدعاء للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- (٧١) الدلائل في غريب الحديث، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، أبو محمد (ت: ٣٠٢هـ).
- (٧٢) الرسل والرسالات، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ط٤، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- (٧٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي(ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- (٧٤) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

- (٧٥) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- (٧٦) السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- (٧٧) سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- (٧٨) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرنؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- (٧٩) شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، تحقيق: سعد فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي، الرياض، ط ٥، ١٤١٩هـ.
- (٨٠) شرح نهج البلاغة، لأبن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- (٨١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- (٨٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٨٣) صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- (٨٤) طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي و د. عبد الفتاح محمد الحلوة، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع ط ٢، ١٤١٣هـ.

- (٨٥) الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري
البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: زياد محمد منصور،
الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- (٨٦) طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنه (ت: ١١١هـ)، تحقيق: سليمان بن
صالح الخزي الناشر: مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- (٨٧) طبقات المفسرين العشرين، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي
(ت: ٩١١هـ) تحقيق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١،
١٣٩٦هـ.
- (٨٨) الظواهر الفلكية والجغرافية في القرآن الكريم والعلم الحديث، للدكتور عطية
محمد عطية.
- (٨٩) العجائب في بيان الأسباب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر
العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، الناشر: دار ابن
الجوزي.
- (٩٠) علم المقاصد الشرعية، لنور الدين بن مختار الخادمي، الناشر: مكتبة العبيكان،
ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- (٩١) المدخل إلى علوم القرآن الكريم، لنور الدين محمد عتر الحلبي، الناشر: مطبعة
الصباح، دمشق، ط ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م
- (٩٢) العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري
(ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة
الهلال.
- (٩٣) غريب الحديث، أبو سليمان حمد بن محمد البستي المعروف بالخطابي
(ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، الناشر: دار الفكر،
١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- (٩٤) غريب الحديث، لجمال الدين أبو الفرج عبد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق:
الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١،
١٤٠٥ - ١٩٨٥م.
- (٩٥) غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)
تحقيق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- (٩٦) غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة، أبو القاسم خلف بن بشكوال الخزرجي الأنصاري الأندلسي (ت: ٥٧٨هـ)، تحقيق: د. عز الدين علي السيد - محمد كمال الدين عز الدين، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- (٩٧) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- (٩٨) فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، تحقيق: علي حسين علي، الناشر: مكتبة السنة، مصر، ط ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (٩٩) الفصل والوصل في القرآن الكريم، لمنير سلطان، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية، ط ٢.
- (١٠٠) فضائل القرآن، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤١٦هـ.
- (١٠١) فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، دار النشر: دار البشائر، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- (١٠٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق، بيروت، ١٤١٢هـ.
- (١٠٣) قادة فتح الأندلس، لمحمود شيت خطاب (ت: ١٤١٩هـ)، الناشر: منار للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (١٠٤) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- (١٠٥) القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- (١٠٦) قانون التأويل لابن العربي، تأليف الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، (ت: ٥٤٣هـ).

- (١٠٧) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)
- (١٠٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- (١٠٩) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- (١١٠) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (١١١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، الناشر: دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- (١١٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين، دمشق.
- (١١٣) مباحث في إعجاز القرآن، د مصطفى مسلم، الناشر: دار القلم، دمشق ط٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- (١١٤) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم الناشر: دار القلم، ط٤، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- (١١٥) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: الناشر: دار العلم للملايين، ط٢٤، ٢٠٠٠م.
- (١١٦) مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- (١١٧) المجتبي من مشكل إعراب القرآن، أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.

- (١١٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- (١١٩) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)
- (١٢٠) مختصر تفسير ابن كثير، (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت، ط٧، ١٤٠٢هـ-١٩٨١ م
- (١٢١) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)
- (١٢٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق: دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.
- (١٢٣) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور، الناشر: دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨ م.
- (١٢٤) مذكرة على العقيدة الواسطية، لمحمد بن صالح العثيمين، الناشر: مدار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ.
- (١٢٥) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، الحافظ جلال الدين السيوطي، الناشر: مكتبة دار المنهاج، الرياض.
- (١٢٦) مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر، مصر. ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩ م.
- (١٢٧) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل بن محمد أبو العلاء، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٥هـ.
- (١٢٨) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف، الرياض.
- (١٢٩) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.

- (١٣٠) معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر و عثمان جمعة ضميرية و سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧ م.
- (١٣١) معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ) تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.
- (١٣٢) المعجزة الكبرى القرآن، لمحمد بن أحمد بن مصطفى أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر العربي.
- (١٣٣) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة
- (١٣٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ألفه: إبراهيم مصطفى و أحمد الزيات و حامد عبد القادر و محمد النجار، الناشر: دار الدعوة.
- (١٣٥) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤ م.
- (١٣٦) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩ م.
- (١٣٧) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- (١٣٨) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار الشامية، بيروت، ط١.
- (١٣٩) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت: ٧٠٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

- (١٤٠) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ) الناشر: دار الفكر، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦.
- (١٤١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ط١٨، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م.
- (١٤٢) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الناشر: دار السلاسل، الكويت، ط١.
- (١٤٣) الموسوعة القرآنية - خصائص السور، جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- (١٤٤) موسوعة فضائل سور وآيات القرآن لمحمد بن رزق بن طهروني، دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٩.
- (١٤٥) موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، أحمد بن محمد الشرقاوي سالم، بحث محكم بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٢٥هـ.
- (١٤٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- (١٤٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- (١٤٨) الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.
- (١٤٩) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(١٥٠) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، الشيخ الدكتور محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٤، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

(١٥١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت: ٤٦٨ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الناشر: دار القلم، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.

(١٥٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١ هـ) تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٠٠ - ١٩٩٤ م.

(١٥٣) وحدة النسق في السور القرآنية، فوائدها وطرق دراستها، رشيد الحمداوي، ١٤٣٤ هـ.

* بعض المواقع والرسائل والمذكرات العلمية التي رجعت إليها:

- (١) سورة الرعد، تجويد و تفسير، موقع ملتقى أهل التفسير Altafsir.com.
- (٢) مذكرة في التناسق الموضوعي في السور القرآنية د/ محمد بن عمر بن سالم بن بازامل.
- (٣) المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها (رسالة علمية محكمة): للأستاذ/نمر جبر سدر. (دراسة تطبيقية لسورتي يونس وهود)، تاريخ ١٧ ربيع الآخر ١٤٣٥.
- (٤) التناسق الموضوعي لسورة الأحزاب، لمحمد بن عزيز بن عبدالرحمن القرشي. رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير، في التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى، ١٤٣٤ هـ.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	ملخص الرسالة باللغة العربية
٤	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية
٥	كلمة شكر وتقدير
٧	المقدمة
٩	أهمية الموضوع
١٠	أسباب اختيار الموضوع
١٠	أهداف الموضوع
١١	الدراسات السابقة
١٥	منهجي في إعداد البحث
١٧	منهج الدراسة
١٨	خطة البحث
	الباب الأول: مقدمات تعريفية في سورة الرعد
٢٤	التمهيد
٣٠	الفصل الأول: اسم السورة الكريمة وفضلها وعدد آياتها
٣١	المبحث الأول: اسم السورة الكريمة
٣٢	المطلب الأول: التمهيد
٣٤	المطلب الثاني: اسم السورة
٣٦	المبحث الثاني: فضل السورة الكريمة
٣٧	المطلب الأول: فضائل السور
٤١	المطلب الثاني: فضل السورة الكريمة

الصفحة	الموضوع
٤٣	المبحث الثالث: عدد آيات السورة واختلاف العلماء
٤٤	المطلب الأول: تعريف الآية في اللغة والاصطلاح
٤٦	المطلب الثاني: عدد آيات سورة الرعد
٤٨	المبحث الرابع: تاريخ نزول السورة
٤٩	المطلب الأول: الترتيب الزمني للنزول
٥٠	المطلب الثاني: تاريخ السورة والجو العام الذي نزلت فيه
٥٢	الفصل الثاني: مكية السورة ومدنيتها ومناسبتها لما قبلها وما بعده ووجه اختصاصها بما اختصت به
٥٣	المبحث الأول: المكي والمدني في السورة
٥٤	المطلب الأول: تعريف المكي والمدني
٥٧	المطلب الثاني: المكي والمدني في سورة الرعد
٥٩	المبحث الثاني: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها
٦٠	المطلب الأول: تعريف علم المناسبات لغة واصطلاحاً
٦٢	المطلب الثاني: مناسبة سورة الرعد لسورة يوسف
٦٤	المطلب الثالث: مناسبة سورة الرعد لسورة إبراهيم
٦٨	المبحث الثالث: وجه اختصاص السورة بما اختصت به
٦٩	ما اختصت به سورة الرعد من موضوعات
٧٨	الفصل الثالث: أسباب نزول سورة الرعد ومقاصدها وأهدافها
٧٩	المبحث الأول: أسباب النزول الواردة في السورة
٨٠	المطلب الأول: تعريف أسباب النزول
٨٢	المطلب الثاني: سبب النزول الوارد في السورة
٨٥	المبحث الثاني: مقاصد السورة الكريمة وأهدافها
٨٦	المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً
٨٨	المطلب الثاني: مقاصد السورة الكريمة وأهدافها

الصفحة	الموضوع
	الباب الثاني: التناسق الموضوعي - دراسة تطبيقية
٩٣	الفصل الأول: محور السورة الكريمة، ومناسبتها
٩٤	المبحث الأول: محور السورة وموضوعها الكلي
٩٩	المبحث الثاني: مناسبة اسم السورة لموضوعاتها
١٠٠	المبحث الثالث: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها، وفاتحتها وخاتمتها لموضوعاتها
١٠٣	الفصل الثاني: موضوعات السورة الكريمة، وتناسقها
١٠٤	التمهيد
١٠٥	المبحث الأول: مظاهر القدرة الربانية ويشتمل الآيات (١-١١)
١٠٦	المطلب الأول: بيان تناسق افتتاحية السورة مع موضوعاتها
١٠٨	المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات
١٣٧	المطلب الثالث: الغرض الذي سيقف له الآيات
١٣٨	المبحث الثاني: خضوع المخلوقات لله وإثبات الوحدانية وذم كفر الكافرين ويشمل الآيات (١٢-١٦)
١٣٩	المطلب الأول: التناسق الموضوعي لما قبلها
١٤١	المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات
١٥١	المطلب الثالث: الغرض الذي سيقف له الآيات
١٥٣	المبحث الثالث: ضرب الأمثال للحق والباطل واختلاف مصير المؤمنين عن مصير الكافرين ويشمل الآيات (١٧-١٨)
١٥٤	المطلب الأول: التناسق الموضوعي لما قبلها
١٥٥	المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات
١٥٩	المطلب الثالث: الغرض الذي سيقف له الآيات

الصفحة	الموضوع
١٦٠	المبحث الرابع: صفات المؤمنين أولي الأبواب مقابل صفات الكفار العميان، وصورة أخرى لأصحاب القلوب مطمئنة ونقض الشرك بالله وعذاب الكافرين مقابل نعيم المؤمنين ويشمل الآيات (١٩-٣٥)
١٦١	المطلب الأول: التناسق الموضوعي لما قبلها
١٦٣	المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات
١٩١	المطلب الثالث: الغرض الذي سبقت له الآيات
١٩٥	المبحث الخامس: إثبات الوحي والرسالة والوحدانية وذم إنكار الكفار وبيان قدرة الله المطلقة وتهديد منكري النبوة ويشمل الآيات (٣٦-٤٣)
١٩٦	المطلب الأول: التناسق الموضوعي لما قبلها
١٩٧	المطلب الثاني: الدراسة التناسقية في الآيات
٢٠٨	المطلب الثالث: الغرض الذي سبقت له الآيات
٢١٠	الفصل الثالث: التفسير التحليلي لسورة الرعد في ضوء تناسقها الموضوعي
٣٢٧	الخاتمة
٣٢٧	أولاً: أهم النتائج التي أظهرها البحث
٣٢٨	ثانياً: توصيات الباحثة
٣٢٩	الفهارس
٣٣٠	فهرس الآيات القرآنية
٣٥٧	فهرس الأحاديث النبوية
٣٥٩	فهرس الآثار
٣٦٠	فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة
٣٦٢	فهرس الشواهد الشعرية
٣٦٣	فهرس الأعلام

الصفحة	الموضوع
٣٦٦	فهرس البلدان والأماكن
٣٦٧	فهرس المصادر والمراجع
٣٨٢	فهرس الموضوعات